المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مدارات إيرانية

مجلة دورية علمية محكمة

العدد التاسع سبتمبر/ أيلول 2020

رقم التسجيل: VR.3373.6322.B

مدارات إيرانية (دورية دولية علمية محكمة)

Iranian orbits

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة مدارات إيرانية علمية دولية محكمة تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا- برلين، تعنى بالشأن الإيراني داخليًا وإقليميًا ودوليًا

Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland
ISSN 2626-4927
Journal of Iranian Orbits
Is An international Scientific Periodical journal issued by the Democratic Arabic Center –Germany- Berlin
It aims at Publishing Studies and Research on Iranian affairs internally, regionally and internationally.
Registration number : VR. 3373 – 6322. B

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية - برلين- ألمانيا

Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112 Tel: 0049-Code Germany
030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098
mobiltelefon : 00491742783717
*E-mail : **orbits@democraticac.de***

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير

أ.د نداء مطشر صادق الشرفه

مديرة المركز الديمقراطي العربي - بغداد

نائب رئيس التحرير

د. محمد محمد عبد ربه المغير

أستاذ التخطيط وإدارة المخاطر المساعد في الجامعات الفلسطينية.

هيئة التحرير

- د. ميثاق بيات الضيفي – استاذ مساعد في العلاقات الدولية والاستراتيجية -جامعة تكريت - العراق.
- د. زهرة الثابت-كلية الآداب والعلوم الانسانية القيروان-التخصص العام اللغة والحضارة العربية والتخصص الدقيق أديان مقارنة – تونس.
- أ. محمود البازي – ماجستير في القانون – رئيس قسم الدراسات المختصة بالدول العربية في كرسي حقوق الإنسان يونسكو (التابع لجامعة الشهيد بشتي/إيران) – سوريا.
- أ. هيبة غربي -كلية العلوم السياسية -جامعة قسنطينة 3 -الجزائر.
- أ. اسلام محمد المغير-الجامعة الاسلامية – غزة-فلسطين.
- د. علي طارق الزبيدي -الجامعة العراقية-كلية الادارة والاقتصاد تخصص علوم سياسية-قسم الدراسات الدولية – العراق.
- د. علي عبد الخضر المعموري – جامعة بابل – كلية القانون – العراق.
- د. أمجد سعد شلال المحاويلي – استاذ مساعد في تاريخ إيران السياسي -جامعة القادسية - كلية التربية- العراق.
- د. ميثاق مناحي العيسى – مختص في الفكر السياسي – مركز الدارسات الاستراتيجية – جامعة كربلاء – العراق.
- استاذ مساعد دكتور. كرار عباس متعب- جامعة كربلاء- العراق
- د. محمد عبد المنعم أحمد – جامعة حلوان - مصر

رئيس الهيئة العلمية

دكتور إياد خازر المجالي- الاردن

الهيئة العلمية الاستشارية

- أ.د حسين علوان البيج. العراق
- دكتورة شيماء الهواري. المغرب
- دكتور وليد كاصد الزيدي. العراق
- دكتوره ريم الشريف. تونس
- دكتورة عقيلة دبيش. باريس
- دكتور فراس عباس. العراق
- دكتور محمد فوزي على. مصر
- دكتور حمدان عبد الله ابو عمران. فلسطين
- دكتوره آمال عبد المنعم احمد. مصر
- دكتوره منال احمد الريني. تركيا
- دكتوره عائشه عباش. الجزائر
- دكتور علاء نزار محمد العقاد. فلسطين
- دكتور القرع بن علي. المغرب
- دكتور أمين الطاهر بلعيفه. الجزائر
- دكتور موازي بلال. الجزائر
- دكتور سعيد عبد القادر عبيكشي. الجزائر
- دكتوره مزوزي عبله. الجزائر
- دكتور عماد محمد لبيد. الجزائر
- دكتوره منال مجذوب. الجزائر
- دكتوره فاطمه نسيسة. الجزائر
- دكتوره. امينه عبد الله سالم. مصر

التنسيق والمراجعة

- د. صباح أحمد أبو شرخ- فلسطين
- د. محمد محمد المغير- فلسطين
- د. حاتم يوسف زوايدة- فلسطين

التدقيق اللغوي

- د. زهرة الثابت- تونس
- د. محمود البازي سوريا

شروط النشر

- تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة التي تلزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا، وعلى أن تكون مكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية التي لم يسبق نشرها.
- يقدم الأصل مطبوعًا على ورق (A4) بنسخة واحدة بحدود (5.000-10.000) كلمة بخط (Simpelied Arabic) على أن ترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا.
- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخّص بحدود (350) كلمة، على أن يحتوي البحث على الكلمات المفتاحية.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث وعنوانه، جهة العمل (باللغتين العربية والإنجليزية)، البريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك.
- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمّن: اسم الكتاب، ورقم الصفحة.
- يزوَّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعي في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو الأبحاث في المجلات أو أسماء المؤلفين.
- تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.
- إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قّدم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده.
- ألا يكون البحث قد نشر سابقًا، وليس مقدمًا إلى أية وسيلة نشر أخرى وعلى الباحث تقديم تعهّد مستقلّ بذلك.
- تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
- تخضع الأبحاث المنشورة لبرنامج الاستلال العلمي **(Turnitin)**
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة اسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

- يحـق للمحلــة ترجمــة البحــوث المنشــور فــي أعـداد المجلــة إلــى اللغــات الأخــرى، مــن غيــر الرجوع إلى الباحث.
- ترسل البحوث على الإيميل (orbitd@democraticac.de)
- تخضــع الأبحــاث لتقــويم سـرّي لبيــان صــلاحيتّها للنشــر، ولا تعــاد البحــوث إلــى أصــحابها ســواء أقبلت للنشر أم لم تقبل، وذلك وفق الآلية التالية:

أ. يبلغ الباحث بتسلّم المادة المرسلة للنشرة خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب. يخطــر أصــحاب الأبحــاث المقبولــة للنشــرة موافقــة هيئــة التحريــر علــى نشــرها وموعــد نشــرها المتوقّع.

ت. الأبحــاث التــي يــرى المقوّمــون وجــوب إجــراء تعــديلات أو إضــافات عليهــا قبــل نشــرها تعــاد إلــى أصحابها مع الملاحظات المحددة، علي يعملوا على إعدادها نهائيًا للنشر.

ث. الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

فهرس المحتويات

م	الباحث	عنوان المقالة	الصفحة
	أ.د. نداء مطشر صادق الشرفة	**كلمة رئيس التحرير**	7
1	د. غازي فاروق	دور محكمة العدل الدولية في تسوية النزاع الامريكي الايراني قضية 8 ماي 2018_ دراسة حالة	9
2	د. علاء نزار العقاد	إيران في العراق: الثابت والمتحول في الدور والنفوذ.	19
3	أ.م. د. أمجد سعد شلال المحاويلي	استراتيجية الدول الاقليمية (الاجنبية) لاحتواء فيروس كورونا في الجمهورية الاسلامية الإيرانية. (حراك تآزر)	37
4	استاذة هيبة غربي	العلاقات الايرانية الافغانية 2002_2020. رؤية استراتيجية	60
5	م.د. ميثاق مناحي العيسى	أدلجة الأوبئة والازمات في الفكر السياسي الايراني. قراءة في تحليل الخطاب الايراني في ظل تفشي وباء كوفيد. 19.	85
6	م.د. محمد كاظم هاشم	الازمة الايرانية بعد انسحاب ترامب من الاتفاق النووي: الرؤية الايرانية لاسباب الازمة وسبل الحل	107
7	استاذ عماد وصفي علي بن خالد	العلاقات الايرانية التركية في ظل العلاقات الدولية وأثرها على التوازنات الإقليمية	121
8	استاذ هاني الظليفي	دور الدين في مواجهة جائحة فيروس كورونا في مجتمعات دول الشرق الاوسط_ إيران أنموذجا.	145

كلمة رئيس التحرير

إيران بين الازمات والتفوق.

منذ بدء عام 2020. تعصف أزمات متعددة. ومتلاحقة. بإيران، حيث المظاهرات والاضطرابات الداخلية الناجمة عن سوء الوضع الاقتصادي للمواطنين جراء تفاقم الاضرار الناجمة عن الحصار المفروض عليها، الامر الذي افضى الى انهيار العملة وتوقف العديد من المشاريع التي كانت تضم عدد لا بأس به من العمال في البلد، ترافق مع كل هذا الازمة العالمية لجائحة كورونا (كوفيد19) وما فرضته من ظروف حظر وتعطل للأعمال وللحياة بشكل عام، وما يتطلبه من انفاق كبير لتجاوز الاضرار الجسيمة لهذه الجائحة على البلد.

يسبقها خسارتها الإستراتيجية بفقدان الساحة السياسية ثاني أكبر رجل فيها ألا وهو (سليماني) الذي كان المنسق والمنظم والمخطط والقائد لأذرعها في المنطقة العربية مما خلق ارباكا واضحا في عمل كل من ارتبط به.

وتبرز هنا قضية الطائرة الأوكرانية التي سقطت والتعويضات التي قد ترهق الاقتصاد المحاصر والمتعب سلفا. مع استمرار ممنهج ومخطط باستهداف المنشآت النووية، الامر الذي يفضي الى تأخير عملية تصنيع اجهزة الطرد المركزي، وتأخير برنامجها النووي لسنوات.

ومع بروز ازمة تفجير مرفأ بيروت، الذي تسبب بإسقاط حكومة يدعمها (حزب الله) والضغط الشعبي والدولي بضرورة نزع سلاح هذا السبب الذي يشكل امتدادا للنفوذ الايراني وارتدادا لا يمكن ان يغض النظر عنه بالنسبة للعديد من الدول، ودخول فرنسي مرحب به شعبيا بمبادرة لإصلاح الحكومة اللبنانية، والتي قد يراها البعض بأنها ضربة قاضية لهذا الحزب، ونحن لا نرى إمكانية او حتى فرصة لنجاح فرنسا بهذا الامر.

يتزامن مع كل هذه الازمات المتلاحقة توقيع دولة الامارات اتفاقيه (ابراهيم) للسلام الامر الذي قد يتسبب بفرض نوع من العزلة على إيران، سيما في ظل سعي العديد من الدول العربية لتوقيع مثل هذا الاتفاق، وايضا بروز القمة الثلاثية بين العراق والاردن ومصر، والتي تسعى لجعل العراق سوق عمل مفتوح للأيدي العاملة المصرية والأردنية رغم الازمات العراقية العميقة جدا، والتي قد تؤدي الى محاولة السعي الخفي لفك جذور الارتباط المتشابك والعميق بين العراق وإيران. .... رغم. اعتقادنا بضعف فرص نجاح هذا السعي، الا انه يبقى قائما.

وتبرز لنا الانتخابات الأمريكية القادمة لتحسم موضوع الاتفاق النووي بين البلدين، ولكننا نعتقد ان فوز (ترامب) او منافسه (بايدن) لا يغير في جوهر الاستراتيجية الأمريكية لأنها دولة مؤسسات اولا واخيرا، ولذلك سيسعى الفائز الى التفاوض حول ابرام اتفاق نووي جديد والسعي لعدم تجسيد فكرة المواجهة العسكرية مع إيران، اضافة الى موافقة وسعي امريكا الى ابقاء موطئ قدم لإيران في العراق وسوريا.

في مقابل هذه الازمات نلاحظ وجود مرتكزات عديده للتفوق الايراني وهذا ما اعلنه الجانب الامريكي حيث اكد ان قرار عدم تمديد حظر السلاح على ايران قد يدفعها للمزيد من تصدير اسلحتها المصنعة محليا للدول والجماعات المرتبطة بها، الامر الذي قد يفضي إلى تغيير في معادلات الشرق الاوسط، واذا علمنا ان حوالي 80_ 85 .بالمئة من الأسلحة الإيرانية هو مصنع محليا، واذا اضفنا اليه موضوع المساعدات الأمنية والتي تعد جوهر التنافس على التفوق

العسكري والاقتصادي والايدلوجي والاستراتيجي، حيث ان النصر عادة اصبح لا يتم من خلال الحروب العسكرية فقط سواء من خلال بداية أو نهاية حرب ما، بل يتحقق من خلال تسهيل وانشاء شبكات من الروابط الشخصية وبناء التحالفات والتي غالبا ما تحدد هي اسس وضوابط النجاح، حيث كلما كانت هنالك نزاعات وتوترات كلما كان للمساعدات الأمنية دور على قدر عالي من الأهمية في تحقيق النجاح الاستراتيجي، لذلك نلاحظ ان ما يحكم الشرق الاوسط هو (رقعة الشطرنج الثلاثية الابعاد) والمتمثلة بمساعدات امنيه أمريكية وروسيه وإيرانية.

وقد اثبتت إيران من خلال شبكة تحالفاتها نجاحا كبيرا وعمقا لا يستهان به وربطا عضويا للبنى التحتية للدول والجماعات التي تستفيد من هذه المساعدات، وعليه يعد فقدان (سليماني) و(الحصار المفروض على إيران)، مفصل مهم تسعى امريكا لترتيب الظروف الإقليمية والدولية للحد من الامتدادات وما ينجم عنها من ارتدادات إقليمية شرق أوسطية لا يمكن ان تغض النظر عنها امريكا.

ومن هنا تسعى إيران الى تحقيق التفوق من خلال الازمات ومن خلال سعيها للحفاظ على برنامجها النووي والذي وفقا لتقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية اكدت ان مخزون إيران من اليورانيوم المخصب ورغم الحصار بلغ أكثر من عشرة اضعاف الحد المنصوص عليه في الاتفاق النووي لعام 2015. مع القوى العالمية.

هذا الترتيب للنجاح والتفوق الايراني رغم كل الازمات هو ما يبرر لنا لماذا تتصاعد موجات وتصريحات تدفع بتجسيد فكرة وسيناريو (إيران فوبيا).

ومن هنا نتوجه بدعوة لكل المهتمين والمتخصصين بالشأن الايراني الى تركيز الجهود للبحث العلمي العميق حول ازمات النظام الايراني، فرص التفوق الشرق اوسطي لها، وكذلك ماهي مبررات واسباب ودوافع ونتائج سيناريو إيران فوبيا.

شكري وامتناني لكل من ساهم بإصدار هذا العدد من اللجنة العلمية وهيئه التحرير ولكل الباحثين والمساهمين معنا بهذه المجلة المهمة.

رئيس التحرير

استاذ دكتور نداء مطشر صادق الشرفة

6 سبتمبر 2020م

دور محكمة العدل الدولية في تسوية النزاع الأمريكي الإيراني: قضية عقوبات 8 ماي 2018 –دراسة حالة

The Role of the ICJ in the settlement of the American-Iranian Conflict: 8 May 2018 sanctions case study

د. غازي فاروق

كلية الحقوق جامعة عنابة

Dr GHAZI Farouk

Faculty of law Annaba University

ghazifarouk1@gmail.com

ملخص:

يدرس المقال دور محكمة العدل الدولية في تسوية النزاع الأمريكي الايراني بخصوص العقوبات المقررة من طرف الادارة الأمريكية بتاريخ 8 ماي 2018، حيث رفعت إيران دعوى أمام محكمة العدل الدولية بخصوص مزاعم بخرق الولايات المتحدة الأمريكية لاتفاقية الصداقة المنعقدة بينهما عام 1955، أقامت إيران نوعين من الإجراءات القضائية.

أصدرت محكمة العدل الدولية أمرها بخصوص الاجراءات التحفظية، تناقش الدراسة المسائل القانونية المثارة بموجب هذه الاجراءات التي تؤكد جهود محكمة العدل الدولية في فض النزاعات بين الطرفين بطريقة قضائية.

كلمات مفتاحية:

إيران–الولايات المتحدة الأمريكية – محكمة العدل الدولية–تدابير تحفظية – اتفاقية الصداقة 1955

Abstract:

The article examines the role of the International Court of Justice in settling the American-Iranian dispute regarding sanctions established by the American administration on May 8, 2018, as Iran filed a lawsuit with the International Court of Justice regarding allegations of the United States of America breaching the friendship agreement between them in 1955. Iran instituted two types of judicial procedures.

The International Court of Justice issued its order regarding provisional measures. The study discusses the legal issues raised under these procedures that confirm the efforts of the International Court of Justice in resolving disputes between the two parties in a judicial manner.

Keywords:

Iran - United States of America - International Court of Justice - conservatory measures- treaty of amity

مقدمـــة:

إن السجل التاريخي القضائي بين إيران والولايات المتحدة حافل بالمنازعات القضائية بين الطرفين، ومعروف كيف كان للقضاء الدولي دور في عدة قضايا، والملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أول من لجأ إلى محكمة العدل الدولية بخصوص خلافها مع ايران، حيث بتاريخ 29 نوفمبر 1979 رفعت الولايات المتحدة الأمريكية دعوى ضد ايران بخصوص الموظفين الديبلوماسيين و القنصليين الأمريكيين في طهران، [1] كما طلبت الولايات المتحدة تدابير تحفظية، [2] أمرت المحكمة بتدابير تحفظية بتاريخ 15 ديسمبر 1979،و تضمنت التدابير أن تضمن فورا حكومة جمهورية إيران الإسلامية أن تضع مقر سفارة الولايات المتحدة تحت السيطرة الحصرية للولايات المتحدة، وتضمن لها الحرمة وحمايتها بشكل فعال وفقا للاتفاقيات النافذة بين الدولتين والقانون الدولي العام، و أن تطلق فورا ايران سراح المواطنين الأمريكيين المحتجزين في السفارة، وأن تعترف لهم بالحماية و الامتيازات المقررة بموجب القانون الدولي،[3] أما من حيث الدعوى الموضوعية فقد فصلت فيها المحكمة بموجب حكمها الصادر بتاريخ 24 ماي 1980، ورأت المحكمة أن إيران أخلت بالتزاماتها الدولية فقا للقانون الدولي العام .[4]

ثم بادرت إيران في سلك طريق محكمة العدل الدولية لتسوية نزاعاتها مع الولايات المتحدة في 4 مناسبات، الأولى بتاريخ 17 ماي 1989، حين رفعت إيران دعوى ضد الولايات المتحدة[5] بخصوص اسقاط طائرة إيرانية من طرف القوات الأمريكية في الخليج مما سبب مقتل 290 من ركاب وطاقم الطائرة.[6] لكن هذه القضية تم شطبها من سجل المحكمة بأمر من المحكمة[7] بعد وصول الطرفين إلى اتفاق بالتسوية الودية للنزاع.[8]

المناسبة الثانية كانت بتاريخ 2 نوفمبر 1992، عندما قدمت جمهورية إيران الإسلامية إلى قلم المحكمة طلبًا لإقامة دعوى ضد الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بتدمير منصات النفط الإيرانية. واستندت الجمهورية الإسلامية في اختصاص المحكمة إلى أحد أحكام معاهدة الصداقة والتجارة والحقوق القنصلية بين إيران والولايات المتحدة، الموقعة في طهران في 15 أوت 1955،[9] وصدر حكم المحكمة بشأن هذه القضية بتاريخ

---

[1] Application Instituting Proceedings submitted by the Government of the United States of America, ICJ, 29 November 1979.

[2] Request for the Indication of Provisional Measures of Protection submitted by the Government of the United States of America, ICJ, 29 November 1979.

[3] Cour Internationale de Justice , recueil des arrêts, avis consultatifs et ordonnances affaire relative au personnel diplomatique et consulaire des Etats-Unis à Téhéran (Etats-Unis d'Amérique c. Iran), demande en indication de mesures conservatoires, ordonnance du 15 décembre 1979, para 47.

[4] United States Diplomatic and Consular Staff in Tehran, Judgment, 1. C. J. Reports 1980, para 95.

[5]CIJ, Communiqué de presse 1990/10, incident aérien du 3 juillet 1988 (République Islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), publié sur : https://www.icj-cij.org/fr/affaire/79

[6] COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE REQUÊTE INTRODUCTIVE D'INSTANCE enregistrée au Greffe de la Cour
le 17 mai 1989 INCIDENT AÉRIEN DU 3 JUILLET 1988,(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE).

[7] ORDONNANCE DU 22 FÉVRIER 1996, COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE RECUEIL DES ARRÊTS, AVIS CONSULTATIFS ET ORDONNANCES, AFFAIRE DE L'INCIDENT AÉRIEN, DU 3 JUILLET 1988

[8] SETTLEMENT AGREEMENT ON THE CASE CONCERNING THE AERIAL INCIDENT OF 3 JULY 1988 BEFORE THE INTERNATIONAL COURT OF JUSTICE, published on : https://www.icj-cij.org/fr/affaire/79

[9] COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE, REQUÊTE INTRODUCTIVE D'INSTANCE, enregistrée au Greffe de la Cour

6 نوفمبر 2003،[1] وذهبت المحكمة أن الولايات المتحدة استخدمت القوة بشكل غير شرعي ضد المنصات البترولية الايرانية ونفس الوقت رفضت تعويض إيران.[2]

المناسبة الثالثة كانت بتاريخ 14 جوان 2016، عندما رفعت إيران دعوى ضد الولايات المتحدة بخصوص عدم الاعتراف بالبنك المركزي الايراني ومنع التحويلات معه، أسست إيران الدعوى على أساس اتفاقية الصداقة المبرمة مع الولايات المتحدة عام 1955،[3] ولاتزال القضية محل نظر من المحكمة لغاية الوقت الحالي.

المناسبة الرابعة سجلت بتاريخ 16 جويلية 2018، حيث تقدمت جمهورية إيران الاسلامية إلى قلم محكمة العدل الدولية بطلب رفع دعوى ضد الولايات المتحدة الأمريكية، بشأن الانتهاكات المزعومة لاتفاقية الصداقة المبرمة بين الدولتين سنة 1955 بسبب عقوبات 8 ماي 2018.[4] ولقد شهدت هذه القضية تقدما على مستوى التدابير التحفظية، وهو ما يرمي المقال إلى دراسته من خلال طرح التساؤل التالي:

إلى أي مدى ساهمت محكمة العدل الدولية في تسوية النزاع الأمريكي الإيراني بخصوص العقوبات الأمريكية الصادرة بتاريخ 8 ماي 2018؟

للإجابة على هاته الاشكالية يستعين البحث بالمنهج التحليلي للقيام بقراءة قانونية للعمل القضائي لمحكمة العدل الدولية بخصوص هذا النزاع، حيث يقسم البحث إلى مبحثين:

- المبحث الأول الإجراءات في الموضوع أمام المحكمة
- المبحث الثاني التدابير التحفظية أمام المحكمة

المبحث الأول الإجراءات في الموضوع أمام المحكمة:

لابد من قراءة قانونية في الإجراءات في الموضوع أمام المحكمة (المطلب الأول) والأساس القانوني لطلب إيران الموضوعي (المطلب الثاني).

المطلب الأول قراءة قانونية في الإجراءات في الموضوع أمام المحكمة:

من الأهمية بمكان دراسة التمثيل القانوني والقضاة المؤقتين لكلتا الدولتين (الفرع الأول) وكذا موضوع الطلب (الفرع الثاني).

الفرع الأول التمثيل القانوني والقضاة المؤقتين لكلتا الدولتين:

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه تم تعيين السيد زاه الدين لابا (ZAHEDIN-LABBA) وكيلا لدولة جمهورية إيران الاسلامية وساعده مجموعة من رجال القانون مثل الفرنسي ألان بيلي Alain Pellet، وتولى تمثيل الولايات المتحدة الأمريكية السيدة: السيدة جينفر نيوستيد (Jennifer G. Newstead) رفقة مجموعة من رجال القانون

---

le 2 novembre 1992, PLATES-FORMES PÉTROLIÈRES, (RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE).

[1] Oil Platforms (Islamic Republic of Iran v. United States of America), Judgment, I. C. J. Reports 2003, p. 161

[2] Ibid, para 125.

[3] REQUÊTE INTRODUCTIVE D'INSTANCE, CIJ, (RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), Certains actifs iraniens.

[4] Cour Internationale de Justice, Communiqué de presse 2018/34 , publié sur : https://www.icj-cij.org/files/case-related/175/175-20180717-PRE-01-00-FR.pdf

كما عينت جمهورية إيران الإسلامية السيد جامشيد ممتاز وعينت الولايات المتحدة الأمريكية السيد شارل برور Charles Brower، كقضاة مؤقتين، لأن قضاة المحكمة الحاليين لا يوجد من بينهم من يحمل جنسية إيران، وتنازل القاضي المنتخب الأمريكي وأبدى عدم رغبته في المشاركة في الإجراءات والمداولات.[1]

الفرع الثاني موضوع الطلب:

تضمنت طلبات جمهورية إيران الإسلامية أن تقول المحكمة وتقضي على الولايات المتحدة الأمريكية بما يلي:[2]

- أن الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة للعقوبات المعلنة بتاريخ 8 ماي 2018 والعقوبات المعلنة الأخرى الموصوفة في العريضة والتي تستهدف دولة إيران والإيرانيين والشركات الإيرانية، فشلت في الوفاء بالتزاماتها تجاه إيران تطبيقا للفقرات 1 من المواد الرابعة والسابعة والثامنة والفقرتين 2 من المادتين الثامنة والتاسعة والفقرة 1 من المادة العاشرة من معاهدة الصداقة.
- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية، بالوسائل التي تختارها، أن تنهي فوراً العقوبات المعلنة بتاريخ 8 ماي 2018.
- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية التوقف فورًا عن التهديد بفرض العقوبات المعلنة الأخرى الموضحة في العريضة.
- يجب أن تضمن الولايات المتحدة الأمريكية عدم القيام بأي شيء للتحايل على قرار المحكمة في هذه القضية وتضمن عدم تكرار انتهاكاتها لمعاهدة الصداقة.
- يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تدفع لإيران، بسبب انتهاك لالتزاماتها القانونية الدولية، تعويضا كاملا تحدد المحكمة مبلغه في مرحلة لاحقة من الإجراءات. واحتفظت إيران بالحق في أن تقدم إلى المحكمة في الوقت المناسب تقييماً دقيقاً لمبلغ التعويض المستحق من الولايات المتحدة الأمريكية.

المطلب الثاني الأساس القانوني لطلب إيران الموضوعي:

يقتضي المنهج العلمي الاشارة إلى اختصاص المحكمة بالنزاع بين إيران والولايات المتحدة (الفرع الاول) والضرر الحاصل لإيران جراء العقوبات الأمريكية (الفرع الثاني).

الفرع الأول اختصاص المحكمة بالنزاع:

أسست إيران الدعوى على أساس المادة 36 من نظام محكمة العدل الدولية والمادة 21 من اتفاقية الصداقة بين إيران والولايات المتحدة لعام 1955.

[1] Violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (République islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), mesures conservatoires, ordonnance du 3 octobre 2018, C.I.J. Recueil 2018, p. 623.

[2] Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), enregistrée au Greff e de la Cour le 16 juillet 2018, p 19, publié sur : https://www.icj-cij.org/files/case-related/175/175-20180716-APP-01-00-FR.pdf

حيث تنص المادة 36 من نظام محكمة العدل الدولية أن اختصاص المحكمة "يمتد إلى جميع القضايا التي يقدمها الأطراف إليها، وكذلك إلى جميع القضايا المنصوص عليها بشكل خاص في ميثاق الأمم المتحدة أو في المعاهدات والاتفاقيات السارية[1].

وتنص المادة 21 من اتفاقية الصداقة الايرانية والامريكية لعام 1955 على أن أي نزاع قد ينشأ بين الأطراف السامية المتعاقدة فيما يتعلق بتفسير أو تطبيق المعاهدة والذي لم يتم تسويته بشكل مرض من خلال القنوات الدبلوماسية يرفع أمام محكمة العدل الدولية، ما لم توافق الأطراف على تسويته بالوسائل السلمية الأخرى.[2]

الفرع الثاني الضرر الحاصل لإيران جراء العقوبات الأمريكية:

ترى إيران من خلال العريضة المودعة أمام محكمة العدل الدولية، أن عقوبات 8 ماي 2018 بدأت بالفعل في إحداث أضرار للمجتمع والاقتصاد الإيراني ككل، بما في ذلك قطاعات صناعة النفط والطيران المدني والبنوك وتمويل الشركات والمواطنون الإيرانيون بشكل رئيسي، من خلال آثار العقوبات خارج الحدود الإقليمية التي تتطلب من الأشخاص الطبيعيين والاعتباريين، أمريكيين أو غير أمريكيين، إنهاء تجارتهم مع الشركاء الإيرانيون وتم منعهم من استئناف مثل هذه التبادلات في المستقبل.[3]

حيث أكدت إيران أن الولايات المتحدة بموجب العقوبات المقررة بتاريخ 8 ماي 2018 خالفت معاهدة الصداقة من حيث النقاط التالية:

- **انتهاك حق المواطنين والشركات الإيرانية في معاملة عادلة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية:**

حيث تنص اتفاقية الصداقة بين الطرفين على منح كل طرف من الأطراف السامية المتعاقدة في جميع الأوقات معاملة عادلة ومنصفة لمواطني وشركات الدول الأخرى، وكذلك ممتلكاتهم وأعمالهم، ولن تتخذ أي إجراءات تعسفية أو تمييزية يمكن أن يقوض حقوقهم أو مصالحهم المكتسبة قانونًا، ووفقًا للقوانين قابلة للتطبيق في هذا المجال، فإنه سيضمن إجراءات إنفاذ فعالة للحقوق التعاقدية التي نشأت بشكل شرعي.[4]

وترى إيران أن الولايات المتحدة الأمريكية تخالف هذه المادة بسبب عقوبات 8 ماي 2018، حيث أن اثارها تتجاوز الحدود الإقليمية وملزمة للأشخاص الطبيعيين والاعتباريين، أمريكيين أو غير أمريكيين، حيث تلزمهم لإنهاء علاقاتهم الاقتصادية أو التعاقدية مع إيران من المواطنين أو شركاتها. هذه التدابير، حسب الحالة، تتعارض مع ضمان المعاملة العادلة والمنصفة المنصوص عليها في الفقرة 1 من المادة الرابعة، وهي اجراءات تمييزية وتعسفية، تنتهك الحقوق والمصالح تم الحصول عليها بشكل قانوني من طرف الشركات والمواطنين الإيرانيين، كما أنها تحرمهم من أي وسيلة فعالة لإنفاذ حقوقهم التعاقدية المنشأة بشكل شرعي.[5]

---

[1] STATUT DE LA COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE, publié sur : https://www.icj-cij.org/fr/statut

[2] Treaty of Amity, Economic Relations, and Consular Rights. (Iran United States of America). Signed at Tehran, on 15 August 1955, published on: https://treaties.un.org/Pages/showDetails.aspx?objid=0800000280142196

[3] Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), p 31.

[4] Article 4, treaty of Amity, Economic Relations, and Consular Rights. (Iran United States of America). Signed at Tehran, on 15 August 1955, published on: https://treaties.un.org/Pages/showDetails.aspx?objid=0800000280142196

[5] Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), p 31.

- **انتهاك لالتزام بعدم فرض قيود على المدفوعات والتحويلات المالية:**

تنص اتفاقية الصداقة بين الطرفين على أنه لا يجوز لأي طرف من الأطراف السامية المتعاقدة فرض قيود فيما يتعلق بالمدفوعات والتحويلات المالية من أو إلى أراضي الطرف السامي المتعاقد الآخر باستثناء: إذا كانت ضرورية لضمان أن موارد النقد الأجنبي كافية لتلبية أسعار السلع والخدمات الأساسية للصحة ورفاهية سكانها، أو إذا كانت هذه القيود معتمدة صراحة من قبل صندوق النقد الدولي[1].

ترى إيران أن الولايات المتحدة تنتهك هذه المادة بسبب عقوبات 8 ماي 2018، وذلك من الخلال حظر التعامل بالدولار لكل المعاملات التي تكون (من أو إلى) إيران. [2]

- **انتهاك يتعلق بمنع استراد قطع غيار الطائرات:**

تنص الفقرة 2 من المادة 8 من اتفاقية الصداقة، أنه لا يجوز لأي طرف من الأطراف أن يحظر أو يحظر استيراد منتج من الطرف المتعاقد السامي الآخر أو تصدير منتج متجه إلى أراضي الطرف الآخر، ما لم يكن استيراد منتج مماثل من أي بلد ثالث أو تصدير منتج مشابه لجميع البلدان الأخرى ليس محظورًا أو مقيدًا بنفس الطريقة.[3] وترى إيران بموجب عريضتها أن الولايات المتحدة بمنعها الكيانات غير الأمريكية، مثل شركة أيرباص الأوروبية، من بيع الطائرات لإيران هو أيضًا انتهاك للفقرة 2 من المادة الثامنة من المعاهدة.[4]

- **انتهاك قواعد التعامل في مجال الاستيراد والتصدير:**

تنص صراحة اتفاقية الصداقة بين الطرفين على وجوب معاملة الطرفين للشركات والافراد في مجال الاستيراد والتصدير معاملة لا تقل تفضيلا عن معاملة الطرف الثاني المتعاقد أو الطرف الثالث الغير طرف في الاتفاقية.[5] واعتبرت إيران بموجب العريضة أن الادارة الأمريكية خرقت الاتفاقية عندما فرضت بموجب عقوبات 8 ماي 2018، حيث فرضت عقوبات على الشركات الاجنبية التي تستورد وتورد مع شركاء ايرانيين، وكذلك الغت تراخيص لمتعاملين كان تسمح ببعض التعاملات مع شركاء ايرانيين.[6]

المبحث الثاني التدابير التحفظية أمام المحكمة:

من الاهمية بمكان الاشارة إلى مضمون التدابير المطلوبة من طرف إيران (المطلب الأول) وقراءة قانونية في أمر المحكمة المتعلق بالتدابير التحفظية (المطلب الثاني).

المطلب الأول: مضمون التدابير المطلوبة:

[1] Article 7, treaty of Amity, Economic Relations, and Consular Rights. (Iran United States of America). Signed at Tehran, on 15 August 1955, published on: https://treaties.un.org/Pages/showDetails.aspx?objid=0800000280142196
[2] Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), p 31.
[3] Article 8, treaty of Amity, Economic Relations, and Consular Rights. (Iran United States of America). Signed at Tehran, on 15 August 1955, published on: https://treaties.un.org/Pages/showDetails.aspx?objid=0800000280142196
[4] Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), p 33.
[5] Article 9, treaty of Amity, Economic Relations, and Consular Rights. (Iran United States of America). Signed at Tehran, on 15 August 1955, published on: https://treaties.un.org/Pages/showDetails.aspx?objid=0800000280142196
[6] Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), p 33.

بالإضافة إلى الإجراءات في الموضوع تقدمت جمهورية إيران الاسلامية بطلب للمحكمة بأن تأمر بتدابير تحفظية تمثلت فيما يلي: [1]

- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية على الفور، من خلال جميع التدابير المتاحة لها، الامتناع عن تطبيق وإنفاذ جميع عقوبات 8 ماي 2018، بما في ذلك العقوبات خارج الحدود الإقليمية، والامتناع عن فرض أو التهديد بفرض العقوبات والتدابير المعلنة الأخرى التي من المحتمل أن تؤدي إلى تفاقم أو تمديد النزاع المعروض على المحكمة.
- يجب أن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية على الفور بالتنفيذ الكامل للصفقات بشكل عام أو على وجه الخصوص لغرض بيع أو تأجير طائرات الركاب أو قطع الغيار ومعدات الطائرات الأخرى.
- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية، في غضون ثلاثة أشهر، إبلاغ المحكمة بالتدابير التي اتخذتها.
- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تطمئن المواطنين الإيرانيين والأمريكيين والأجانب والشركات بأنهم سيلتزمون بأمر المحكمة، ويجب أن يمتنعوا عن إصدار أي إعلان أو القيام بأي شيء من المرجح أن ثني الأشخاص والمؤسسات الأمريكية والأجنبية عن الدخول أو الاستمرار في التجارة مع إيران ومع مواطنيها أو شركاتها.
- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تمتنع عن اتخاذ أي إجراء آخر من المرجح أن ينتهك الحقوق الممنوحة بموجب معاهدة الصداقة مع إيران، وكذلك لمواطنيها وشركاتها، فيما يتعلق بأي قرار يمكن للمحكمة أن تصدره في موضوع القضية.

المطلب الثاني قراءة قانونية في أمر المحكمة المتعلق بالتدابير التحفظية:

بتاريخ 3 أكتوبر 2018 أصدرت محكمة العدل الدولية أمرا بخصوص بطلب إيران تدابير تحفظية ضد الولايات المتحدة الامريكية، وتضمن الطلب مجموعة من التدابير التي تلتزم بها الولايات المتحدة الامريكية ولقد ناقشت المحكمة عدة مسائل قانونية هامة بخصوص هذا النزاع. لابد من الإشارة إلى النقاط التي تناولتها المحكمة بموجب الأمر من خلال الفرع الأول ومنطوق الأمر من خلال الفرع الثاني.

الفرع الأول النقاط التي تناولتها المحكمة بموجب الأمر:

أشارت محكمة العدل الدولية في أمرها إلى قاعدة أساسية مفادها أن المحكمة لا تتخذ تدابير تحفظية إلا إذا كانت الأحكام المثارة من طرف الدول الطالبة تشكل بنظرة أولى (*prima facie*) أساسا يمكن أن يبنى عليه اختصاصها، ولا تحتاج أن تضمن أن لها اختصاص نهائي في موضوع القضية.[2]

أولا وجود نزاع يتعلق بتفسير وتطبيق وتنفيذ معاهدة الصداقة:

[1] Cour Internationale de Justice, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN C. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), demande en indication de mesures conservatoires, p 18, publié sur : https://www.icj-cij.org/files/case-related/175/175-20180716-REQ-01-00-FR.pdf

[2] voir, notamment, Violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (République islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), mesures conservatoires, ordonnance du 3 octobre 2018, C.I.J. Recueil 2018 (II), p. 630, par. 24).

أشارت المحكمة في الفقرة 28 من الأمر أنه" *يوجد نزاع عندما تتعارض بوضوح وجهات نظر الدول بشأن تنفيذ أو عدم تنفيذ بعض الالتزامات الدولية*".[1]

تمسكت إيران بوجود نزاع مع الولايات المتحدة يتعلق بتفسير وتطبيق معاهدة الصداقة، لكن الولايات المتحدة أنكرت ذلك، لكن المحكمة خلصت بموجب الفقرة 44 من الأمر إلى أن النزاع بين الدولتين له علاقة بتنفيذ وتطبيق معاهدة الصداقة.

ثانيا اتباع الطرق الديبلوماسية لفض النزاع قبل اللجوء للمحكمة:

تشير اتفاقية الصداقة المشار إليها سابقا من خلال المادة 21 إلى أنه يجب اتباع القنوات الديبلوماسية لتسوية النزاعات المتعلقة بالاتفاقية، وكان على محكمة العدل الدولية أن تفحص مدى توفر هذا الشرط. حيث لم يدع أي من الطرفين التوصل إلى حل بموجب الطريق الديبلوماسي.

تمسكت إيران بأنها أرسلت بتاريخ 11 و19 جوان 2018 مذكرة شفوية إلى الولايات المتحدة الامريكية من خلال سفارة سويسرا في طهران، لكنها لم تتلق أية رد من الولايات المتحدة، وخلصت المحكمة إلى اعتبار أن الدولتين لم تتوصل إلى حل مرضي من خلال الطريق الديبلوماسي.[2]

رابعا المسائل المتعلقة بالحقوق والحماية المطلوبة والصلة بين الحقوق والتدابير المطلوبة:

خلصت المحكمة في الفقرة 76 من الأمر إلى أنه توجد صلة بين الحقوق المطالب بها وبعض التدابير التي طالبت بها إيران. ومن المهم الإشارة إلى أن سلطة المحكمة تتعلق بحماية حقوق بصفة مستعجلة وتحفظية وليس نهائية، وهذا يعود لطبيعة ولايتها في الاجراءات التحفظية الواردة بموجب المادة 41 من نظام المحكمة.

خامسا خطر الضرر الغير قابل للتعويض وعنصر الاستعجال:

أشارت إيران إلى أن هناك خطرًا حقيقيًا ووشيكًا يتمثل في إلحاق ضرر لا يمكن إصلاحه بالحقوق محل النزاع قبل أن تقدم المحكمة قرارها النهائي. وتعتبر أن بعض الإجراءات التي اتخذتها الولايات المتحدة تسبب بالفعل، وستستمر في التسبب في ضرر لا يمكن إصلاحه لهذه الحقوق.

وأصرت الولايات المتحدة الأمريكية من جانبها على أنه لا توجد حاجة ملحة، بمعنى أنه لا يوجد خطر حقيقي ووشيك، ولا يوجد ضرر الذي لا يمكن إصلاحه سيحدث للحقوق موضع نزاع قبل أن تصدر المحكمة قرارها النهائي. وأشارت إلى أن الإجراءات المعلنة في 8 ماي 2018 ليس شيئًا جديدًا، ولكن ببساطة اعادة للعقوبات التي كانت سارية في السابق.

---

[1] voir Application de la convention internationale pour la répression du financement du terrorisme et de la convention internationale sur l'élimination de toutes les formes de discrimination raciale (Ukraine c. Fédération de Russie), mesures conservatoires, ordonnance du 19 avril 2017, C.I.J. Recueil 2017, p. 115, par. 22, citant Interprétation des traités de paix conclus avec la Bulgarie, la Hongrie et la Roumanie, première phase, avis consultatif, C.I.J. Recueil 1950, p. 74).

[2] Violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (République islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), mesures conservatoires, ordonnance du 3 octobre 2018, C.I.J. Recueil 2018 (II), p. 638, par. 51).

لكن المحكمة خلصت بموجب الفقرة 93 من أمرها إلى أن الوضع الناتج عن التدابير التي اتخذتها الولايات المتحدة، بعد إعلان 8 ماي 2018، هو ذو الطابع المستمر، وفي الوقت الحاضر تتضاءل آفاق التحسين، اعتبرت كذلك الأمر عاجل، بالنظر إلى أن الولايات المتحدة على وشك تنفيذ مجموعة أخرى من التدابير التي ستدخل حيز التنفيذ بعد 4 نوفمبر 2018.

الفرع الثاني منطوق الأمر:

جاء منطوق الأمر لصالح إيران، ووردت فيه التدابير التالية التي يجب على الولايات المتحدة اتخاذها:[1]

- إلغاء التدابير المعلنة بموجب اعلان 8 ماي 2018 والسماح بحرية الاستيراد تجاه التراب الاقليمي الايراني للمنتجات الأتية:
  - الأدوية والأدوات الطبية.
  - المنتجات الغذائية والزراعية.
  - قطع الغيار والمعدات والخدمات ذات الصلة (بما في ذلك خدمة ما بعد البيع والصيانة والإصلاحات والتفتيش) اللازمة لسلامة الطيران المدني.
- يجب على الولايات المتحدة السهر على منح التراخيص من أجل التحويلات المالية المتعلقة بالمواد المشار إليها اعلاه.

خاتمة:

- من الأهمية بمكان الاشارة إلى أن هذه القضية بينت كيف تلعب محكمة العدل الدولية دورا في تسوية النزاعات بين الدول بعيدا عن استعمال القوة في العلاقات الدولية.
- وغني عن البيان أن انتصار إيران القانوني في قضية التدابير التحفظية يعكس إلمام الجانب الإيراني بالمسائل القانونية المثارة بموجب القضية، وهذا الانتصار له أثر ديبلوماسي دولي.
- ومن المهم الإشارة إلى أن اتفاقيات الصداقة التي تبرمها الدول تلعب دورا أساسيا في إعطاء حلول للنزاعات القانونية بين الدول، خصوصا عندما تشير تلك الاتفاقيات إلى إعطاء ولاية لمحكمة العدل الدولية على النزاعات المستقبلية بين الدول.
- ختاما يخلص البحث بأن جمهورية إيران الإسلامية لجأت إلى محكمة العدل الدولية أكثر من الولايات المتحدة الامريكية من أجل فض المنازعات الدولية بينهما.

قائمة المراجع:

- Application Instituting Proceedings submitted by the Government of the United States of America, ICJ, 29 November 1979.
- Request for the Indication of Provisional Measures of Protection submitted by the Government of the United States of America, ICJ, 29 November 1979.
- Cour Internationale de Justice، recueil des arrêts, avis consultatifs et ordonnances affaire relative au personnel diplomatique et consulaire des Etats-Unis à Téhéran (Etats-Unis d'Amérique c. Iran), demande en indication de mesures conservatoires, ordonnance du 15 décembre 1979, para 47.
- United States Diplomatic and Consular Staff in Tehran, Judgment, 1. C. J. Reports 1980, para 95.

[1] Ibid, para 102.

- CIJ, Communiqué de presse 1990/10, incident aérien du 3 juillet 1988 (République Islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), publié sur : https://www.icj-cij.org/fr/affaire/79
- COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE REQUÊTE INTRODUCTIVE D'INSTANCE enregistrée au Greffe de la Cour le 17 mai 1989 INCIDENT AÉRIEN DU 3 JUILLET 1988,(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE).
- ORDONNANCE DU 22 FÉVRIER 1996, COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE RECUEIL DES ARRÊTS, AVIS CONSULTATIFS ET ORDONNANCES, AFFAIRE DE L'INCIDENT AÉRIEN, DU 3 JUILLET 1988
- SETTLEMENT AGREEMENT ON THE CASE CONCERNING THE AERIAL INCIDENT OF 3 JULY 1988 BEFORE THE INTERNATIONAL COURT OF JUSTICE, published on : https://www.icj-cij.org/fr/affaire/79
- COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE, REQUÊTE INTRODUCTIVE D'INSTANCE, enregistrée au Greffe de la Cour le 2 novembre 1992, PLATES-FORMES PÉTROLIÈRES, (RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE).
- Oil Platforms (Islamic Republic of Iran v. United States of America), Judgment, I. C. J. Reports 2003, p. 161
- REQUÊTE INTRODUCTIVE D'INSTANCE, CIJ, (RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), Certains actifs iraniens.
- Cour Internationale de Justice, Communiqué de presse 2018/34 , publié sur : https://www.icj-cij.org/files/case-related/175/175-20180717-PRE-01-00-FR.pdf
- Violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (République islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), mesures conservatoires, ordonnance du 3 octobre 2018, C.I.J. Recueil 2018, p. 623.
- Cour Internationale de Justice, requête introductive d'instance, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955(RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN c. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), enregistrée au Greffe de la Cour le 16 juillet 2018, p 19, publié sur : https://www.icj-cij.org/files/case-related/175/175-20180716-APP-01-00-FR.pdf
- STATUT DE LA COUR INTERNATIONALE DE JUSTICE, publié sur : https://www.icj-cij.org/fr/statut
- Treaty of Amity, Economic Relations, and Consular Rights. (Iran United States of America). Signed at Tehran, on 15 August 1955, published on: https://treaties.un.org/Pages/showDetails.aspx?objid=0800000280142196
- Cour Internationale de Justice, violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (RÉPUBLIQUE ISLAMIQUE D'IRAN C. ÉTATS-UNIS D'AMÉRIQUE), demande en indication de mesures conservatoires, p 18, publié sur : https://www.icj-cij.org/files/case-related/175/175-20180716-REQ-01-00-FR.pdf
- Violations alléguées du traité d'amitié, de commerce et de droits consulaires de 1955 (République islamique d'Iran c. Etats-Unis d'Amérique), mesures conservatoires, ordonnance du 3 octobre 2018, C.I.J. Recueil 2018 (II), p. 630, par. 24).
- Application de la convention internationale pour la répression du financement du terrorisme et de la convention internationale sur l'élimination de toutes les formes de discrimination raciale (Ukraine c. Fédération de Russie), mesures conservatoires, ordonnance du 19 avril 2017, C.I.J. Recueil 2017, p. 115, par. 22, citant Interprétation des traités de paix conclus avec la Bulgarie, la Hongrie et la Roumanie, première phase, avis consultatif, C.I.J. Recueil 1950, p. 74).

إيران في العراق: الثابت والمتحول في الدور والنفوذ

Iran in Iraq: constant and shifting role and influence

الدكتور/ علاء نزار العقاد
Dr. Alaa Nizar Alaqad
جامعة القدس المفتوحة/ قطاع غزة-فلسطين
Al-Quds Open University / Gaza Strip- Palestine
بريد الكتروني: (press12.alaa@gmail.com)

ملخص:

جاء البحث بعنوان "**إيران في العراق: الثابت والمتحول في الدور والنفوذ**"، في الفترة الزمنية منذ بدء الاحتلال الأمريكي للعراق 2003م وحتى 2020م. بهدف تتبع ما أحدثه النفوذ الإيراني من تغيير في المعادلة السياسية الداخلية في العراق، لصالح القوى الشيعية وعلى حساب السنة التي ظلت لعقود طويلة، المتحكم الأساسي في الأوضاع السياسية في العراق، وما ارتبط بذلك من فتح المجال العراقي لدخول قوى اقليمية عديدة، على رأسها ايران، تحاول تحقيق اجنداتها الخاصة مستعينة في سبيل تحقيق ذلك، ببعض أدواتها كنفوذها الديني والأحزاب والميلشيات الشيعية التي تعاظم دورها بعد اسقاط نظام صدام حسين. واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي وأيضا منهج دراسة الحالة للوصول إلى معلومات وحقائق تفصيلية حول الأحداث والتطورات التي تشهدها العراق، والتي لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا. وخلص البحث ان الحديث عن النفوذ الإيراني في العراق لا يمكن ان يكون دون الحديث عن السياسة الخارجية الإيرانية لأن العراق يحتل مركزا مهما في السياسة الخارجية الإيرانية. فاذا عرفنا أهداف المشروع السياسي الإيرانيـ أبعاده، مقوماته، أدواته، أهدافه، نستطيع أن نعرف موقع العراق داخل هذا المشروع. كما خلص ان الصورة التي تظهر للدور والنفوذ الإيراني في العراق، هي صورة واسعة الانتشار ومنوعة، ولكنها تظهر ضلوع إيراني حذر يهدف إلى تأمين مصالح النظام الأساسية: الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية، وتجنب التردي والانزلاق إلى الفوضى أو الحرب الأهلية، والتشجيع على حكومة صديقة لا تشكل تهديداً ويهيمن عليها الشيعة، والاحتفاظ بروابط ونفوذ مع مجموعة من الفاعلين. ويوضح البحث ان استراتيجية إيران تستند إلى المطلب المتمثل في عدم ظهور العراق كتهديد، سواء ذات طبيعة عسكرية أو سياسية أو أيديولوجية. وأوصى إذا كانت إيران الآن، تحاول أن تعيد النظر في استراتيجية نفوذها تجاه العراق، فيجب أن تدرك أهمية استقلال العراق، ويجب أن تكون العلاقة، علاقة شراكة وليست سيطرة ونفوذ من جانب واحد. كما يجب العمل على عدم توريط العراقيين في الصراع الإيراني الأمريكي. وان لزيادة فرصة خروج العراق بنجاح من الانتقال السياسي إلى الحد الأعلى فينبغي على طهران وبغداد أن تعملا معا في قضايا الأمن المشترك.

Abstract:

The research was titled, Iran in Iraq: Constant and Shifting Role and Influence, In the period of time since the start of the American occupation of Iraq from 2003 until 2020. With the aim of tracking the change caused by Iranian influence to the internal political equation in Iraq, For the benefit of the Shiite forces and at the expense of the Sunnis, who for decades have been the main controllers of the political situation in Iraq, And the associated opening of the Iraqi field for the entry of many regional powers, headed by Iran, It is trying to achieve its own agendas, using some of its tools, such as its religious influence, and the Shiite parties and militias that have grown in their role after the overthrow of Saddam Hussein's regime. The research relied on the descriptive and analytical approach as well as the case study approach to obtain detailed information and facts about the events and developments in Iraq, which are continuing to this day. The research concluded that talking about Iranian influence in Iraq couldn't be without talking about Iranian foreign policy, because Iraq occupies an important position in Iranian foreign policy. If we know the objectives of the Iranian political project, its dimensions, components, tools, and goals, we can know the position of Iraq within this project. He also

concluded that the image that appears to the Iranian role and influence in Iraq is a widespread and diverse one, However, it shows cautious Iranian involvement aimed at securing the regime's basic interests: preserving the territorial integrity of Iraq, avoiding degradation and descending into chaos or civil war, encouraging a friendly government that does not pose a threat and is dominated by Shiites, and maintaining ties and influence with a range of actors. The research shows that Iran's strategy is based on the requirement that Iraq not emerge as a threat, whether of a military, political or ideological nature. And I recommend that if Iran is now trying to reconsider its influence strategy towards Iraq, then it should realize the importance of Iraqi independence, and the relationship should be one of partnership and not one-sided control and influence. It is also necessary to ensure that the Iraqis are not involved in the Iranian-American conflict. And to increase the chance of Iraq successfully exit from the political transition to the highest level, Tehran and Baghdad should work together on common security issues.

الكلمات المفتاحية (النفوذ الإيراني – الميلشيات العراقية – الفوضى المسيطر عليها – الجمهورية الإسلامية – الجهاد المقدس)

مقدمـــة:

شهدت التوجهات الإيرانية في السنوات الأخيرة تحركات واسعة النطاق في دوائر خارجية مختلفة في إطار تصور إيران لدورها الإقليمي أو دورها العابر للأقاليم في بعض الأحيان، وارتبطت تلك التحركات بتدخلات مباشرة في الشؤون الداخلية لبعض دول المنطقة على نحو يتجاوز ما هو مفهوم عادة بلغة المصالح القومية الإيرانية.

ومنها احتل العراق مكانة هامة في قرارة نفس إيران فالسياسات الحالية لإيران تجاه جارتها لاتزال متأثرة بالحرب المدمرة مع العراق التي تبعت الثورة الإيرانية عام 1979. فهذه الحرب 1980 –1988 التي وصفها مسؤولون إيرانيون "بالدفاع المقدس" كانت حدثاً محورياً بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية. وبعد اطاحة الولايات الامريكية المتحدة بالرئيس العراقي صدام حسين 2003م فتح المجال أمام الامتعاض السني وصعود الدولة الإسلامية في العراق والشام، وأصبحت الرؤية الإيرانية تنظر إلى حربها الحالية ضد داعش في العراق أو ترسمها على أنها استمرار للجهاد المقدس. أما نقطة الانطلاق لفهم دور إيران ونفوذها استدعى هذا البحث ان يخصص جانبا لتقييم صحيح لمصالحها، والتي اغلبها واضحة نسبياً، وفي معظمها، معترف بها بشكل صريح. وتتمثل أولوية طهران في الحيلولة دون ظهور العراق من جديد كتهديد لها، سواء كان ذلك في شكل عسكري أو سياسي أو أيديولوجي. ومن هنا فان التدخل والنفوذ الإيراني في العراق يثير العديد من الأسئلة المركبة في الكثير من الأحوال.

وجاء هذا البحث لاستكشاف طبيعة هذا الدور وتحليله ومعرفة ما هي ابعاده وانعكاساته المحتملة على تطور الأوضاع في العراق وانعكاساته المحتملة على الأمن الإقليمي بصفة عامة في محاولة لاستيضاح الموقف لعلنا نصل إلى بعض الحقائق لهذا الدور والنفوذ الإيراني في العراق وإلى بعض الرؤى التي تحدد أسلوب التعامل مع هذا الدور بإطار عملي وموضوعي وجاد دون تهوين أو تهويل. على ضوء أبعاد متعددة منها البعد الديني، والمصالح، وصعود داعش، والأهمية الجغرافية للعراق، ويركز بنوع خاص على العلاقات بين إيران والميليشيات والأحزاب الشيعية العراقية وعلى تبعات السياسات المذهبية الإيرانية على المصالح الأمريكية،

إضافة إلى ذلك يتناول البحث دور بعض الجهات المحددة الإيرانية الفاعلة في العراق، لاسيما الحرس الثوري ورجال الدين والحكومات الموالية لإيران، ويختتم البحث بالنتائج العامة وتوجيه توصيات.

إشكالية الدراسة: تكمن اشكالية الدراسة في طبيعة موضوعها المتعلق بالتدخل والنفوذ الإيراني في العراق ذو الطبيعة الخاصة منذ بدء الاحتلال الأمريكي للعراق 2003م وحتى الآن. وما أحدثه من تغيير في المعادلة السياسية الداخلية في العراق، لصالح القوى الشيعية وعلى حساب السنة التي ظلت لعقود طويلة، المتحكم الأساسي في الأوضاع السياسية في العراق، وما ارتبط بذلك من فتح المجال العراقي لدخول قوى اقليمية عديدة، على رأسها إيران، تحاول تحقيق اجنداتها الخاصة مستعينة في سبيل تحقيق ذلك، ببعض أدواتها كنفوذها الديني والأحزاب والميلشيات الشيعية التي تعاظم دورها بعد اسقاط نظام صدام حسين.

ومن ذلك يستوقفنا التساؤل التالي: "ما هو الثابت والمتحول في الدور والنفوذ لإيران في العراق؟؟". ومنه يتفرع التساؤل إلى أسئلة فرعية على النحو الآتي:

1. لماذا زاد النفوذ الإيراني إلى هذه الدرجة بعد احتلال العراق؟
2. ما أسباب زيادة النفوذ الإيراني في العراق؟
3. ماهي الأدوات التي تستخدمها إيران في إدارة سياستها العراقية وتحالفاتها الداخلية بالعراق؟
4. كيف استطاعت إيران أن تزيد نفوذها في العراق إلى هذا الحد؟
5. ماهي استراتيجية إيران تجاه الأحداث والانتقال السياسي للعراق؟

تمحور الهدف الرئيسي للدراسة في الوصول إلى تصور واضح حول محددات وحسابات السياسة الإيرانية تجاه العراق في ظل المتغيرات الحالية باعتبار أن إيران تمثل واحدة من اللاعبين الأساسيين في المنطقة. أما الأهمية تأتي من حيث تقديمها لقراءة عملية تجاه التدخل الإيراني في العراق وذلك في فترة زمنية مليئة بالمتغيرات والأحداث من 2003م وحتى 2020م وهذه الفترة الواقعة منذ الاطاحة بنظام الحكم للرئيس العراقي صدام حسين وحتى فترة اعداد هذا البحث.

إجرائياً اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة بكل جوانبها وأبعادها المختلفة، وتفسيرها للوصول إلى أسبابها ومسبباتها وعلاقتها ببعض المتغيرات المؤثرة في توجيهها للوصول إلى نتائج يمكن تفسيرها وتعميمها بطريقة موضوعية. وأيضا منهج دراسة الحالة للوصول إلى معلومات وحقائق تفصيلية حول الأحداث والتطورات التي تشهدها العراق، والتي لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا، مما يتطلب من الباحث التدقيق في تطوراتها وتداعياتها[1]. وتحددت الفترة الزمنية فيه ما بين الأعوام 2003 –2020، حيث تم تحديدها لكثرة الأحداث المتغيرة على المستوى المحلي، والإقليمي، والدولي وعلى وجه الخصوص شهدت هذه الفترة تدخلاً إيرانياً سياسياً وعسكرياً في العراق.

1. أبراش، إبراهيم (2009)، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان. ص 162 .

وبتفنيد أبرز الدراسات السابقة فقد جاءت متناولة جوانب وأبعاد مختلفة لموضوع البحث، كدراسة كشك[1] بعنوان "الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الإيرانية وفي الخطاب السياسي حول الملف النووي" والتي هدفت إلى التعرف على الثوابت والمتغيرات في السياسة الخارجية الإيرانية، بين الفترة 2005_2015م، وذلك بعد دراسة سمات الهوية الإيرانية الثابتة، وتأثيرها على رسم استراتيجية السياسة الخارجية للنظام السياسي الإيراني، وتفاعلها مع المتغيرات الإقليمية والعالمية. إلى جانب دراسة دور الخطاب السياسي في عكس تحولات السياسة الخارجية وكيف أسهم في تحقيق بعض أهدافها. وخلصت الدراسة ان إيران تمتلك هوية ثابتة تقوم على قيم "العدالة والاستقلال والوطنية" أثرت بشكل ضمني على تحديد توجهات السياسة الخارجية، ويتجلى التحول في توجهات السياسة الخارجية بالخطاب السياسي الرسمي المقدم للمجتمع الدولي، الذي يحمل إما لغة عدائية أو مرنة قادرة على عكس أهداف إيران من ناحية، والمساهمة في التأثير على طبيعة العلاقات بين الدول، من ناحية أخرى.

وكذلك دراسة رجب [2]: التي تناولت "السياسة الإيرانية تجاه المنطقة العربية: قراءة في الأبعاد وسيناريوهات المستقبل". وقد طرحت تساؤلات حول غاية إيران من مد سياستها في المنطقة العربية، وهل وصلت إيران وسياستها الخارجية لأقصى تمدد لها؟ وكيف سيكون مستقبل السياسة الإيرانية في المنقطة العربية خلال السنوات المقبلة؟، وهل ستعيد الدول العربية النظر في مسألة الدخول في تحالفات من نوع جديد مع طهران؟ وتوصلت الباحثة إلى أن ترجيح أي من السيناريوهات يتوقف على مجموعة من المحددات أهمها تتعلق بالسياسة الأمريكية، لذا فإن السيناريو الأول وهو الذي (يفترض استمرار نشاط السياسة الإيرانية على مستواه مع تمتعه بنوع من الشرعية، وقد تتغير السياسة الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية بالاتجاه نحو دعم عملية التسوية بدلاً من دعم المقاومة) هو المرجح تبعا لسياسة ادارة أوباما وذلك وفق رأي الباحثة، وتضيف بأن هناك مخاوف عربية من أن تتوصل إدارة أوباما إلى صفقة ما مع طهران تتضمن تحقيق السيناريو الأول.

وكانت دراسة آيزنشتات، مايكل 2015[3] التي تناولت "التدخل العسكري الإيراني في سوريا: الآثار طويلة الأمد"، والتي وضعت نظرة استشرافية لما ستكون عليه الخارطة السياسية الإقليمية في المنطقة، خاصة وأن إيران تسعى لأن يكون لها دور إقليمي هام في الخارطة السياسية للمنطقة. وأكدت الدراسة أن سوريا أصبحت ليس حليفاً فقط، بل دولة تابعة مدينة بالفضل لكل من إيران وحزب الله، وستعمل إيران على استغلال موطئ قدم لها في بلاد الشام من إنشاء فقاعة تمنع الوصول على طول السواحل اللبنانية والسورية، وهذا سيؤدي إلى سهولة نقل الأسلحة إلى حزب الله اللبناني بكل سهولة، وهذا بدوره سيعمل على وتسيع موطئ قدم إيران في شرق البحر المتوسط، وبلاد الشام.

---

1 . كشك، كارمن (2018): الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الإيرانية وفي الخطاب السياسي حول الملف النووي، دراسة ماجستير غير منشورة، برنامج الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت. فلسطين.

2 . رجب، إيمان. (2011). السياسة الإيرانية تجاه المنطقة العربية: قراءة في الأبعاد وسيناريوهات المستقبل. مجلة البحوث والدراسات العربية. عدد54. الصفحات 59-105.

3. آيزنشتات، ميكل (2015/10/21) التدخل العسكري الإيراني في سوريا: الآثار طويلة الأمد، معهد واشنطن للدراسات.

وتبين الدراسات مثل دراسة راكيل Rakel 2008[1]: كيف أن السياسة الخارجية الإيرانية محكومة بقرارات المرشد الأعلى النهائية، وترى أن هناك مجموعة من المؤسسات التي يفعلها أفراد ذوو نفوذ وتدخل في عملية صنع السياسة الخارجية، مثل الشخصيات المسؤولة في مجلس صياغة الدستور، ومجلس الخبراء، والحرس الثوي، والمجلس القومي الأعلى، والتي جميعها مرتبطة بمكتب المرشد الأعلى، لاسيما في حالة صنع السياسة الخارجية في الملف الإيراني. وهنا يرى كينيث بولاك Kenneth Pollack 2009[2] أن آية الله الخميني هو الذي حدد توجهات إيران الخارجية، فقد استطاع بشخصيته الكاريزمية وقدرته على التأثير، تحقيق المصالح الإيرانية ضمن خطوط حمراء وثوابت أفرزتها الثورة الإيرانية عام 1979م، وعكس ذلك في بنية النظام السياسي الإيراني وفي بنود الدستور والمعدل بعد وفاته في 1989م.

ورغم ان آراء واستنتاجات الباحثين والكتاب–في سياق الدراسات السابقة–قد تنوعت وتعددت في تشخيص الحالة الإيرانية وحول هويتها ومدى تأثيرها على السياسة الخارجية الإيرانية هل هي اسلامية أم وطنية أم براغماتية، فقد جاء هذا البحث على نحو مختلف ليركز على دراسة الثبات والمرونة في السياسة الخارجية الإيرانية ونفوذها ودورها في العراق بما يتناسب مع اشكالية البحث واطاره المنهجي.

وجاء البحث مقسما في نطاق المحاور التالية من أجل الإلمام بجوانبه المختلفة، وهي على النحو الآتي:

- مصالح إيران وحضورها في العراق
- بدايات صعود النفوذ الإيراني للعرق
- كيف تمارس إيران نفوذها
- أدوات النفوذ الايرانية في العراق
- أول خسارة لنفوذ إيران في العراق
- استراتيجية الفوضى المسيطر عليها
- نتائج عامة
- توصـيات

- **مصالح إيـران وحضورها في العراق:**

لا شك أن لإيران أهداف ومصالح استراتيجية في المنطقة بشكل عام وفى العراق على نحو خاص، باعتبار كون العراق المنافس التقليدي لإيران في المنطقة وحائط الصد الذي لعب أدواراً مهمة في السابق للتصدي للتغلغل الإيراني في الخليج وفى دوائر الامن القومي العربي، وذلك ضمن مشروع استراتيجي إيراني، له من المحددات والأهداف والأدوات ما يساعده على تحقيق أهدافه. وبين هذه المصالح والحضور لإيران في العراق:

1 .E.P. Rakel, "The Iranian Political elite, state and society relations, and foreign relations since the Islamic Revolution" (phd diss, Amsterdam Institute for Social Science Research, 2008)

2 . Kenneth Pollack, The Persian Puzzle (New York: Random House, 2004): 198

E.P. Rakel, "The Iranian Political elite, state and society relations, and foreign relations since the Islamic Revolution" (phd diss, Amsterdam Institute for Social Science Research, 2008)

1- ضمان (أو المحافظة على) عراق مسالم غير مجزأ بقيادة شيعية:

تجمع إيران وجارات العراق الأخرى مصلحة مشتركة تتمثل في منع تفكك العراق نتيجة للحرب والتمرد، و/أو الانفصال. فقد يساعد تفكك العراق على تقوية التحالفات-عبر الحدود-في وجه مركزية الدولة الإيرانية وقد تؤدي إلى رد فعل إيراني يهدف إلى المحافظة على مصالحها الحيوية. وستؤدي خطوات الأكراد العراقيين نحو الاستقلال على وجه الخصوص إلى رفع راية الخطر في طهران لأن من الممكن أن تلتقي الدولة الكردية حول قضية مشتركة مع الإيرانيين -أي ما يقارب 10% من سكان إيران البالغ عددهم 96 مليون نسمة -أو تشجعهم على السعي لتحسين وضعهم في إيران ذاتها أكثر مما سبق حتى الآن. وتتمثل المصلحة الإيرانية الثانية في وجود حكومة عراقية مركزية تكون قوية بما فيه الكفاية للحفاظ على وحدة البلد ولكن ضعيفة لدرجة لا تستطيع معها أن تشكل خطراً، ويمكن الوثوق بها لتبقى على علاقات ودية معها. ومن هذه الزاوية وبعد ان كانت تعتبر ضحية العدوان العراقي أثناء حكم صدام حسين فإن إيران تفضل أن تكون الحكومة في بغداد خاضعة لسيطرة الشيعة لأنه وحسب تعبير معلق إيراني وكما يقال "الديمقراطيات لا تتحارب" وعليه فإن الشيعة لن يحاربوا الشيعة[1].

وتكمن المصلحة الإيرانية الهامة الثالثة في العراق في وقف استكمال الطوق حولها من قبل الولايات المتحدة. فالنظرة السائدة في طهران هي أن الولايات المتحدة، إذا لم تكن ترغب في إزالة النظام في إيران، فهي على الأقل ترغب في استخدام ذلك كتهديد للضغط عليها لوقف ما تشك في أنه برنامج للتسلح النووي، وكذلك وقف دعمها لحزب الله والجماعات الأخرى المعادية لإسرائيل. بالإضافة الي اتاحة الفرصة لإيران للتمدد الاقليمي بما يمثل مجالاً مهماً للمساومة مع الولايات المتحدة حول البرنامج النووي، وفقا لمعادلة أن إيران المتمكنة بدرجة كبيرة من إدارة التفاعلات السياسية في العراق يمكن أن تتعاون مع الإدارة الأمريكية لتخفيف وطأة أزمتها في العراقي[2].

2- امتداد النفوذ عبر الحدود المفتوحة:

وجود عدد كبير من الإيرانيين داخل العراق بعد سقوط النظام البعثي مباشرة ليس شيئا غير عادي، وليس تطورا جديدا، فالحجاج الشيعة الإيرانيون سعوا دائما لزيارة الأضرحة المقدسة في العراق ومنهم من بقي هناك للدراسة في مدارسها الدينية وتزوج وكون أسرة له. ولكن تدفق الحجاج الإيرانيين زاد بانتظام منذ 2003م زاك يتراجع إلا بعد أن هاجم المتمردون الزعماء الشيعة والمساجد الشيعية. والواقع أن الاعتقاد السائد هو أن لإيران ضباط مخابرات بين صفوف الحجاج وأنها توظف لاجئين عراقيين يعودون إلى بلدهم من المنفى في إيران. وساعدها على تحقيق ذلك ما قامت به من إنشاء شبكة واسعة من الفاعلين العراقيين المواليين لها، والعمل على احداث درجة من الفوضى التي يتحكم فيها الطابور الخامس الايراني، لفرض واقع الوجود الايراني في

---

1 . كرايسز جروب الشرق الأوسط، إيران في العراق: ما مدى النفوذ؟ التقرير رقم38، 21 آذار 2005.
https://www.files.ethz.ch/isn/27457/038_iran_in_iraq_how_much_influence_arab.pdf

2 . رياض، الراوي، " البرنامج النووي الايراني واثره علي منطقة الشرق الاوسط"، دار الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2008.

العراق على الولايات المتحدة ودفعها الي وضعه في الاعتبار، واستغلال نقاط التوافق بين الجانبين لتحقيق هدف ايراني ثابت وهو توجيه ضربات قوية للسنه في العراق، وإضعاف وجودهم ووزنهم النسبي على الساحة العراقية[1].

3- الأحزاب الشيعية العراقية واجهة إيرانية:

فالمستفيدين الرئيسيين من النفوذ الإيراني في الجنوب هم الأحزاب العراقية التي عادت من منفاها في إيران بعد سقوط نظام صدام. وتضم هذه الأحزاب على وجه الخصوص المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وحزب الدعوة الذي ينقسم إلى ثلاث مجموعات أو أربع وهو يتمتع بهالة الشرعية بفضل مقاومته السرية الشجاعة للنظام البعثي في فترة السبعينيات والثمانيات. وفي الوقت ذاته في ايران تعلن هذه الأحزاب تبنيها لنظرية الخميني حول (ولاية الفقيه) وتعرب عن دعمها القوي للنظام الإيراني، ولم تتوانى ايران على إقامة شبكة واسعة من التنظيمات الخيرية والأحزاب السياسية الإسلامية البديلة التي تعمل لتوسيع نشاطها في كسب المزيد من الناس إلى هذه التنظيمات التابعة بصورة مباشرة أو غير مباشرة لإيران والتي تلتزم بخطها الفكري والسياسي[2].

4- الاحتفاظ بالتوازن في كردستان:

كان للحزبين الكرديين الرئيسيين في العراق علاقة متناقضة مع كل من الحكومات الإيرانية المتعاقبة ومع الحكام في بغداد، حيث لم يكونا يثقان بأي منهما، إلا أنهما كانا يشعران من حين لآخر بالحاجة للرجوع إلى أحدهما ضد الآخر. وفي عراق ما بعد البعث، تستمر علاقة الأكراد المتناقضة مع كل من إيران والحكومات المتعاقبة في بغداد، في وقت يستشعر الاكراد فرصهم في تحقيق حكم ذاتي معزز بشكل كبير. وربما الاستقلال أيضاً في شمال العراق، فإن الزعماء الاكراد يدركون أنهم لن يواجهوا فقط مقاومة صلبة من بغداد، بل إن إيران أيضاً قد تحاول تدمير تطلعاتهم، وبكلمات أحد المسؤولين في الاتحاد الوطني الكردستاني، أننا لا نستطيع تجاهل إيران، كما أنه ليس بوسعنا معاداتهم، ففي الماضي، قاموا بمساعدتنا عندما كان الجميع ضدنا، أننا لا نريد أن تكون لنا مشكلة مع إيران[3].

- **بدايات صعود النفوذ الإيراني للعرق:**

بعد حرب الثماني سنوات الدامية بين العراق وإيران في الثمانيات، أدركت طهران، أنه يجب السيطرة على البلد المجاور بأي شكل من الأشكال، لكي لا يصبح العراق نقطة ضعف مرة أخرى لطهران. فأقدمت الجمهورية الإسلامية، على تقديم الدعم المادي والمعنوي لكل من السياسيين المعارضين لصدام حسين، والشخصيات العراقية الراغبة في المقاومة المسلحة ضد النظام البعثي، وأشرفت إيران على تشكيل أول الجماعات الشيعية

1. Patrick Clawson," Much Traction from Measured Steps", the Washington institute, Policy Focus 100 , January 2010

2 . Yoel Guzansky, 'Made in Iran': The Iranian Involvement in Iraq,' Strategic Assessment 13, no. 4 (January 2011): p. 93, http://www.inss.org.il/upload/%28FILE%291295871240. pdf.

3 . كرايسز جروب الشرق الأوسط، إيران في العراق: ما مدى النفوذ؟ التقرير رقم38، 21 آذار 2005. ص29.
https://www.files.ethz.ch/isn/27457/038_iran_in_iraq_how_much_influence_arab.pdf

المسلحة في العراق، ومدتها بكل ما تحتاجه، فتكون جيش المهدي التابع لرجل الدين العراقي الشيعي، مقتدى الصدر، وساعدت منظمة بدر التي كانت في ذلك الوقت تتبع الحزب الأعلى الإسلامي العراقي[1].

بالتأكيد زادت السيطرة الإيرانية، على العراق منذ عام 2003؛ لكن بدايات إحكام القبضة الإيرانية على بغداد كان واضحًا من قبل الغزو الأمريكي، وأخذت سيطرة الجمهورية الإسلامية على العراق تزداد يومًا بعد يوم، بفضل المهندس الأول لها، الجنرال قاسم سليماني، الذي خاطب في وقت من الأوقات، رئيس أركان القوات الأمريكية المتواجدة في العراق، باعتباره – سليماني – الرجل الأول المتحكم في السياسية العراقية.

كيف تمارس إيران نفوذها:

منذ إطاحة الولايات المتحدة بالنظام البعثي في العراق، تعاملت إيران مع البلد المجاور على أنه ملفها الأمني الأكثر حساسية، والدليل على ذلك، هو سيطرة قاسم سليماني قائد فيلق القدس على السياسة الإيرانية في العراق، حتى إن أغلب – أن لم يكن جميع – سفراء إيران لدى بغداد، يأتون من خلفية عسكرية[2]، منذ سقوط الرئيس صدام اتبع النظام الإيراني ثلاث سبل لمد نفوذه على السياسات العراقية[3] :

1. تعزيز نفوذه الديني والترويج لولاية الفقيه.
2. التموضع على أنه المحكّم الرئيس في النزاعات السياسية العراقية.
3. تساعد إيران حلفاءها على اختلافهم على اكتساب المزيد من القوة من خلال العملية السياسية العراقية، ثم تعمل على نشوب الخصومة فيما بينهم لتأتي منقذاً وتفض نزاعاً غالبا ما تكون هي المسبب فيه.
4. معايرة الأنشطة العنيفة بين الميليشيات الشيعية الموالية بمثابة وسيلة للضغط على الجهات الفاعلة السياسية.

هذا فقد اعتمدت إيران فقط على القواسم الدينية المشتركة بين البلدين، ويمكن القول بأنها استثمرت بعض الشيء في هذا المجال، لكن صور إبرام النيران في قنصليتها في النجف وكربلاء، واحتجاج الطائفة الشيعية العراقية على تدخلها؛ يظهر أن هذا الاستثمار الديني لم يكن كافيًا.

فبالرغم من وجود أرضية مشتركة بين البلدين لعقد علاقة استراتيجية تعم بالفائدة والمصالح على العراق وإيران سويًا؛ تعاملت إيران وسليماني مع العراق على أنه تابع لها، يصدرون الأوامر له فقط، لا علاقة بلد مجاور وشريك سياسي وجغرافي مهم.

- **أدوات النفوذ الايرانية في العراق:**

تستخدم إيران عدداً من الوسائل والادوات لاختراق الوضع العراقي وتفكيكه وتمهيد الطريق أمام إعمال نفوذها في العراق، ويتضح ذلك من خلال الادوات التالية:

---

1 . ساسة Sasapost، 23 يونيو 2020، منطقة الشرق الأوسط، هل تراجع نفوذ إيران في العراق أم هناك خطة جديدة؟ 23 يونيو 2020. https://www.sasapost.com/iran-influence-in-iraq/

2 . ساسة Sasapost، 23 يونيو 2020، منطقة الشرق الأوسط، هل تراجع نفوذ إيران في العراق أم هناك خطة جديدة؟ 23 يونيو 2020. https://www.sasapost.com/iran-influence-in-iraq/

3 . علي رضا نادر. الدور الذي تضطلع به إيران في العراق، رؤية علمية بمنشورات السياسيات الدولية في مؤسسة RAND، 2015.

1- الأدوات الدينية:

يضطلع الوثاق الديني بين إيران والعراق بدور هام في أمن إيران القومي. وقد أوعز مسؤولون في الأمن الإيراني بضرورة تعزيز الشعور لدى الشيعة العراقيين بالانتماء إلى إيران بوصفه وسيلة لمنع الضربات الأمريكية، على اعتقاد أن العراقيين سوف يردون على الهجمات التي تطال إخوتهم في الدين. لكن نفوذ إيران المعنوي والديني على العراق ليس بالقوة التي تبغيها إيران. لذلك وضعت إيران سياسات دينية في العراق تهدف إلى جذب الشيعة العراقيين إلى فلكها بعيداً عن نفوذ رجال الدين المؤثرين في النجف، من أمثال آية الله علي السيستاني الذي ينبذ ولاية الفقيه ويدعو إلى تشكيل حكومة ذات تعددية دينية [1]. في حين يتشارط الإيرانيون والعراقيون إحساساً بالانسجام والانجذاب، ويزور حوالي أربعين ألف حاج إيراني العراق كل شهر، إلا أن العراقيين حذرون وقلقون من نفوذ الدولة الإسلامية الإيرانية السياسي والديني في بلادهم[2]. كما إن نفوذ السيستاني في العراق وخارجها هو ما قد يقلق إيران بنوع خاص، فهو رجل دين الأكثر احتراماً بين العراقيين الشيعة وقد توطدت علاقته بشيعة إيران بشكل وثيق بعد سقوط صدام وإعادة إحياء الصلات بين الإيرانيين[3]. منذ العام 2006م. كما ينشط السيستاني في السياسة العراقية وهو ليس بالتالي رجل دين "مسالما" وبعيداً عن السياسة، ممن يتحاشون تدخل رجال الدين في شؤون الدولة. كما أنه ليس من مؤيدي ولاية الفقيه.

وتعاني إيران الأمرين من أجل بسط نفوذها الديني في العراق بسبب رأي عامة الشعب العراقي السلبي وبسبب نفوذ السيستاني التي تتمتع أحكامه الدينية كما تفضيلاته السياسية بتأثير مباشر ليس على النفوذ الإيراني في العراق فحسب، إنما أيضاً على سلطة الدولة الإسلامية الإيرانية ضمن أراضيها. وقد عجز الحكومة الإيرانية مرارا من استبدال السيستاني، إلا أنها تحاول دعم رجال دين محليين أقل شأناً للحد من نفوذه، من ناحية، وللاستعداد لملء الشغور عند وفاة آية الله الذي شاخ في العمر، من ناحية أخرى.

ويبدو أن إيران جهزت آية الله هاشمي الشاه رودي الإيراني ليكون آية الله الذي يخلف السيستاني على النجف بعد موته [4]. والشاه رودي كان من كبار المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وهو قريب من آية الله خامنئي وقد يحاول تحويل النجف إلى مركز ديني أكثر نشاطاً على الصعيد السياسي تحت نفوذ مدينة قم. في تشرين 2011. ورغم ذلك كان من الصعب على الشاه رودي أن ينسخ ما بناه السيستاني من قاعدة أتباع[5]لا تستطيع إيران أن تحدد بسهولة خلافة السيستاني، إذ إن مركزه ليس مركزاً رسمياً مثل القائد الأعلى. فهو قد اكتسب مكانته الرفيعة من الشيعة حول العالم، خاصة المراجع العليا أو المراجع التي يتقدى بها. بغض النظر عن ذلك، ليس للسيستاني خلف محدد. وهذا ما جعل ايران تستخدم نفوذها السياسي والعسكري

1 . علي معموري، "مدينتا النجف وقم تتخذان مقاربات مختلفة في العراق"، المونيتور، 20 تموز 2014 .ابتداء من 24 شباط 2015
http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/07/iraq-crisfgfis-najaf-qom-different-views.htm

2 . مايكل أيزنشتاد ومايكل نايتس وأحمد عيل، قوة إيران في العراق: محاربة مقاربة طهران، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2011.

3 . مايكل سلاكمان، "العلاقات العراقية–الإيرانية تشكل أخطاراً جديدة لواشنطن"، نيويورك تايمز، 8 حزيران 2006.

4 . علي معموري، "مدينتا النجف وقم تتخذان مقاربات مختلفة في العراق"، المونيتور، 20 تموز 2014 .ابتداء من 24 شباط 2015
http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/07/iraq-crisfgfis-najaf-qom-different-views.htm

5 . تيم أرانغو ، "إيران تلح على مسؤول ليصبح قائد الشيعة المقبل"، نيويورك تايمز، 11 أيار 2012.

لبلورة مشروع ديني في العراق، وان تحرص على ان يكون رجل الدين الذي سيخلف السيستاني أكثر ليناً، لا بل أكثر طاعة تجاه المصالح الإيرانية[1].

ومما سبق نؤكد أن الدور الذي يؤديه الدين يشكل وجهاً أساسياً في التعبئة السياسية الشيعية. فعلى مر التاريخ ارتبط التحرك الناشط الشيعي في العراق ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسة الدينية الشيعية. وتعتمد الميليشيات الشيعية على رجال الدين لتثبت شرعيتها، وسعت إلى توحيد خطاباتها توجهها الفكري مع تلك التي تنادي بها المدارس الدينية، إذ تسهل المواعظ الدينية نشر الأهداف السياسية والاجتماعية. ولا تختف النزاعات التي تقوم بين حوزتي النجف وكربلاء كثيراً على الخلاف الظاهر بين سياسات بغداد أو في ساحة المعركة[2].

2- الأدوات السياسية والأمنية:

عملت ايران على خلخلة الاوضاع السياسية في العراق، وعلى إضعاف حكوماته تمهيداً لخلق قيادة سياسية ضعيفة تدين بالولاء والطاعة لإيران، الأمر الذي يسهل لها تحقيق مصالحها بأقل تكلفة ممكنه، ونشير إلي تصريح قائد فيلق القدس الايراني قاسم سليماني[3] الذي قال فيه "أن بلاده حاضرة في الجنوب اللبناني وفي العراق وأن هذين البلدين يخضعان بشكل أو بأخر لإرادة طهران وأفكارها".

كما عملت إيران على خلق حالة من الشك والريبة في العلاقة ما بين القيادات السياسية في العراق وعلماء الدين السنة، من خلال ترويج إشاعات عن فساد هذه الشخصيات وقيامهم ببعض الاعمال المخالفة للنظام والدولة، مما يسهم في ابتعاد نسبي لهذه القيادات الدينية عن دوائر صنع القرار، وما يؤدي إليه ذلك من تشويه المذهب السني في العراق، علاوة على ما يوفره من مناخ للحقد والكراهية بين رجال الدين والحكام بشكل عام[4]. هذا بالإضافة الي إتاحة المجال لعمل أجهزة الاستخبارات الايرانية للعمل السياسي السري والعلني في العراق، من خلال الحرس الثوري الإيراني وجهازي الأمن والاستخبارات الإيرانية ومجموعات من الميليشيات التابعة لها، ومجموعات من الحوزة الدينية في قم، وفي الغالب تعمل هذه الجهات تحت واجهات متعددة ومستترة من خلال وجودها داخل تنظيمات سياسية إسلامية عراقية، وتنظيمات خيرية ودينية، وواجهات دبلوماسية وتجارية ومكاتب صحفية وإعلامية وغيرها[5].

3- الأدوات الاقتصادية:

كان لإيران اهتماماً موازياً بالاختراق الاقتصادي وإضعاف العراق على هذا المستوي، وهو الأمر الذي استطاعت إحداثه أو عمله من خلال ما يلي: شراء الاصول (صناعية وزراعية وعقارية) وجعلها ملاذاً أو مكاناً للمؤيدين لها يسكنون فيها ويبحثون خلالها على عمل في هذه الاماكن لتوسيع مناطق السيطرة والنفوذ.

---

1 . علي رضا نادر. الدور الذي تضطلع به إيران في العراق، رؤية علمية بمنشورات السياسيات الدولية في مؤسسة RAND، 2015.

2 . رانج علاء الدين. احتواء الميليشيات الشيعية المعركة من أجل الاستقرار في العراق، في موجز السياسة، مركز بركنجز الدوحة، ديسمبر، 2017.

3 . بأمر المرشد الاعلى السيد علي خامنئي، تولى سليماني، مسئولية السياسة الخارجية الإيرانية في عدة دول منها : لبنان، العراق، الخليج، فلسطين، افغانستان.

4 .Michael knight, "Iran's Influence in Iraq", Washington institute for near east, April 2012

5 . the Islamic Republic and ''soft war,'' see Nima Adelkhah, ''Iran Integrates the Concept of the 'Soft War' Into its Strategic Planning,'' Terrorism Monitor 8, no. 23,June 12, 2010

ومحاولة إيران تخريب الاقتصاد العراقي حيث أصبح العراق سوقا مفتوحة للبضائع الإيرانية بمختلف أنواعها، مما جعل الاقتصاد العراقي تابعا لإيران تبعية مطلقة، ومعتمداً عليها اعتماداً كلياً، كما شجعت إيران التجار على السفر إلى العراق والاستثمار هناك وخصوصا في المدن المقدسة عند الشيعة ودفع أسعار خيالية للاستحواذ على اقتصاد العراق[1]. التخطيط الإيراني لجعل ميناء خميني بديلاً عن العقبة وربط إيران والعراق بخط السكك الحديدية مع سوريا وتركيا. وسرقة النفط العراقي من حقول البصرة –قدّره تقرير (بيكر–هاملتون) بنصف مليون برميل يوميا–وحقول (مجنون والفكة) التي طردت الكوادر الهندسية النفطية العراقية منها أمام مرأى ومسمع حكومة الاحتلال واستخدامها لطريقة الحفر المائل لسحب النفط من داخل عمق الحدود العراقية التي ادعت إنها آبار مشتركة –يقع بعضها داخل الأراضي العراقية بعمق(10) كم. كما استغلت إيران وجود عملائها في الحكومات المنشأة في ظل الاحتلال وقضمت المزيد من الأراضي العراقية وبالذات في محافظتي ميسان والبصرة حيث تتواجد الحقول النفطية العراقية الكبرى، وهي تحاول حاليا ضم جزيرة أم الرصاص العراقية الغنية بالنفط[2].

4– الأدوات الثقافية:

كما عملت على تغيير المناهج والمواد الدراسية في العراق، من خلال إعادة كتابة تاريخ الحرب العراقية الإيرانية (من1980م إلى 1988م)، وتم حذف الحقيقة التاريخية التي تقول إن القوات الإيرانية هي التي قامت بقصف المدن العراقية، وقصفت المنشآت الاقتصادية والبواخر الراسية في شط العرب، وأن القوات العراقية قامت بالرد على العدوان يوم 22 سبتمبر 1980م، أي بعد 18 يوما من التحركات الفعلية الإيرانية لاحتلال العراق[3].

علاوة على أن معظم المراكز الثقافية والمكتبات الموجودة في العراق أصبحت تقع تحت النفوذ والسيطرة الإيرانية حتى وصل الامر لقيام وزارة التربية العراقية بمنح عقود طباعة الكتب المدرسية في المطابع الايرانية. ناهيك عن التركيز على مخاطبة الرأي العام العراقي من خلال السيطرة علي بعض وسائل الاعلام، وهو الأمر الذي تم من خلال إنشاء المحطات الفضائية التلفزيونية الطائفية الموجهة إلى الشعب العراقي، والتي بلغت أكثر من عشرين محطة فضائية مثل: السلام والعدل ومحطتا أهل البيت والفرات والفيحاء وآفاق وبلادي والمسمار الأولى والثانية والغدير وكربلاء والفرقان والمهدي والعدالة الأولى والثانية. وغيرها.

5– الميلشيات الشيعية:

ولتشكل مصدر ضغط على اللاعبين السياسيين من أجل وضع سياسات تخدم الجمهورية الإسلامية، عملت إيران على تمويل المجموعات الجهادية وتجهيزها وحتى انشائها. فكلما ازدادت قوة المجموعات غير الحكومية،

1 . Aseel Kami, ‘‘Iran Exports to Iraq to Pass& bn in 2010", www.reuters.com/article//us-iraq-iran-trade-interview-idUSTR25/4/2010.

2 . حسام سويلم، " التوجه الايراني في الخليج: المضامين والاحتمالات"، مختارات ايرانية، العدد 48، مركز الدراسات الاستراتيجية، القاهرة، يوليو، 2004.

3 . Anoushiravan Ehteshami and Mahjoob Zweiri, Iran and the Rise of its Neoconseratives: The Politics of Tehran’s Silent Revolution (London, New York: I.B.Tauris, 2007) p123

كلما ضعفت الحكومة المركزية العراقية. لكن كلما اكتسبت مجموعة جهادية ما قوة أكبر لتصبح حزبا سياسيا قابلا للحياة وبالتالي تظهر الحاجة إلى تخفيف حدة مواقفه لجذب قاعدة انتخابية أكبر، قامت إيران باستبدال الحزب من خلال انشاء مجموعة جديدة بذات الأسلوب[1].

تشكل المجموعات العراقية الشيعية ذات الطبيعة الانتشارية منفعة بالنسبة لإيران إذ من الصعب بالنسبة إلى أي مجموعة أن تكبر بشكل يسمح لها بالاستقلال عن الجمهورية الإسلامية التي تزودها بالمال والسلاح. وفي الحرب على داعش، تتصدر الخطوط الأمامية المجموعات الشيعية الأصغر حجماً المنضوية تحت قيادة عسكريين أكثر استقراراً مثل منظمة بدر بقيادة هادي الأميري الذي سلمه رئيس الوزراء العبادي مسؤولية قيادة المعارك في محافظة ديالي. أميري مقرب من الحرس الثوري الإيراني خاصة من سليماني مما يعني أن إيران هي التي تدير فعلياً العمليات العسكرية في ديالى وفي أماكن أخرى بالنيابة عن الحكومة العراقية. وغالباً ما يقال ان المجموعات الشيعية العراقية من كثر تعسفاتها ضد السنة جعلت من السنة ينجذبون إلى أيديولوجية داعس وسياستها. ويواجه إيران مأزقاً كبيراً إذ أنه من غير المرجح أن تهزم المجموعة السنية في العراق بالكامل طالما تبني نفوذها من خلال المجموعات الشيعية. غير أن اضعاف المجموعات الشيعية قد يقود إلى تعزيز قدرات الحكومة المركزية العراقية مما قد يشكل تهديداً للنفوذ الإيراني على المدل الطويل[2].

من خلال تحليل السياسة الإيرانية في العراق على مدار السنوات السابقة، نجد ان طهران خططت لتعزيز نفوذها في العراق، ليس فقط من خلال علاقاتها بالطبقة السياسية الشيعية العراقية، ولكن أيضًا من خلال دعم طهران تأسيس ميليشيات موالية لها. فقد تمثلت إحدى الاستراتيجيات المبكرة التي تبناها "قاسم سليماني" في استنساخ الحرس الثوري الإيراني من خلال إنشاء قوات الحشد الشعبي، بذريعة محاربة "داعش". وسعى "سليماني" لإضفاء الشرعية على الحشد الشعبي كقوات شبه عسكرية خارج التسلسل الهرمي للقوات المسلحة العراقية. وتحتفظ طهران بولاء هذه القوات من خلال تكليف قادتها، ومن خلال توجيه قدر كبير من الدعم المالي لهذه الميليشيات للحفاظ على ولائهم لها[3].

ولهذا كان بروز المليشيات الشيعية في العراق يمثل أحد أدوات تغيير الخارطة السياسية بشكل جذري في العراق.

تاريخيا تجند عدد كبير من الميليشيات العراقية رداً على فتوى علي السيستاني التي دعت جميع العراقيين اللائقين صحياً إلى الدفاع عن بلادهم حينما انهار الجيش العراقي وسقطت الموصل في قبضة تنظيم داعش في يونيو 2014. تجاوباً مع ذلك، تأسس تنظيم ميليشياوي عف باسم قوات الحشد الشعبي. ظاهريا، تشكل قوات الحشد الشعبي تنظيما يعمل بإذن الدولة ويأتمر للحكومة الاتحادية، لكنه على الأرض يخضع لسيطرة ميلشيات متحالفة مع إيران وناشطة منذ فترة على الساحة[4]، مثل عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله

1. مايكل أيزنشتاد ومايكل نايتس وأحمد عيل، قوة إيران في العراق: محاربة مقاربة طهران، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2011.

2 . علي رضا نادر. الدور الذي تضطلع به إيران في العراق، رؤية علمية بمنشورات السياسيات الدولية في مؤسسة RAND، 2015.

3 . Soleimani's successor is attempting to influence the Iraqi government crisis, Asharq Al-Awsat, April 2, 2020, accessible at: https://bit.ly/2xRQidE

4 . رانج علاء الدين. احتواء الميليشيات الشيعية المعركة من أجل الاستقرار في العراق، في موجز السياسة، مركز بركنجز الدوحة، ديسمبر، 2017.

وكتائب سيد الشهداء ومنظمة بدر. وتكون هذه الجهات رأس الحربة الفاعلة بالنسبة لقوات الحشد الشعبي وتتبع قائدها الفعلي هادي العامري (زعيم منظمة بدر) ونائبه أبو هادي المهندس (زعيم كتائب حزب الله). وقد نشطت هذه التنظيمات بشكل مستقل في خلال العقد المنصرم بفضل الموارد الهائلة التي يقدمها رعاتها في طهران ودعمهم الكبير لها. كما أنها استغلت دعوة السيستاني إلى القتال للمحافظة على وجودها وتشريعه وترسيخه.

وقد حارب الكثير من هذه المجموعات في الماضي قوات التحالف الغربي والجيش العراقي على حد سواء. وعلاوة على الخطابات الطائفية التي تعتمدها هذه الميليشيات والدعم الإيراني الكبير لها، لقد فاقمت حدة التوترات الطائفية في العراق بين الشيعة والسنة العرب، الأمر الذي استغلته مجموعات مقاتلة مثل داعش لزيادة عديدها. وقد شغلت الميليشيات أيضاً بال فئات خرى من المجتمع العراقي، من بينها الأكراد، الذين اشتبكوا مع الميليشيات في سلسلة من المناوشات في أراضي مهمة متنازع عليها، بالإضافة إلى مكونات المجتمع الشيعي التي ترفض أن يخضع العراق لمجموعات مسلحة لا تخضع للمساءلة[1].

اجمالا يمكن القول ان إيران قد شرفت على الدعم المالي والمعنوي للفصائل المسلحة، والسيطرة على هياكل الحكومة العراقية، فعلي سبيل المثال، وزارة الداخلية العراقية تقع تحت سيطرة منظمة بدر، التي تعتبر من أوائل الجماعات الشيعية شبه العسكرية، والتي تأسست بدعم إيراني كبير.

فاذا نظرنا لقاسم سليماني فانه اتبع سياسية أمنية بحتة في التعامل في العراق، حتى أن مكانته وسيطرته وسط الفصائل السياسية العراقية تأتي من هذا المنطلق. في المقابل لم تستثمر إيران في العراق اقتصاديا أو اجتماعيا، فتعاملت مع العراق دائمًا على أنه سوق لتصريف منتجاتها، ولم تهتم ببناء استثمارات اقتصادية كبيرة وفعالة، كان من الممكن أن تساعد البلدان على تخطي المصاعب الاقتصادية.

حتى استثمار إيران في الفصائل المسلحة، أوصلها إلى أن يتبع قادة هذه الفصائل أوامر الجمهورية الإسلامية في إيران، ولا يستمعون إلى قادة العراق.

- **أول خسارة لنفوذ إيران في العراق:**

عندما اندلعت الاحتجاجات في العراق، في أكتوبر 2019، كانت مطالب المتظاهرين واضحة للغاية، القضاء على فساد النخبة السياسية الحاكمة التي يدين أغلبها بالكثير من الولاء لإيران، وحل أزمة البطالة، والفقر، وأزمة خريجي الجامعات، وتقديم خطة حكومية لإصلاح الخدمات العامة التي يفتقر إليها العراقيون منذ الغزو الأمريكي[2].

اعتقد القادة السياسيون في العراق بالتحالف مع قادة الفصائل شبه العسكرية، وكلاهما موالٍ لإيران، أن استخدام العنف هو أقصر طريق لإنهاء تلك الاحتجاجات، خاصة وأن رئيس الوزراء حينها، عادل عبد المهدي، الذي جاء إلى منصبه بشق الأنفس، كان قد أكمل عامًا واحدًا للتو في السلطة.

---

1 . المرجع السابق.

2 . ساسة Sasapost، 23 يونيو 2020، منطقة الشرق الأوسط، هل تراجع نفوذ إيران في العراق أم هناك خطة جديدة؟ 23 يونيو 2020. https://www.sasapost.com/iran-influence-in-iraq/

لكن الأمور لم تسر كما تم التخطيط لها، وزاد عنف القوات الأمنية والفصائل المسلحة من عناد المحتجين، وامتدت رقعة المظاهرات، لتشمل محافظات الجنوب العراقي، ذات الغالبية الشيعية.

في المقابل، كانت طهران وعلى رأسها قاسم سليماني، يرون أن الأمر لا بد أن ينتهي، دون تقديم تنازلات من قبل النخبة السياسية، فأخذ يزور العراق بشكل مستمر، للاجتماع مع كافة الأطراف العراقية لوضع حل لتلك الأزمة.

إلى هنا، لم تكن مطالب المحتجين في الشوارع، تتخطى ما تم ذكره أعلاه، لكن تصريحات الزعيم الأعلى الإيراني، آية الله علي خامنئي، والمسؤولين الإيرانيين، زاد الطين بله، عندما وصفوا المحتجين بأنهم أدوات وعملاء في يد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة. وقتها، هتف المتظاهرون في أغلب المدن العراقية "إيران برا برا، بغداد تبقى حرة"، وكانت تلك الشعارات هي أول مسمار في نعش النفوذ الإيراني في العراق. تلك الشعارات إحراق المتظاهرين الغاضبين للقنصليات الإيرانية في النجف وكربلاء، أكثر من مرة، تلك المدن الشيعية التي لها حساسية خاصة في إيران، وتم حرق صور آية الله خامنئي، وضربها بالأحذية[1].

وكان تقرير لصحيفة "كيهان. لندن"، قد اورد "إن موقف العراق من التواجد الإيراني على أراضيه بجانب العقوبات الأمريكية يلعبان الدور الأبرز في تراجع نفوذ إيران في منطقة الشرق الأوسط".

ورأى التقرير، أن " العوامل التي يرتكز عليها النظام الإيراني لمد نفوذه في العراق باتت تسقط واحدا تلو الآخر، وذلك بالتزامن مع تضرر سياسات طهران للبقاء في العراق بشكل لافت خلال الفترة الراهنة." وأوضح التقرير: أن "اغتيال قائد فيلق القدس السابق قاسم سليماني، وتراجع الموقف العسكري للميليشيات الموالية للنظام الإيراني يُمثلان الضربة القاصمة للحد من نفوذ النظام الإيراني في العراق."

ولفت إلى حالة التغيير الجذري التي تشهدها قوات الحشد الشعبي مؤخرًا، خاصة مع التحاق عدد منهم بالجيش العراقي، بالإضافة إلى موقف عدد من القيادات العسكرية بالحشد وأبرزهم التابعين للمرجع الشيعي الأعلى آية الله السيستاني من نفوذ ايران، وهو ما يراه التقرير قد ساهم بشكل كبير في تراجع نفوذ طهران العسكري في بغداد. واستند التقرير في رؤية إلى نتائج استطلاع رأي لمؤسسة (IIACSS) المستقلة للدراسات المدنية، والتي أكدت تراجع شعبية إيران لدى العراقيين خلال العام الأخير إلى أدنى مستوى، بعدما وصلت إلى 15.%[2] .

- **استراتيجية الفوضى المسيطر عليها:**

حاولت إيران عبر هذه الإستراتيجية الحفاظ على الأوضاع في العراق ولكن بطريقتها الخاصة، ومفاد هذه الاستراتيجية إشاعة نوع من الفوضى القابلة للسيطرة عليها في الأمد القصير يعد السبيل الأمثل لتحقيق المصالح الإيرانية في العراق، أي ان ايران تريد أن تكون هي "مديرة الفوضى" التي يمكن السيطرة عليها في العراق، وهي محاولة صعبة تحتاج إلى قدر كبير من التوازن الدقيق. فمن جهة تحاول إيران إبقاء الولايات

1 . المرجع السابق.

2. شفق نيوز، تقرير إيراني يعترف: العراق السبب بتراجع نفوذ طهران بالشرق الأوسط، 19 يونيو 2020 https://shafaaq.com/ar/

المتحدة منشغلة في العراق لكنها في الوقت نفسه لا تضمن أن تؤدي مثل هذه الفوضى العراق إلى انفلات حقيقي يهدد الجوار الإيراني[1].

اثبتت التطورات الميدانية أن إيران تحاول الرجوع خطوة للخلف، للتفكير بشأن علاقتها ونفوذها في العراق، وإنها مصممة على الاحتفاظ بوحدة أراضي العراق، بتجنب عدم الاستقرار الشامل، والتشجيع على وجود حكومة صديقة يسطر عليها الشيعة، والأهم من ذلك، الإبقاء على الولايات المتحدة منشغلة وفي وضع حرج. وقد ترتب على ذلك نشوء استراتيجية ذات شعاب ثلاث معقدة: التشجيع على ديمقراطية الانتخابات –كوسيلة لإنتاج الحكم الشيعي–، والترويج لخلق لدرجة من الفوضى بحيث تكون سهلة الانقياد وذلك لإحداث اضطراب مطول ولكن قابل للسيطرة عليه؛ والاستثمار في سلسلة واسعة من الفاعلين العراقيين المتنوعين، الذين كثيراً ما يكونون منافسين لتقليل المخاطر إلى الحد الأدنى في أية نتيجة يمكن تصورها. إن هذه المصالح وهذه الاستراتيجية، وهي أكثر من مجرد محاولة هادفة لصياغة العراق في الصورة الخاصة به، تفسر تورط إيران ومجموعة استخباراتها والأموال –ومن المحتمل الأسلحة–التي تقدمها، وربما قرارها من حين لآخر لدعم الحركات المسلحة، وهي تفسر أيضاً التناقض الظاهري لروابط إيران المتزامنة مع النخبة السياسية في العراق، والتي تأمل في استقرار البلاد، ومع رجال الدين الشيعة الذين يهدفون إلى أسلمته ومع بعض الناشطين أو المتمردين السياسيين الثائرين، المصممين على تغذية القلاقل[2]. فإيران تنظر إلى الأحداث في العراق كجزء من منافستها الأوسع ومخاوفها المتشككة المتزايدة تجاه الولايات المتحدة من حضور أمريكي على حدودها، ومن صعود الدولة الإسلامية ومجموعاتها السنية وصعود داعش على وجه التحديد إلا أن طهران تمتنع عن خيار تدخل أوسع بكثير لإنتاج عدم استقرار أكبر.

من المعلوم ان إيران قد حرصت على إيجاد حكومة مركزية قوية في بغداد تمنع حدوث فوضي يمكن أن تصل الي إيران، وكذلك منع حدوث عملية انفصال لأي اقليم عراقي خاصة اقليم كردستان الذي من شأنه أي يؤثر علي وضع الاقلية الكردية في إيران، ويشجعهم على تصعيد مطالبهم السياسية ضد الدولة الايرانية.

وفي ظل ما سبق عملت إيران على تحقيق إيجاد حكومة عراقية مستقرة بأغلبية شيعية، وتكون ذات طابع ديني–ليس بالضرورة أنا تكون قائمة على اساس ولاية الفقيه السائدة في إيران–ولكن على الاقل لا تناصب إيران العداء، لذلك كانت إيران أول حكومة تعترف بمجلس الحكم العراقي المؤقت وأعلنت تأييدها للحكومة ودعمها للدستور وإجراء الانتخابات وقدمت الدعم اللازم للقوي الشيعية المشاركة فيها[3]. وساعد إيران على تحقيق ذلك ما قامت به من إنشاء شبكة واسعة من الفاعلين العراقيين المواليين لها، والعمل على احداث درجة من الفوضى التي يتحكم فيها الطابور الخامس الايراني، لفرض واقع الوجود الايراني في العراق على الولايات

1 . ورشة عمل بعنوان: وحدة الأمن الإقليمي وثقافة السلام، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية (ICFS)، ، برنامج الدراسات الإيرانية، القاهرة، 29 آب 2017. ص43.

2 . كرايسز جروب الشرق الأوسط، إيران في العراق: ما مدى النفوذ؟ التقرير رقم38، 21 آذار 2005. ص2.
https://www.files.ethz.ch/isn/27457/038_iran_in_iraq_how_much_influence_arab.pdf

3 . Anoushiravan Ehteshami and Mahjoob Zweiri, Iran and the Rise of its Neoconserratives: The Politics of Tehran's Silent Revolution (London, New York: I.B.Tauris, 2007)

المتحدة ودفعها الي وضعه في الاعتبار، واستغلال نقاط التوافق بين الجانبين لتحقيق هدف ايراني ثابت وهو توجيه ضربات قوية للسنه في العراق، وإضعاف وجودهم ووزنهم النسبي على الساحة العراقي[1]. وفي المرحلة الحالية تحاول طهران ترتيب أوراقها لتبدأ من جديد. لأن الأمور قد تغيرت في العراق، بعد مقتل سليماني، وتصاعد الاحتجاجات العراقية، فبداية فان اغتيال الولايات المتحدة لقاسم سليماني وأبو مهدي المهندس، صديقه المقرب، والرجل المتحكم في جميع أمور هيئة الحشد الشعبي؛ جعل من النفوذ الإيراني في العراق ان يتلقى ضربة موجعة[2]، وبعد الهجوم الصاروخي الإيراني، على القوات الأمريكية المتمركزة بقاعدة عين الأسد العراقية، انتقامًا لاغتيال قاسم سليماني، اختارت القيادة العليا في طهران، أن تبقى الأمور كما هي عليه، لكي يتم التخطيط لمرحلة ما بعد سليماني في العراق، متيقنة أنه لا بديل لسليماني ولا يمكن تعويض جنرال العسكر الأهم بأي حال من الأحوال.

نتائج عامة:

1. ان الحديث عن النفوذ الإيراني في العراق لا يمكن ان يكون دون الحديث عن السياسة الخارجية الإيرانية لأن العراق يحتل مركزا مهما في السياسة الخارجية الإيرانية، فاذا عرفنا أهداف المشروع السياسي الإيراني أبعاده، مقوماته، أدواته، أهدافه، نستطيع أن نعرف موقع العراق داخل هذا المشروع.
2. تشير معظم الادبيات التي تناولت الوجود الايراني في المنطقة عبر مراحل تاريخية ممتدة إلى وجود جدل دائم حول هذا الوجود، وعلاقاته بدول الجوار القريب منها والبعيد، وقد يكون الثابت فقط في قراءة الوجود الايراني هو وجود مستوى معين من العداء والتنافس مع كل ما هو عربي بشكل عام وللعراق على نحو خاص.
3. ان الصورة التي تظهر للدور والنفوذ الإيراني في العراق، هي صورة واسعة الانتشار ومنوعة، ولكنها تظهر ضلوع إيراني حذر يهدف إلى تأمين مصالح النظام الأساسية: الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية، وتجنب التردي والانزلاق إلى الفوضى أو الحرب الأهلية، والتشجيع على حكومة صديقة لا تشكل تهديداً ويهيمن عليها الشيعة، والاحتفاظ بروابط ونفوذ مع مجموعة من الفاعلين. وباختصار، فإن استراتيجية إيران تستند إلى المطلب المتمثل في عدم ظهور العراق كتهديد، سواء ذات طبيعة عسكرية أو سياسية أو أيديولوجية.
4. وضعت إيران استراتيجية خاصة تجاه العراق ربما تقر إيران لنفسها حق التدخل في شؤون العراق من خلال تلك الاستراتيجية المعقدة ليس بسبب الجغرافيا السياسية أو العمق العقائدي المتمثل في وجود العتبات المقدسة والامتداد الشيعي بها، والذي جعلها على رأس قائمة الدول المستهدفة بتصدير الثورة

1 .Patrick Clawson," Much Traction from Measured Steps", the Washington institute, Policy Focus 100 , January 2010

2 . ساسة Sasapost، 23 يونيو 2020، منطقة الشرق الأوسط، هل تراجع نفوذ إيران في العراق أم هناك خطة جديدة؟ 23 يونيو 2020. https://www.sasapost.com/iran-influence-in-iraq/

الإيرانية فحسب بل بسبب مصالحها القومية ومستقبل نظامها. ولكنها من ناحية أخرى لا تقر أبداً بل تناهض أي تدخل أجنبي فيها وتعتبره من وجهة النظر مساسا بأمنها القومي.

توصـــيات:

1. إذا كانت إيران الآن، تحاول أن تعيد النظر في استراتيجية نفوذها تجاه العراق، فيجب أن تدرك أهمية استقلال العراق، ويجب أن تكون العلاقة، علاقة شراكة وليست سيطرة ونفوذ من جانب واحد، والعمل على عدم توريط العراقيين في الصراع الإيراني الأمريكي.
2. على المجتمع الدولي مساعدة العراق في إعادة بناء أجهزة استخباراته وقدرات سلطاته الجمركية على الرقابة والضبط، بما في ذلك توفير المعدات اللازمة.
3. ان حقيقة أن لإيران مصالح حيوية فيما يحدث في العراق هو أمر لا ريب فيه، كما أن كونها قد مارست حتى الآن نفوذا ينطوي على تحفظ كبير هو أيضاً جلي، حيث أن الواقع هو أن لديها القدرة على القيام بأكثر من ذلك بكثير وأسوأ من ذلك إلى حد بعيد. ولزيادة فرصة خروج العراق بنجاح من الانتقال السياسي إلى الحد الأعلى فسيكون من الأمور الجوهرية والحاسمة لطهران وبغداد أن تعملا معا في قضايا الأمن المشترك، كما أن على الولايات المتحدة أن تقوم على الأقل بالحيلولة دون حدود مزيد من التدهور في علاقاتها مع الجمهورية الإسلامية.

- **المراجـــع:**

- كتب:

1. أبراش، إبراهيم (2009)، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان.
2. أيزنشتات، ميلكل (2015/10/21) التدخل العسكري الإيراني في سوريا: الآثار طويلة الأمد، معهد واشنطن للدراسات.
3. تيم أرانغو، "إيران تلح على مسؤول ليصبح قائد الشيعة المقبل"، نيويورك تاميز، 11 أيار 2012.
4. رانج علاء الدين. احتواء الميليشيات الشيعية المعركة من أجل الاستقرار في العراق، في موجز السياسة، مركز بركنجز الدوحة، ديسمبر، 2017.
5. رياض، الراوي، " البرنامج النووي الايراني وأثره على منطقة الشرق الاوسط"، دار الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2008.
6. علي رضا نادر. الدور الذي تضطلع به إيران في العراق، رؤية علمية بمنشورات السياسيات الدولية في مؤسسة RAND، 2015.
7. مايكل أيزنشتاد ومايكل نايتس وأحمد عيل، قوة إيران في العراق: محاربة مقاربة طهران، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2011.
8. مايكل سلاكمان، "العلاقات العراقية–الإيرانية تشكل أخطاراً جديدة لواشنطن"، نيويورك تاميز، 8 حزيران 2006.
9. مقابلة كرايسز جروب مع أمير موهيبيان وهو صحفي كبير ومحافظ يكتب لصحيفة (رسالت) اليومية، طهران 23 ايلول 2004م.
10. ورشة عمل بعنوان: وحدة الأمن الإقليمي وثقافة السلام، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية (ICFS)، برنامج الدراسات الإيرانية، القاهرة، 29 آب 2017.

- **مجلات علمية:**

11. رجب، إيمان. (2011). السياسة الإيرانية تجاه المنطقة العربية: قراءة في الأبعاد وسيناريوهات المستقبل. مجلة البحوث والدراسات العربية. عدد54. الصفحات 59-105.

12. حسام سويلم، " التوجه الايراني في الخليج: المضامين والاحتمالات"، مختارات ايرانية، العدد 48، مركز الدراسات الاستراتيجية، القاهرة، يوليو، 2004.

- **رسائل وأطاريح علمية:**

13. كشك، كارمن (2018): الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الإيرانية وفي الخطاب السياسي حول الملف النووي، دراسة ماجستير غير منشورة، برنامج الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت. فلسطين.

- **مراجع أجنبية:**

14. Anoushiravan Ehteshami, "Iran-Iraq Relations after Saddam," The Washington Quarterly، August 2003, 123-125.
15. Anoushiravan Ehteshami and Mahjoob Zweiri, Iran and the Rise of its Neoconseratives: The Politics of Tehran's Silent Revolution (London, New York: I.B.Tauris, 2007)
16. E.P. Rakel, "The Iranian Political elite, state and society relations, and foreign relations since the Islamic Revolution" (phd diss, Amsterdam Institute for Social Science Research, 2008)
17. Kenneth Pollack, The Persian Puzzle (New York: Random House, 2004): 198
18. Michael knight, "Iran's Influence in Iraq", Washington institute for near east, April 2012
19. Patrick Clawson," Much Traction from Measured Steps", the Washington institute, Policy Focus 100 , January 2010
20. the Islamic Republic and ''soft war,'' see Nima Adelkhah, ''Iran Integrates the Concept of the 'Soft War' Into its Strategic Planning,'' Terrorism Monitor 8, no. 23,June 12, 2010

- **مواقع انترنت:**

21. ساسة Sasapost، 23 يونيو 2020، منطقة الشرق الأوسط، هل تراجع نفوذ إيران في العراق أم هناك خطة جديدة؟ 23 يونيو 2020. https://www.sasapost.com/iran-influence-in-iraq/

22. علي معموري، "مدينتا النجف وقم تتخذان مقاربات مختلفة في العراق"، المونيتور، 20 تموز 2014 .ابتداء من 24 شباط 2015
http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/07/iraq-crisfgfis-najaf-qom-different-views.htm

23. شفق نيوز، تقرير إيراني يعترف: العراق السبب بتراجع نفوذ طهران بالشرق الأوسط، 19 يونيو2020
https://shafaaq.com/ar/

24. Soleimani's successor is attempting to influence the Iraqi government crisis, Asharq Al-Awsat, April 2, 2020, accessible at: https://bit.ly/2xRQidE

25. كرايسز جروب الشرق الأوسط، إيران في العراق: ما مدى النفوذ؟ التقرير رقم38، 21 آذار2005 .
https://www.files.ethz.ch/isn/27457/038_iran_in_iraq_how_much_influence_arab.pdf

26. Aseel Kami, ''Iran Exports to Iraq to Pass& bn in 2010", www.reuters.com/article//us-iraq-iran-trade-interview-idUSTR25/4/2010.

27. Yoel Guzansky, 'Made in Iran': The Iranian Involvement in Iraq,' Strategic Assessment 13, no. 4 (January 2011): p. 93, http://www.inss.org.il/upload/%28FILE%291295871240. pdf.

استراتيجية الدول الإقليمية (الأجنبية) لاحتواء فيروس كورونا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ... (حراك – تآزر)

Regional (foreign) countries strategy to contain Corona virus in the Islamic Republic of Iran ... (mobility – (synergy

الأستاذ المساعد/ أمجد سعد شلال المحاويلي

جامعة القادسية / كلية التربية – قسم التاريخ

University of Qadisiyah / Faculty of Education - Department of History

E:amjad.almahawily.qu.edu.iq

الملخص:

بادئ ذي بدء شرعت هذه الدراسة على **إيضاح** بعض المصطلحات الواردة في متن عنوانها ؛ لما لها أثر في رسم ملامح البعد " **التاريخي** " و" **السياسي** " للقارئ الكريم في شأن الدراسة ، ثم **أهتمت** هذه الدراسة في تبيان استراتيجية – **خطط** – الدول التي تدور في " **الفلك الإقليمي** " مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، **تطرق** الباحث فيها عن تحركات الدول الإقليمية " **الأجنبية** " واستراتيجياتها ، من خلال الخطط والإجراءات التي تنوعت أصنافها ما بين إرسال مساعدات " **طبية – علاجية** " تارة ، وكادر طبي متخصص في تشخيص الفيروس ؛ لغرض جعل الخبرة **الطبية – العلاجية** " للدول الإقليمية تحت تصرف الجمهورية ونظائرهم في وزارة الصحة ومستشفيات الجمهورية تارة أخرى ، **قبيل عرض** استراتيجية الدول الإقليمية رغب الباحث في تصدر تلك الاستراتيجية توضيح **الخطوط العريضة** للاستراتيجية الإيرانية وفق الحراك والتآزر مع الدول الإقليمية من أجل احتواء الفيروس ، **الأمر** الذي دفع الباحث إلى تقسيم الدراسة على نحو **أربعة مطالب** ، هي : المطلب **الأول : (فذلكة في الاستراتيجية الإيرانية لاحتواء الفيروس)**، والمطلب **الثاني : (حراك الصين وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس)**، والمطلب **الثالث : (حراك تركيا وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس)**، والمطلب **الرابع : (حراك** " **روسيا – اليابان – بيلاروسيا – جورجيا** " **وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس)**، زد على ذلك سبق تلك المطالب **ديباجة** في تبيان دلالة مصطلح **(الاستراتيجية – الإقليمية – فيروس كورونا)** ، وعقب هذه المطالب **خاتمة ونتائج** الدراسة ، التي تمثلت في ابرزها : ان الجمهورية لم تتقاعس أو تتردد في استخدم أي وسيلة في ردع الفيروس ، وحماية مواطنيها بشتى الطرق والسبل ، الأمر الذي دفعها إلى مخاطبة وزارة خارجيتها ومؤسساتها " **القنصليات – الممثليات الدبلوماسية** " في الدول الإقليمية " **الأجنبية** "؛ للاتصال بها من أجل تشديد الرقابة على منافذها الحدودية معها ، وغلقها مؤقتاً من طرف ، والتآزر معها في تخطي – **الوباء** – الفيروس من طرف آخر ، وعلى الرغم من حراك الجمهورية هذا الا انها لم تنال سوى ما بين سلفاً ، الأمر الذي دفع الباحث إلى القول – **ان جاز التعبير** – تواجه مصيرها مع الفيروس حالها حال الدول التي اجتاحها .

الكلمات المفتاحية: الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الدول الإقليمية، الاستراتيجية، الصين، تركيا، روسيا، اليابان، فيروس كورونا.

ABSTRACT

First of all, this study set out to clarify some of the terms contained therein; Because it has an effect in charting the features of the "historical" and "political" dimension of the noble reader regarding the study, then this study was interested in explaining a strategy - plans - countries that revolve in "regional astronomy" with the Islamic Republic of Iran, the researcher discussed the movements and strategies of countries, Through plans and procedures whose varieties varied between sending “medical-therapeutic” aid at one time and a medical staff specialized in

diagnosing the virus; For the purpose of making medical-therapeutic expertise "foreign" regional states "at the disposal of the Republic and their counterparts in the Ministry of Health and the hospitals of the Republic at another time, before presenting the strategy of regional countries, the researcher wanted to lead this strategy to clarify the broad lines of the Iranian strategy according to the movement and synergy with regional countries in order to contain the virus , Which prompted the researcher to divide the study into four requirements, namely: The first requirement: (So this is in the Iranian strategy to contain the virus), the second demand: (China's mobility and synergy with the republic to contain the virus), and the third demand: (Turkey's mobility and synergy with the republic to contain The virus), and the fourth requirement: (the mobility of "Russia - Japan - Belarus - Georgia" and its synergy with the Republic to contain the virus). Moreover, these prerequisite preceded the preamble in explaining the significance of the term (strategy - regional - Corona virus), and following these conclusions and the results of the study The most prominent of them was that the republic did not fail or hesitate to use any means to deter the virus and protect its citizens in various ways and means, which led her to address the Ministry of Foreign Affairs and Its politicians are "consulates - diplomatic representations" outside the republic; To communicate with regional (foreign) countries precisely for them, in order to tighten control over their border outlets with them, and to temporarily close them from one side, synergy with them in overcoming - the epidemic - the virus from another party, and despite this republican mobility, it only gained what Demonstrated in advance, the matter that prompted the researcher to say - so to speak - is facing its fate with the virus the same as the states that invaded it before and after the republic.

Keywords: Islamic Republic of Iran, Regional, Strategic Countries, China, Turkey, Russia, Japan, Corona Virus.

المقدمة

لما اجتاح الجمهورية الإسلامية الإيرانية **فيروس** عرف في أدبيات منظمة الصحة العالمية بـ" **فيروس – وباء – كورونا (كوفيد – 19)**" في يوم الخميس المصادف العشرين من شهر شباط في عام 2020م، اتخذت الجمهورية سبل لردعه تنوعت أصنافها على مختلف مؤسساتها وأجهزتها الحكومية والمدنية شكل ذلك "**حراكاً داخلي**"، في الفينة مثلت غلق الحدود وإيقاف الرحلات الجوية والتواصل مع وزارة خارجيتها ومؤسساتها "**القنصليات – الممثليات الدبلوماسية**" في خارج الجمهورية ؛ للاتصال مع الدول الإقليمية والمجاورة الأجنبية؛ من خلال تبادل الخبرات معها لاحتواء الفيروس "**حراكاً خارجي**"، من أجل الوقوف على حيثيات **الحراك الأخير** ارتأى الباحث إخراج هذه الدراسة على **مقدمة** و**ديباجة** و**أربعة** مطالب، هي على النحو الآتي :

أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة للوقوف على مبررات الباحث التي دفعته إلى تدوينه، هي:

- ☒ التعرف على استراتيجية الدول الإقليمية " **الأجنبية** " تجاه الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد اجتياح فيروس كورونا لمجتمع الأخيرة.
- ☒ الوقوف على أساليب وإجراءات الدول الإقليمية " **الأجنبية** " التي اتخذتها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفق منظور الإطار التعاوني.
- ☒ معرفة مدى مؤشرات النجاح بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والدول الإقليمية " **الأجنبية** " بعد تآزرهما وتكاتفهما؛ لاحتواء فيروس كورونا ومواجهته.

إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية الدراسة في ان الباحث طرح بعض الإبهامات، منها:

- ما مصطلح "**الاستراتيجية – الإقليمية –فيروس كورونا (كوفيد–19)**"؟
- كيف كانت رؤى الاستراتيجية الإيرانية لاحتواء الفيروس؟
- ما الدول الإقليمية " **الأجنبية** " التي أعلنت تآزرها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية لاحتواء فيروس كورونا؟
- ما تحركات الصين وتعاونها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية لاحتواء فيروس كورونا؟
- ما تحركات تركيا وتعاونها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية لاحتواء فيروس كورونا؟
- ما تحركات (روسيا –اليابان –بيلاروسيا – جورجيا) وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس؟

فرضية الدراسة

انطلقت الدراسة من فرضية أساسية، مفادها بإن: " ***الجمهورية الإسلامية الإيرانية سعت إلى جعل التعاون والتآزر مع الدول الإقليمية (الأجنبية) حصراً، عاملاً أساسياً في مجابهة فيروس كورونا واحتوائه؛ الا ان الحراك والتآزر بين الدول الإقليمية والجمهورية بات مبرراً غير مجدي في تحقيق مبتغاها، المتمثل في احتواء الفيروس، وإنقاذ مجتمعها من هذا الفيروس***".

منهجية الدراسة

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على **ثلاث مناهج**؛ لإثبات فرضيتها، هي:

أولاً: المنهج التاريخي: جاء اختيار هذا المنهج؛ لضرورة تتبع مجريات استراتيجية كل دولة من الدول الإقليمية "**الأجنبية**" في حراكها وتآزرها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفق التسلسل الزمني التاريخي.

ثانياً: المنهج التحليلي: ركز صاحب الدراسة على هذا المنهج؛ لإيضاح الكثير من الإبهامات والاستفهامات الواردة في إشكالية الدراسة تارة، والإجابة عليها تارة أخرى، من خلال تحليل تحركات الدول الإقليمية "**الأجنبية**" ذات الرغبة لاحتواء فيروس كورونا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ثالثاً: المنهج الوصفي: عمد الباحث إلى استخدام هذا المنهج؛ للوقوف على إعطاء صورة وصفية لاستراتيجيات الدول الإقليمية "**الأجنبية**" مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، من حيث الإجراءات والسبل الوقائية والعلاجية من طرف، وما قدمته إلى الجمهورية من مساعدات "**طبية – صحية**" وأجهزة تشخيص الفيروس وفق لغة الأرقام.

هيكلية الدراسة

قسمت الدراسة على **مقدمة** و**ديباجة** و**أربعة مطالب** و**خاتمة** و**نتائج**، هي:

- **ديباجة** في تبيان دلالة مصطلح (**الاستراتيجية –الإقليمية –فيروس كورونا**)
- **المطلب الأول: فذلكة في الاستراتيجية الإيرانية لاحتواء الفيروس**
- **المطلب الثاني: حراك الصين وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس**

- **المطلب الثالث: حراك تركيا وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس**
- **المطلب الرابع: حراك (روسيا –اليابان –بيلاروسيا – جورجيا) وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس**
- **خاتمة ونتائج** تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة.

منابع الدراسة

تنوعت منابع الدراسة ما بين دارسات أكاديمية "**رسالة**" ومصادر ومراجع عربية ومعاجم وموسوعات سياسية، وبحوث منشورة في مجلات دولية على سبيل التمثيل لا الحصر مجلة "**مدارات إيرانية**" الصادرة في "**برلين – المانيا**"، ومعلومات منتقاة من شبكة المعلومات الدولية "**الإنترنت**"، وبعض من مقالات الصحف الإيرانية الدولية "**الإلكترونية**" على سبيل التمثيل لا الحصر صحيفة "**الوفاق**" الدولية، غرضها **إغناء** متن الدراسة.

ديباجة

في تبيان دلالة مصطلح (الاستراتيجية– الإقليمية–فيروس كورونا)

- **الاستراتيجية:** مصطلح "**عسكري – سياسي**" ذو أصل يوناني، تعني: **فن الأشياء** أو **الخطط العامة** أو **فن قيادة القوات العامة** [1]، اقتصر المفهوم التقليدي للاستراتيجية على الخطط العسكرية والتطبيقات التكتيكية [2] المؤدية لنجاح هذه الخطط، في حين ان المفهوم المعاصر لها توسع ليشمل **وضع الخطط السياسية والاقتصادية والعسكرية والدعائية والوسائل الفنية المختلفة التي تؤدي إلى نجاحها** [3]، إذا هي: **مجموعة الإجراءات التي يمكن معها اختيار البدائل في مراحل العمل المختلفة**[4].
- **الإقليمية:** مصطلح سياسي حديث التداول والاستعمال، ذهب الكثير من مختصي السياسة وعلومها إلى اعتبار التقارب الجغرافي والتبادل الاقتصادي بين دول الجوار هو المعيار الأساسي في تحديد **مفهوم الإقليمية**، إلا ان هذا الاعتبار بات محل ضيق وقصور عند الكثير من رجال الفكر السياسي؛ بسبب المتغيرات والتحولات على مسرح الأحداث السياسية عقب الحرب الباردة، الذي حصر المفهوم في نطاق هي أوسع منه[5]، يمكن استشراف **معنى الإقليمية** من خلال تعريف **النظام الإقليمي**، إذ

(1) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، (بيروت : الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، د . ت) ، جـ1 ، ص169.

(2) للوقوف على المزيد عن مفهوم الاستراتيجية وفق المنظور العسكري والتكتيكي " الحربي " . ينظر: منير شفيق ، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ، 2008) .

(3) فاضل زكي محمد ، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق العربي ، (بغداد : د . مط ، 1968) ، ص15.

(4) وضاح زيتون ، المعجم السياسي ، (عمان : دار أسامة ، 2010) ، ص26.

(5) حجاب عبد الله ، السياسة الإقليمية لإيران في آسيا الوسطى والخليج العربي (1979–2011) ، رسالة ماجستير ، (جامعة الجزائر : كلية العلوم السياسية والإعلام ، 2012) ، ص7.

هو: "***النظام الذي يتكون من دولتين أو أكثر ، وتكون متقاربة ومتفاعلة مع بعضها البعض، ولها روابط إثنية ولغوية واجتماعية وتاريخية ؛ تساهم في زيادة الشعور بهويتها الإقليمية***" [1].

❖ **فيروس – فيروسات (The Viruses)**: مصطلح طبي، أصله لاتيني، دال على **معنى**: السم أو المواد الغريبة[2]، عرفت في الزمن الغابر بأنها: **فئة من الميكروبات تتصف بكونها مسببة للعدوى، تمر من فتحات المرشحات، تحتاج إلى خلايا حية حتى تنتشر**، وبعد اختراع المجهر الإلكتروني في عام 1939م وصفت على إنها: **جسيمات وليس خلايا، تتكون من غطاء بروتيني يحيط بمادتها الوراثية ويحميها** ، اطلق **الطبيب بيتر براين ميدور(Peter Brian Medawar)**[3] على هذه الفيروسات بـ"**نبأ سيء مغلف بالبروتين**" وسماها بـ" **فيريون – Virion**" ومعناه: "**الفيروس المعدي**"، وعلى الغلاف الخارجي لها بـ" **كابسيد – القفيصة الفيروسية**"، ومعظم الفيروسات تبلغ من الصغر حداً يجعل من المستحيل مشاهدتها بالمجهر، إذ انها أصغر من البكتريا بنحو (100–500) مرة تقريباً[4]، وانتقل **فيروس كورونا** المسبب لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد (السارس) من قطط إلى الإنسان في الصين عام 2002م، وفي المملكة العربية السعودية عام 2012م أنتقل من الإبل إلى شعبها، اما فيروس(**كورونا كوفيد 19 .... COVID –19**) الذي ظهر في مدينة ووهان الصينية أواخر عام 2019م، **فهو: فصيلة فيروسية مستجد من فصيلة** فيروسات (كورونا)، له ارتباط بسوق البحريات والحيوانات المختلفة أصنافها ومسمياتها، ينتقل هذا الفيروس بين عموم الناس من الشخص المصاب بالعدوى إلى شخص آخر، أو عن طريق المخالطة القريبة دون حماية[5].

المطلب الأول: فذلكة في الاستراتيجية الإيرانية لاحتواء الفيروس

أومأت الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى وزارة خارجيتها ومؤسساتها " **القنصليات – الممثليات الدبلوماسية** " في خارج الجمهورية؛ للاتصال مع الدول الإقليمية والمجاورة الأجنبية لها على وجه الدقة، من أجل تشديد الرقابة على منافذها الحدودية معها، وغلقها مؤقتاً تارة، التآزر معها في تخطي – **وباء** – فيروس كورونا تارة أخرى، لإيضاح دول الجوار والدول الإقليمية "**الأجنبية** " أنظر الشكل ذا الرقم (1).

---

(1) المصدر نفسه ، ص9.

(2) جامعة الأندلس للعلوم الطبية ، الفيروسات ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، http://au.edu.sy .

(3) **الطبيب بيتر براين ميدور (1915–1987)**: ولد في مدينة ريو دي جانيرو أحدى مدن البرازيل ، لأب عربي مولود في لبنان ، يحمل الجنسية البريطانية ، درس علم الحيوان علم التشريح المرضي ، تدرج في سلك التعليم الجامعي في الجامعة بعدها انتقل إلى لندن ، عين مديراً للمعهد الوطني للبحث العلمي الطبي في عام 1962م، له العديد من الدراسات والبحوث والنتاجات ذات الصلة بـ" **جهاز المناعة** "... للاستزادة . ينظر: بيتر ميدور ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، https://www.marefa.org .

(4) للاستزادة عن **الفيروسات وأنواعها وأحجامها** . ينظر: دوروثي اتش كروفورد ، الفيروسات ، ترجمة : أسامة فاروق حسن ، (القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014) .

(5) للاستزادة عن **فيروس كورونا وأعراضه** . ينظر: فيروس كورونا ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، https://www.moh.gov.sa .

الشكل ذا الرقم (1): ضم خارطتين توضح بعض الدول الإقليمية ودول الجوار التي تحيط بالجمهورية الإسلامية الإيرانية[1].

صحيح أن الحقيقة مرة، وفي النصح لسع العقارب، لكن المكاشفة المؤلمة أفضل من التزلف والخداع، قبيل بيان حراك وتآزر الدول الإقليمية "**الأجنبية**" مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية من أجل ان تتخطى الأخيرة فيروس كورونا ود الباحث كشف حقيقة حراك الدول الإقليمية والمجاورة "**الأجنبية**" باختزال شديد، من خلال استشهاده بقول للمتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية **عباس موسوي**، جاء فيه:

" غلق الدول الجارة حدودها مع الجمهورية اجراءً وقائياً مؤقتاً؛ أثر انتشار الفيروس، وانه من الطبيعي في ضوء هذا الفيروس ان تتخذ الإجراءات اللازمة بصورة جماعية، حينما كانت بلادنا غير موبوءة بالفيروس كنا نشعر بهواجس، ويعدما دخل الفيروس إلى البلاد أصبحت لدى الدول الجارة هواجس، وهذه قضية طبيعية، لكن لا ينبغي ان يحول هذا الأمر دون العلاقات بين الشعبين أو حتى الصادرات والواردات بين الدول، ان وزارة الخارجية الإيرانية قد بدأت عبر سفاراتنا مشاورات مع مسؤولي الدول الجارة؛ لطمأنتهم بان أي حالات مشتبه بها سوف لن تعبر من الحدود، من ضمنه موضوع الشهادة الصحية والسلع، بحيث نتمكن في هذه الظروف عبر دعمنا للبعض الآخر من إزالة هواجس البعض، ان نواصل العلاقات بالصورة المطلوبة، وبشأن غلق الحدود مع الجمهورية من قبل الدول الجارة من المستبعد جداً ان يستمر، مع تصور انخفاض التأشيرات للرعايا الأجانب، ونطمأن الدول الجارة بان لا خطر يهددهم "[2].

([1]) خارطة إيران والصين، شبكة المعلومات الدولية "الأنترنت"، **https://www.google.com** .

([2]) " الوفاق " صحيفة إيران الدولية، (صحيفة)، طهران، العدد (6363)، 2020/2/25م، ص ص1 -11.

لما تعالت أصوات بين أوساط شعب الجمهورية الإسلامية الإيرانية بكافة مكوناته وأطيافه، لمنع دخول كل وافد اجنبي سواء كان أم مسلم، وعلى وجه الدقة الصينيين؛ خوفاً من حمل أحدهم فيروس كورونا، جاء رد الجمهورية لشعبها على لسان مدير شرطة الهجرة والسفر والجنسية **محمد رضا طبابي**، قائلا:

"**سيتم فحص جميع الأجانب، بغض النظر عن جنسياتهم، لدى دخولهم الجمهورية، ونتعامل معهم ضمن سبل الأوضاع الخاصة المتعلقة بتفشي الفيروس، ان أي أجنبي يدخل البلاد من أي منفذ جوي أو بري أو بحري يخضع للفحص من قبل الفرق الصحية على المنافذ، يتم منعهم إذا كان لديهم مرض أو علامة مرض معدي، ونحن لا نمنع الرعايا الصينيين من الدخول إلى الجمهورية، ويمكن إعادة الأشخاص الذين لم يشك في أصابتهم بالفيروس في المنافذ الحدودية إلى بلدانهم** "[1].

صرح وزير الصحة الإيراني **سعيد نمكي** في يوم الجمعة المصادف السابع من شهر شباط في عام 2020م بإن: " ***اختبار مرضى فيروس كورونا جاء سلبياً لعدد من المسافرين الأجانب، الذين وضعوا في الحجر الصحي لاحتمال أصابتهم بالفيروس***"[2]، وفي **اليوم التالي** من الشهر والعام ذاته كشف الوزير عن نتائج الأجانب التي جاءت سلبية، إذ قال: "***بعد إجراء مختلف الاختبارات بشأنهم تبين خلوهم من الفيروس***"[3]، و**أعلن** المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية **عباس موسوي** في يوم الاثنين المصادف الثاني من شهر أذار في عام 2020م بان:

" ***الجمهورية الإسلامية الإيرانية نهضت بكل مؤسساتها، بما فيها وزارة الخارجية، للتعامل مع فيروس كورونا على انه وباء عالمي في جميع الأصعدة الصحية والدبلوماسية، ومازالت ناشطة في كل مجالات الحياة، وان الدول الصديقة قدمت لنا مساعدات كثيرة، والبعض الآخر أعلنت استعدادها للمساعدة، والجمهورية من جانبها ستقدم المساعدة إلى الدول الأخرى؛ لان القضية باتت عالمية، لابد من حلها وإنهائها***"[4].

وفي السياق ذاته، دأبت **وزارة الخارجية الإيرانية** على حث الدول الصديقية؛ للتعاون مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية على إرسال السلع الضرورية في مكافحة فيروس كورونا، وأكدت ذلك في **الاجتماع** المنعقد يوم الخميس المصادف الخامس من شهر أذار في عام 2020م؛ للرد على استفسارات السفراء والدبلوماسيين الأجانب حول تفشي الفيروس وأثاره[5]، وفي يوم الأربعاء المصادف الحادي عشر من الشهر والعام ذاته ناشد متحدث الوزارة **عباس موسوي** الدول الصديقة وغيرها في العالم "**الشرقي – الغربي**" النظر للفيروس على أنه كـ "**فيروس الإرهاب**"؛ لان جميعنا **ركاب في سفينة** واحدة، ولا يسمح لاحد ثقبها... وغيرها، وعليه استشهد الباحث بنص المناشدة، التي تكشف عن **رؤى الاستراتيجية الإيرانية** في احتواء الفيروس، قائلا:

([1]) المصدر نفسه ، العدد (6366) ، 2020/2/29م ، ص2.

([2]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6350) ، 2020/2/9م ، ص2.

([3]) المصدر نفسه .

([4]) " الوفاق " ، العدد (6369) ، 2020/3/3م ، ص1.

([5]) " الوفاق " ، العدد (6371) ، 2020/3/5م ، ص11.

ضرورة الأخذ بجدية الخطر الذي يشكله الفيروس، من خلال الالتزام بالتعليمات الصحية الفردية والجماعية، نحن الإيرانيين شعب نتمتع بروح معنوية عالية، حيث نصنع الفكاهة عند المصائب والبلايا، لكن لا ينبغي ان نستهين بتهديد الفيروس، نحن جميعاً [1] ركاب سفينة واحدة، ولا يحق لاحد ان يثقب السفينة في مكانه، يتوجب على الجميع في – الجمهورية – بلادي وأنحاء العالم ان يأخذوا هذا الموضوع بجدية؛ لان الفيروس هو كفيروس الإرهاب بحاجة إلى تضافر جهود جميع الدول، ونضع أيدينا بأيدي البعض، لعبور هذه الظروف"[2].

المطلب الثاني: حراك الصين وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس

أباح **ايرج حريرجي** نائب وزير الصحة الإيرانية **سعيد نمكي** في يوم الأحد المصادف السادس والعشرين من شهر كانون الثاني في عام 2020م عن ردف إجراء للوزارة، على المعنيين إتباعها؛ لمنع دخول فيروس كورونا من الصين إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إذ تمثل في: "***نشر أنظمة مراقبة الفيروس في كافة محافظات الجمهورية ومطاراتها ؛ للحد من التفشي الاحتمالي للمرض الذي يسببه هذا الفيروس***"[3]، ومن جانب آخر، جهر مساعد مدير شركة مطار الخميني الدولي **حسن خوشخو** في نفس اليوم عن طريقة ردعية أخرى، تجاه **طاقم الطائرات** و**الركاب** القادمين من الصين؛ تحسباً من حملهم الفيروس، قائلا :

"***إن الركاب القادمين وطاقم الطائرات القادمة من الصين يجري فحصهم بشكل كامل قبل الدخول إلى صالة مطار الخميني الدولي، وكذلك من البلدان الأخرى التي ظهر فيها الفيروس لذلك نسعى لفرض مراقبة شاملة ودقيقة ، ولدينا صالة مخصصة للحجر الصحي؛ لوضع الركاب المصابين، وان الحكومة الصينية اتخذت إجراءات صحية، ولدينا رحلات مباشرة من أربعة مدن في الصين إلى هذا المطار***"[4].

بيد إن وزير الصحة الإيرانية **سعيد نمكي** في يوم الثلاثاء المصادف الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني في عام 2020م وضع بعض النقاط على بعض الحروف، من خلال اعتماد إجراء صارم في شأن الصينيين القادمين إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ للحفاظ على سلامة مجتمع الجمهورية الصحي، فحواه:

"***طلبنا بطاقة صحية من المواطنين الصينيين للحصول على تأشيرة الدخول إلى الجمهورية، وحثت رؤساء الجامعات الطبية على نشر كوادر طبية في المطارات وموانئ الدخول من الصين، وطلبت من وزارة الخارجية الإيرانية ووزيرها [5] تقييد منح التأشيرة للمواطنين الصينيين في الحصول على بطاقة صحية؛ تثبت عدم أصابتهم بالفيروس***"[6].

([1]) قصد به : **الدول التي تفشى فيها فيروس كورونا** .

([2]) " الوفاق " ، العدد (6375) ، 2020/3/12م ، ص1.

([3]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6340) ، 2020/1/26م ، ص11.

([4]) نقلا عن : المصدر نفسه .

([5]) **حالياً** : وزير الخارجية الإيرانية **الدكتور محمد جواد ظريف** الذي شغل المنصب منذ عام 2013م .

([6]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6342) ، 2020/1/28م ، ص2 ؛ العدد (6345) ، 2020/2/3م ، ص11.

ثم قررت الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ ظهور فيروس كورونا في مدينة ووهان الصين إلى عقد محادثات "**إيرانية – صينية**" مكثفة؛ لإخراج رعاياها منها، ومؤازة الجمهورية في شأن رعاياها، إذ كشف المتحدث باسم وزارة خارجية الإيرانية **عباس موسوي** في يوم السبت المصادف الأول من شهر شباط في عام 2020م عن إجراء محادثات بين الطرفين في هذا الشأن، ما مفادها:

" إن المحادثات مع المسؤولين الصينيين مستمرة؛ التي تستلزم موافقة الحكومة الصينية على نقل الرعايا الإيرانيين إلى الجمهورية، ووزارة الخارجية الإيرانية بادرت مع بداية انتشار أخبار فيروس كورونا في الصين إلى بذل مساعيها على مدار الساعة؛ لمتابعة الأبعاد المختلفة لرعاياها ومساعدتهم "[1].

واسترسل المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية **عباس موسوي** في حديثه عن المحادثات "**الإيرانية – الصينية**" في يوم السبت المصادف الأول من شهر شباط في عام 2020م، حتى قال:

" تم إجراء المراسلات والتنسيق المستمر مع المؤسسات المحلية الصينية؛ لاتخاذ التدابير اللازمة للرعاية الصحية، وان السفارة الإيرانية في الصين بادرت منذ الساعات الأولى إلى التواصل المستمر مع الجامعيين الإيرانيين في مدينة ووهان الصينية "[2].

على أي حال، فان رعايا وطلاب الجمهورية الإسلامية الإيرانية المقيمين بالصين في غضون انتشار فيروس كورونا نالوا اهتماماً من قبل الأخيرة إلى ان غادروها متوجهين نحو بلادهم[3]، وثمن **إسحاق جهانكير** النائب الأول لرئيس الجمهورية **حسن روحاني** جهود الحكومة الصينية للتمهيدات وإجراءات المراقبة اللازمة؛ للحيلولة دون انتشار الفيروس وبالإضافة إلى قال: ***إن الصين هي الشريك التجاري الأول للجمهورية، وهناك علاقات ودية بين الدولتين، وإن الجمهورية على استعداد لتقديم المساعدات اللازمة في مجال الوقاية والعلاج***"[4]، وفي يوم الأحد المصادف الثاني من شهر شباط في عام 2020م عقد وزير الصحة الإيراني **سعيد نمكي** اجتماع مع السفير الصيني **تشانغ هوا**؛ لإبلاغه بان :

" الصين دولة صديقة، تربطنا معها علاقات عريقة ستستمر في مختلف المجلات، إننا نقف إلى جانب الحكومة والشعب الصيني بكل الإمكانيات؛ لمنع تفشي الفيروس ومكافحة، إن إبعاد تفشي الفيروس ليست واضحة لغاية الآن، وبصفتي وزيراً للصحة أرى ان وضع القيود المؤقتة في العلاقات، وتعليق الرحلات من والى الصين؛ ضرورياً للوقاية من انتشار وتفشي الفيروس، إنني على ثقة بان العلماء والخبراء والمسؤولين الصينيين قادرون في السيطرة على هذا الفيروس، وستعود الصين قريباً إلى مرحلة ذروتها وازدهارها "[5].

([1]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6343) ، 2020/2/1م ، ص2.

([2]) المصدر نفسه .

([3]) للاطلاع القارئ الكريم **على تفاصيل عودة الطلاب الإيرانيين إلى بلادهم** . ينظر: أمجد سعد شلال المحاويلي ، فيروس كورونا (كوفيد– 19) في اقتحام الأمن الصحي للجمهورية الإسلامية الإيرانية (1/23 – 26 /2/ 2020م) ، بحث منشور ، " مدارات إيرانية " ، (مجلة) ، المانيا – برلين ، العدد (8) ، حزيران 2020م ، ص79–80.

([4]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6344) ، 2020/2/2م ، ص1.

([5]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6344) ، 2020/2/2م ، ص2.

وجه النائب الأول لرئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية **إسحاق جهانكير** في يوم الأحد المصادف الثاني من شهر شباط في عام 2020م الشكر والتقدير للحكومة الصينية؛ لالتزامها البروتوكولات الصحية في أعلى المستويات الممكنة، وسعيها الحثيث للحفاظ على سلامة وصحة المواطنين الإيرانيين، إلى جانب ذلك قررت الجمهورية وقف الرحلات الجوية منها والى الصين، ووضع حجر صحي على جميع المسافرين القادمين من الصين حين دخولهم الجمهورية؛ وفقاً لتعليمات وزارة الصحة الإيرانية[1].

طلب وزير الصحة **سعيد نمكي** في يوم الاثنين المصادف الثالث من شهر شباط في عام 2020م من وزير خارجية بلاده **محمد جواد ظريف**، إلغاء تأشيرات الدخول للصينيين، وان يكون الحصول على التأشيرة رهناً في حصولهم على بطاقات صحية؛ تثبت عدم أصابتهم بفيروس كورونا[2]، وفي **مساء هذا اليوم** أجرى وزير الخارجية الإيراني **محمد جواد** ظريف اتصال هاتفي مع نظيره الصيني **وانغ يي**، وبعد تبادل السلام والتحية بينهما تجاذبا اطراف الحديث عن الفيروس، فأعرب الوزير **الإيراني** عن: ***إشادته بالحكومة الصينية؛ لنهوضها بالمسؤولية، وجهودها الحثيثة في سياق السيطرة على الفيروس والحد من تفشيه، وعن تعاون الحكومة الصينية في ترحيل المواطنين الإيرانيين من مدينة ووهان إلى الجمهورية***"[3]، فرد الوزير **الصيني**، قائلا : ***تقديري لمواقف الجمهورية، والدعم الذي أبدته لنا***"[4]، وفي يوم الثلاثاء المصادف الرابع من الشهر والعام ذاته **أكد** الوزير **الايراني** على: "**إن بلادي – الجمهورية – تقف إلى جانب الصين في كل مكان وزمان**"[5]، و**أشار** السفير الإيراني **محمد كشاورز زاده** في العاصمة بكين الصينية يوم السبت المصادف الثامن من الشهر والعام ذاته بجهود الحكومة الصينية في اجتياز فيروس كورونا، إذ قال:

" ***إنني أعتقد ان الصين ستتغلب على هذا الفيروس؛ لان الشعب الصيني يتمتع بحضارة يبلغ تأريخها خمسة الأف عام، لذا فهو يتمكن من التغلب عليه، وان الجمهورية وحكومةً وشعباً لن تتوانى عن بذل الجهود للتعاون مع الحكومة الصينية، التي تصرفت بمسؤولية ونجاح في مواجهة الفيروس***"[6].

قدمت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في يوم الأحد المصادف التاسع من شهر شباط في عام 2020م مساعدات طبية إلى الصين، وهذا ما كشفت عنه المتحدثة باسم وزارة خارجية الصين السيدة **هوا تشون ينغ** عن تصريح لوزير خارجية الجمهورية **محمد جواد ظريف**، إذ قالت:

" ***الشكر والتقدير للجمهورية؛ لتزويد – الصين – بلادي بكمامات طبية بنحو ثلاثة ملايين كمامة، وانها أعلنت عن استعدادها لتقديم المزيد من المساعدات الصحية والطبية، وان بلادها تتخذ تدابير حازمة؛ للسيطرة على فيروس كورونا، وان ذلك مؤشراً للصداقة العريقة والتقليدية بين الدولتين***"[7].

([1]) " الوفاق " ، العدد (6346) ، 2020/2/4م ، ص1.

([2]) " الوفاق " ، العدد (6345) ، 2020/2/3م ، ص11.

([3]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6347) ، 2020/2/5م ، ص11.

([4]) المصدر نفسه .

([5]) المصدر نفسه .

([6]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6349) ، 2020/2/8م ، ص2.

([7]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6350) ، 2020/2/9م ، ص2.

أثنى السفير الصيني **تشانغ هوا** في العاصمة طهران الإيرانية في يوم السبت المصادف الخامس عشر من شهر شباط في عام 2020م عن حراك الجمهورية الإسلامية الإيرانية ودعمها لدولته؛ في مكافحة فيروس كورونا، بهذا الصدد نطق ما نصه: "***إننا في صراعنا مع الفيروس شعرنا بعمق صداقة الجمهورية الإسلامية وشعبها لنا***"[1]، ورد رئيس الجمهورية **حسن روحاني** عليه،، قائلا : "***اعرب عن مواساتي مع الرئيس الصيني شي جين بينغ***"[2]، وأمر رئيس مركز الاتصالات والشؤون الدولية في بلدية طهران **غلام حسين محمدي** في يوم الخميس المصادف العشرين من الشهر والعام ذاته بعرض صور ضوئية على واجهة برج "**آزادى – الحرية**"؛ كرسالة تعاطف مع الشعب الصيني في سياق مكافحة الفيروس، ثم نطق قائلا: "***نأمل بان يتجاوز الشعب الصيني بتضامنه ومواكبة شعوب العالم معه هذه الأزمة – الفيروس – بسلام وأمان***"[3] وفي يوم السبت المصادف الثاني والعشرين من الشهر والعام ذاته أكد **السفير للرئيس** دعم شعب بلاده لهم، قائلا : "***إن الشعب الصيني يقف إلى جانب الشعب الإيراني في مكافحة الفيروس، مستشهدا بقول الشاعر الإيراني سعدي الشيرازي، الذي يقول فيه: (بنو آدم جسد واحد ... إذ مس عضواً أليم السقام ... فسائر أعضائه لا تنام[4])***"[5].

لما أشتد فيروس كورونا انتشاره بين أوساط شعب الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ أبدت الصين دعمها في نجدة هذا الشعب، إذ صرح السفير الصيني **تشانغ هوا** في طهران يوم الأربعاء المصادف السادس والعشرين من شهر شباط في عام 2020م عن تجهيز الجمهورية أجهزة طبية قدرت بنحو خمسة آلاف جهاز طبي؛ لتشخيص الفيروس، وان جهود بلاده مستمرة للجمهورية حتى تتخطى هذا الفيروس، ما يدلل على ذلك النص الآتي، جاء فيه :

"***قدمنا للجانب الإيراني خمسة آلاف عدة (كيت) الطبية؛ لتشخيص فيروس كورونا، وهي مهداة من سفارة الصين وشركات صينية عاملة في الجمهورية ، وجهودنا مستمرة ، وإنني وبالنيابة عن السفارة الصينية قدمت مئتان وخمسون ألف كمامة طبية للجمهورية ، سيتم إرسال مساعدات أكثر مستقبلاً***"[6].

حلت في الجمهورية الإسلامية الإيرانية يوم الخميس المصادف السابع والعشرين من شهر شباط في عام 2020م مساعدات طبية من الصين، وانها على تواصل معها في تلقي الدعم والتآزر من قبل الأخيرة، وهذا ما أعلنه المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية **عباس موسوي**، وختم قوله بالإشادة على الدعم السخي من قبل الحكومة الصينية وشعبها لبلاده، ما نصه :

([1]) نقلا عن: " الوفاق "، العدد (6354) ، 2020/2/15م ، ص2.

([2]) المصدر نفسه.

([3]) نقلا عن: " الوفاق " ، العدد (6359) ، 2020/2/20م ، ص2.

([4]) في الأصل، ما نصه: " **بنو آدم جسد واحد إلى عنصر واحد عائد ... إذا مس عضواً أليم السقام ... فسائر أعضائه لا تنام ... إذا أنت للناس لم ألم ... فكيف تسميت بالآدمي** " . ينظر: سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية ... مزج في ثقافته بين الفارسية والعربية ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، **https://www.alraimedia.com** .

([5]) نقلا عن: " الوفاق " ، العدد (6360) ، 2020/2/22م ، ص2.

([6]) نقلا عن: " الوفاق " ، العدد (6365) ، 2020/2/27م ، ص2.

"أول شحنة من المساعدات الطبية من قبل الحكومة الصينية والصليب الأحمر الصيني وصلت على متن رحلة جوية خاصة لخطوط شركة ماهان الجوية، تتضمن نحو عشرين ألف عدة (كيت) الطبية؛ لتشخيص فيروس كورونا، وبعض المستلزمات الطبية والصحية الأخرى، ان وزارة الخارجية تابعت عملية تلقي الدعم من الدول الصديقة، وهي تمضي تدريجياً نحو مراحلها النهائية"[1].

في السياق ذاته، تحدث السفير الإيراني **محمد كشاورز زاده** في بكين يوم السبت المصادف التاسع والعشرين من شهر شباط في عام 2020م، عن ان : "***أول شحنة من المساعدات الطبية الصينية توجهت مساء يوم الخميس***[2] ***إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ لمواجهة الفيروس، لان الصين أكثر خبرة من جميع الدول في مجال مواجهة الفيروس، وهي أكثر عزماً على مساعدتنا***"[3]، وهذا ما أكده في **ذات اليوم** السفير الصيني **تشانغ هوا**، مضافاً إلى ذلك بانه: "***سيتم إرسال المزيد من المساعدات الطبية***"[4]، وفي يوم الأحد المصادف الأول من شهر أذار في عام 2020م أجرى وزير خارجية الصين **وانغ يي** اتصالاً **هاتفياً** مع نظيره الإيراني **محمد جواد ظريف**، بعد التحية والسلام تبادلا اطراف الحديث عن الفيروس وسبل معالجته، ومدى قابلية ونوعية المساعدات الطبية التي تقدمها الصين للجمهورية... وغيرها، لأهمية ذلك ارتأى الباحث اقتباس جزء منه:

"وصف وانغ يي الصين والجمهورية: بانهما شريكان استراتيجيان يقفان دوماً إلى جانب بعضهما الأخر، يدعم كل منهما الآخر في الظروف الصعبة، لما تفشى الفيروس في الصين كانت الجمهورية الدولة الأولى التي أعربت عن تعاطفها معنا، فجسدت على الأرض معنى الصداقة الحقيقية وأواصر التضامن الوثيقة بين الدولتين والشعبين التي لن تنساها الصين أبداً، وأعرب عن أسفي ؛ لتفشي الفيروس في الجمهورية، وتعاطفي مع شعبها، واستعداد بلادي على إرسال المزيد من المساعدات الخاصة، ونقل تجاربنا وأساليبنا المطورة في مكافحة الفيروس لها، فضلاً عن التعاون العملي مع الجمهورية، فرد محمد طريف على ذلك: أشيد على الدعم التقني والتخصصي من الصين، اعتبر تفشي الفيروس ما هي إلا قضية عالمية، ومواجهته تستلزم تعاون وتضامن جميع الدول بعيداً عن أي تسيس، وأرحب بتعاون الباحثين والخبراء بين الدولتين؛ لإنجاز الأبحاث العلمية المشتركة من أجل اجتثاث هذا الفيروس"[5].

صرح وزير الصحة الإيراني **سعيد نمكي** في يوم الأحد المصادف الأول من شهر أذار في عام 2020م عن إجراء انفردت به عن باقي الدول التي مرت بها جائحة فيروس كورونا، الذي تمثل في إقدامها على تعيين **الدكتور محمد آسايي** رابط **علمي** للجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ من أجل التواصل مع الدول والمراكز العلمية

([1]) نقلا عن : المصدر نفسه ، العدد (6366) ، 2020/2/29م ، ص2.

([2]) المصادف : (2020/2/27م) .

([3]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6366) ، 2020/2/29م ، ص2.

([4]) نقلا عن : المصدر نفسه ، العدد (6367) ، 2020/3/1م ، ص11.

([5]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6367) ، 2020/3/1م ، ص ص1 ، 11.

والبحثية المعنية بالفيروس، وعلى وجه الدقة الدولة الصينية[1]، وفي **اليوم التالي** من الشهر والعام ذاته أرسلت الصين **وفد طبي** من الصليب الأحمر الصيني إلى الجمهورية، حمل معه أجهزة تنفس وشرائح؛ لتشخيص المصابين بالفيروس والسيطرة عليه واحتوائه، في المقابل أرسلت جمعية الهلال الأحمر الإيراني مساعدات ومستلزمات طبية إلى الصين، وهذا ما صرح به السفير الصيني **تشانغ هوا** عقب لقاءه أمين عام جمعية الهلال الأحمر الإيراني **محمود رضا بيروي**، جاء فيه:

"أعرب عن شكري وتقديري لجمعية الهلال الأحمر الإيراني على أرسالها شحنة المساعدات الطبية؛ لمرضى الفيروس، ونحن نقف إلى جانب شعب الجمهورية في مكافحة الفيروس، ان الجمهورية ستتخطى هذا الوباء، وان دولتي أرسلت وفد طبي رفيع المستوى من الصليب الأحمر الصيني إلى الجمهورية؛ لمساعدتها في مكافحة الفيروس، وضع تجاربه في متناول الإيرانيين، ونحن مستمرين معها حتى القضاء على الفيروس"[2].

حلت في يوم الخميس المصادف الخامس من شهر أذار في عام 2020م **الشحنة الثانية** من المساعدات الطبية من قبل سكان مدينة شنغهاي الصينية وعدد من الشركات العاملة فيها على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، البالغة زنتها طنين من عدة وأجهزة طبية، والتي تضمنت (15,000) ألف عدة (كيت) الطبية؛ لتشخيص فيروس كورونا، و(5,800) عدد من الملابس الواقية، و(50) جهاز للتنفس الاصطناعي، وكمية من الكمامات[3]، وجاهر الأمين العام لمؤسسة الشرق الأوسط للسلام والتنمية الصينية **كاريم تشين يونغ** في يوم الخميس المصادف الثاني عشر من الشهر والعام ذاته بكل صراحة الجمهورية حول ضرورة تضافر الجهود بينهما في مكافحة الفيروس، فقال:

" ينبغي تعزيز التعاون بين الدولتين من خلال النهوض بالمساعدات المتبادلة، ان الجمهورية حكومة وشعباً وقفت بإخلاص وقوة إلى جانب – الصين – بلادي عند تفاقم الفيروس وتفشيه، لم تتوان في مساعدتنا، لن ننسى الوزير محمد جواد ظريف كأول وزير خارجية أبدى تعاطفه مع بلادي، لن ننسى تعاطف شعب الجمهورية مع الشعب الصيني في الظروف الحالكة، المسافات اللغوية والجغرافية لن تؤدي إلى البعد بيننا؛ لان الصين والجمهورية شريكان قريبتان في ظل هذه الظروف الصعبة التي تفشى فيها الفيروس في الجمهورية، واجبنا مساعدة إخواننا الإيرانيين، على الرغم من ان حكومتي قدمت بعض المساعدات، أرسلت خبراء طبيين إليها، لا يزال العديد من الصينيين قلقين بشأن الظروف في الجمهورية ومصاعب شعبها "[4].

([1]) " الوفاق " ، العدد (6367) ، 2020/3/1م ، ص2.

([2]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6369) ، 2020/3/3م ، ص1.

([3]) " الوفاق " ، العدد (6371) ، 2020/3/5م ، ص11.

([4]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6375) ، 2020/3/12م ، ص2.

واسترسل الأمين العام لمؤسسة الشرق الأوسط للسلام والتنمية **كاريم تشين يونغ** في الحديث جاهراً للجمهورية الإسلامية الإيرانية عن تعاضد الشعب الصيني وبعض الشركات الصينية مع السفارة الإيرانية في بكين عن توفير المستلزمات والأجهزة الطبية لها، ما نصه:

"وبالتعاون مع السفارة الإيرانية في بكين أطلقت حملة لمساعدة الجمهورية، تلقت استجابة إيجابية من الصينيين، حيث جمع الشعب الصيني والشركات الصينية مبلغ نحو [1] أربعة ملايين يوان [2]، إذ بذلت شركتي (تشين سونغ) و(يوفونغ) المتخصصة في صناعة المعدات الطبية جهوداً كبيرة لمساعدة شعب الجمهورية" [3].

صرح السفير الصيني **تشانغ هوا** في يوم السبت المصادف الرابع عشر من شهر أذار في عام 2020م بان التضامن والتعاون بين الدول "**الإقليمية – الدولية**" والصين هو أقوى سلاح للتغلب على فيروس كورونا؛ لان هذا الفيروس **عدو مشترك** يهدد صحة وسلامة شعوب العالم، اما في شأن الفيروس في الجمهورية الإسلامية الإيراني، قال:

" إن –الصين – بلادي حكومة وشعباً تقدم الدعم المتبادل، تتعاطف مع الجمهورية في مواجهة الفيروس، انتشاره في الجمهورية وتفشيه قد ألم قلوب مئات ملايين الصينيين، رغم ان الصين ما زالت تعاني من ضائقة من ناحية المعدات الطبية، لكنها في أول فرصة ممكنة من دون أي تردد قدمت دعمها للجمهورية، الصين زودت الجمهورية بخبراتها التي اكتسبتها في مجال مكافحة الفيروس، أرسلت فريقاً من الأطباء الأخصائيين إليها" [4].

في السياق ذاته، انتقد السفير الصيني **تشانغ هوا** حظر الولايات المتحدة الأمريكية وتصريحاتها حيال استراتيجيات الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مواجهة فيروس كورونا، بهذا الصدد نطق ما نصه:

"للأسف مع اللحظات الحاسمة لكفاح الحكومة والشعب في الجمهورية ضد تفشي الفيروس شهدنا استمرار الحظر الأمريكي أحادي الجانب ضد الجمهورية، في الواقع إجراء يأتي في سياق خلق العقبات في طريق مكافحة الفيروس، ستواصل الصين مواقفها العلنية والشفافة ضمن تعزيز تعاونها ومشاوراتها مع الجمهورية، وستقدم لها مساعدات تقنية ومعداتيه التي تحتاجها؛ لتتغلب عبر هذا التعاون على الفيروس، اثبتا الدولتين (الصينية – الإيرانية) خلال الحرب الراهنة مع الفيروس مشاعر الصداقة الحقيقية" [5].

اعلن السفير الإيراني **رمضان برواز** في شانغهاي الصينية في يوم السبت المصادف الرابع عشر من شهر أذار في عام 2020م عن إرسال شحنة من المساعدات الصحية والعلاجية إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية عبر **شركة ماهان** للشحن، من قبل الشركات الصينية وأهالي شانغهاي؛ لمكافحة فيروس كورونا، البالغة نحو

([1]) ما يعادل: (576,000 ألف دولار).

([2]) " الوفاق " ، العدد (6376) ، 2020/3/14م ، ص2.

([3]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6375) ، 2020/3/12م ، ص2.

([4]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6376) ، 2020/3/14م ، ص2.

([5]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6376) ، 2020/3/14م ، ص2.

طنين شملت الملابس المعزولة والأقنعة وقياس الأوكسجين والنظارات الواقية والقفازات والأدوية، حتى قال إن:

" ***الشعب الصيني يستمر بإرسال المساعدات إلى الجمهورية، ان الصداقة بين الدولتين (الصينية – الإيرانية) ستستمر في المستقبل، بلغت عدد شحنات المساعدات العلاجية والطبية الصينية إلى الجمهورية قرابة تسعة شحنات***"[1].

بعث الرئيس الصيني **شي جين بينغ** في يوم الأحد المصادف الخامس عشر من شهر أذار في عام 2020م رسالة إلى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية **حسن روحاني**، التي وضحت في مضمونها عن دعم الصين للجمهورية، الاستعداد لنقل تجاربها؛ في مكافحة فيروس كورونا واحتوائه، حتى أفضى الرئيس الصيني إلى القول:

" ***إن الجمهورية والصين هم شركاء وتربطهم علاقات استراتيجية شاملة، شعبي الدولتين (الصينية – الإيرانية) منذ القدم تربطهم علاقات ود ومحبة، حكومة وشعب الجمهورية وقفوا إلى جانب الصين بشكل مستمر في مكافحتها للفيروس ودعموهم بكل ود، الصين لأجل ذلك قامت بإهداء الإمكانيات الصحية والعلاجية وفريق من خبراء الصحة إلى الجمهورية، ستستمر الصين بتقديم الدعم لها، كل ثقة بان الجمهورية ستنتصر في السيطرة على تفشي الفيروس***"[2].

أظهر المتحدث باسم الخارجية الإيرانية **عباس موسوي** في يوم السبت المصادف الرابع من شهر نيسان في عام 2020م عن انطلاق تعاون "**علمي – طبي**" بين العلماء الإيرانيين والصينيين؛ هدفه اجتياز واحتواء فيروس كورونا، زيادة على ذلك إقدام الصينيين على تقديم مساعدات طبية إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية[3]، وفي **اليوم التالي** كشف رئيس مؤسسة رويان البحثية الإيرانية **عبد الحسين شاهوردي** عن:

"***جهود متواصلة بين علماء الدولتين (الإيرانية – الصينية) في شأن الفيروس، وعقد ندوة افتراضية بمشاركة متخصصين من جامعة العلوم الطبية في الصين، وخلالها تبادل متخصصين الدولتين تجاربهما في مكافحة الفيروس***"[4].

ارسل رئيس مجلس الشعب الصيني **لي جان شو** في يوم الثلاثاء المصادف السابع من شهر نيسان في عام 2020م رسالة إلى رئيس مجلس الشورى الإسلامي **علي لاريجاني**، حملت في مضمونها على تواصل التعاون والتآزر بين الصين والجمهورية الإسلامية الإيرانية في اجتياز فيروس كورونا ومكافحته، الدعم المتبادل بينهما لاحتوائه أكثر فأكثر حتى القضاء عليه بشكل مشترك وحاسم[5]، كشف السفير الإيراني **محمد كشاورز زاده** في بكين يوم السبت المصادف الحادي عشر من شهر نيسان في عام 2020م عن وصول مساعدات طبية

([1]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6376) ، 2020/3/14م ، ص2.

([2]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6377) ، 2020/3/15م ، ص11.

([3]) " الوفاق " ، العدد (6378) ، 2020/4/4م ، ص2.

([4]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6379) ، 2020/4/5م ، ص2.

([5]) " الوفاق " ، العدد (6381) ، 2020/4/7م ، ص1.

وعلاجية من **مسلمو منغوليا** الداخلية في الصين إلى مبنى السفارة الإيرانية في بكين، لأهمية ذلك ارتأى الباحث اقتباس جزء من النص، جاء فيه :

" إن مجموعة من مسلمي منغوليا الداخلية في الصين قطعوا (500كم)؛ ليقدموا مساعداتهم مباشرة إلى السفارة الإيرانية، بعد ان تقبلوا الخضوع للحجر الصحي في بكين لأسبوعين، من أجل ان يوصلوا المساعدات إلى شعب الجمهورية، ان اتحاد وتضامن الشعب الصيني في تقديم المساعدات إلى الجمهورية يستحق الثناء والتقدير على مبادرة الحكومة والشعب الصيني في إرسال المساعدات الطبية والصحية إلى الجمهورية "[1].

لفت المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية **عباس موسوي** في يوم السبت المصادف الحادي عشر من شهر نيسان في عام 2020م إلى حقيقة تقدر **بلغة** الأرقام – **الرحلات** – الطائرات المحملة بالمساعدات الصينية إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إذ قال إن:

" الحكومة والشعب والشركات الصينية لحد هذا التأريخ أرسلوا قرابة ثلاثين طائرة من المساعدات والمعدات والتجهيزات اللازمة في مكافحة فيروس كورونا إلى الجمهورية ، وبلادي حكومة وشعب الجمهورية يقدرون ويثمنون هذه المواقف الإنسانية "[2].

أكد السفير الصيني **تشانغ هوا** في يوم الأربعاء المصادف الخامس عشر من شهر نيسان في عام 2020م على ان الصين والجمهورية الإسلامية الإيرانية كانتا دوماً إلى جانب بعض في جميع الظروف التي يتعرضان لها؛ لان الجمهورية هي الدولة الأولى التي أعربت عن تعاطفها مع حكومة وشعب الصين، خلال اجتياح الأخيرة فيروس كورونا، حتى إن الشباب الإيراني المقيم في مدينة ووهان الصينية كان يقدم القهوة للكوادر الطبية في ظل الحجر الصحي للمدينة، مما يدل على عمق العلاقات الودية بين الدولتين **(الصينية – الإيرانية)**[3].

تحادث رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية **حسن روحاني** في يوم الأربعاء المصادف التاسع والعشرين في شهر نيسان في عام 2020م هاتفياً مع نظيره الصيني **شي جين بينغ** عن تواصل التعاون بينهما في مواجهة فيروس كورونا، عبرا عن مشاعر المواساة والتضامن بوفاة العديد من مواطني الدولتين **(الصينية – الإيرانية)**؛ أثر الإصابة بالفيروس، أعربا عن أملهما في تحقيق النجاح في السيطرة على انتشار الفيروس من خلال تبادل الخبرات والإنجازات البحثية، حتى وصف الرئيسان العلاقة بينهما بانها "**استراتيجية وخاصة**"[4]

المطلب الثالث: حراك تركيا وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس

منذ ظهور فيروس كورونا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية اتخذت تركيا خطوات جادة من أجل مكافحته، وعلى اتصال معها في هذا الشأن، على سبيل التمثيل لا الحصر في يوم السبت المصادف الثاني والعشرين

([1]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6385) ، 2020/4/11م ، ص2.

([2]) نقلا عن : المصدر نفسه .

([3]) " الوفاق " ، العدد (6389) ، 2020/4/15م ، ص1.

([4]) " الوفاق " ، العدد (6399) ، 2020/4/29م ، ص11.

من شهر شباط في عام 2020م تباحث وزير الصحة التركي **فخر الدين كوجه** هاتفياً مع وزير الصحة الإيراني **سعيد نمكي** حول الفيروس والإجراءات الوقائية في الجمهورية، وبين ان موظفيه بدأوا في إجراءات وفحوصات طبية للمسافرين القادمين من الجمهورية، مع اتخاذ السلطات تدابير احترازية في معبر "**غوربلاك**" الحدودي مع الجمهورية؛ لمنع انتقال الفيروس لبلاده "**تركيا**"[1].

كشف أمين اتحاد شركات الخطوط الجوية الإيرانية **مقصود اسعدي ساماني** في يوم الأحد المصادف الثالث والعشرين من شهر شباط في عام 2020م عن إجراءات أتبعتها تركيا في شأن المسافرين الإيرانيين، قائلا: "***إن تركيا أعلنت عن إجراءات؛ لإخضاع المسافرين الإيرانيين إلى الفحص في مطار إسطنبول اعتباراً من يوم[2] الاثنين***"[3].

أجرى وزير الخارجية الإيراني **محمد جواد ظريف** في يوم الأربعاء المصادف السادس والعشرين من شهر شباط في عام 2020م اتصلاً هاتفياً مع وزير خارجية تركيا **مولود جاويش اوغلو**، إذ تحدث فيه **الأول** مع **الثاني** عن أخر التطورات المتعلقة في تفشي فيروس كورونا في **منطقة الشرق الأوسط**[4] وسبل التصدي لهذا المرض، ضرورة تعزيز المشاورات المشتركة بين الدولتين "**الإيرانية – التركية**"؛ في شأن الصحة والمعايير الوقائية[5]، في مقابل ذلك التقى السفير الإيراني **محمد فرازمند** في أنقرة مع وزير الصحة التركي **فخر الدين قوجه**، وتبادلا اطراف الحديث حول مستجدات الفيروس، وأثر واقعته على الأمن الصحي لكلا الدولتين، بهذا الشأن ارتأى الباحث اقتباس جزء ما دار بينهما، إذ قال الأخير:

"***تم البحث مع سفير الجمهورية محمد فرازمند الإجراءات المتخذة بين الدولتين (الإيرانية – التركية)؛ لاحتواء تفشي الفيروس، وان تركيا تقف بجميع إمكانياتها إلى جانب الجمهورية؛ لمكافحة الفيروس، وبسبب ارتفاع حالات الإصابة في الجمهورية، قررت وبشكل مؤقت أغلاق جميع منافذها البرية والبحرية والجوية معها***"[6].

في موضع آخر، أوضح وزير الصحة التركي **فخر الدين كوجه** في يوم الخميس المصادف السابع والعشرين من شهر شباط في عام 2020م عن إرسال عدة (كيت) تشخيص فيروس كورونا إلى الجمهورية الإسلامية

([1]) " الوفاق " ، العدد (6361) ، 2020/2/23م ، ص11.

([2]) المصادف : (2020/2/24م) .

([3]) " الوفاق " ، العدد (6361) ، 2020/2/23م ، ص2.

([4]) **الشرق الأوسط** : مصطلح " **سياسي – استراتيجي** " أكثر من جغرافي ، أول استخدام لهذا المصطلح كان في خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي في مكتب الهند البريطاني ، إلا أن المصطلح أصبح معروفاً على نطاق واسع عندما استخدمه الخبير الاستراتيجي في البحرية الأمريكية **ألفريد ثاير ماهان** في عام 1902م؛ لتمييز المنطقة الواقعة بين شبه الجزيرة العربية والهند ، هي منطقة جغرافية تشمل بلدان غرب آسيا التي تطل على البحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط وبحر العرب ... للاستزادة . ينظر: سعد سعدي ، معجم الشرق الأوسط ، (بيروت : دار الجيل ، 1998) ؛ سالم علي الحجامي ، جغرافية العالم الحديث (دراسة في الجغرافية الإقليمية لقارات وبلدان العالم)، (ليبيا ، منشورات جامعة المرقب ، 2009) ، ص95-112.

([5]) " الوفاق " ، العدد (6364) ، 2020/2/26م ، ص ص1 ، 11.

([6]) " الوفاق " ، العدد (6364) ، 2020/2/26م ، ص2.

الإيرانية، مع اتخاذ دولته " **تركيا** " كافة الاحتياطات والتدابير اللازمة؛ لمنع تفشي الفيروس بين أوساط شعبها، لإيضاح أكثر من ذلك أستشهد الباحث بالنص الآتي **للوزير التركي**، ما نصه:

"بناء على طلب الجمهورية سوف نرسل عدة (كيت) تشخيص الفيروس إليها، ان اللجنة العلمية في بلادي ستحدد التدابير التي ستتخذها؛ لمنع انتشار الفيروس، منها فحص الذين جاءوا من الجمهورية إلى تركيا، ويمكن للإيرانيين المقيمين في تركيا العودة إلى بلادهم"[1].

أتصل رئيس هيئة الأركان الإيرانية اللواء **محمد باقري** في يوم الأربعاء المصادف الثامن من شهر نيسان في عام 2020م هاتفياً بوزير الدفاع التركي **خلوصي آكار**، بعد تبادل السلام بينهما تجاذبا اطراف الحديث عن نقل خبرات الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى تركيا في شأن معالجة المصابين في فيروس كورونا ومكافحته، على الرغم من الحظر "**الاقتصادي – الطبي**" المفروض عليها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، هنئ وزير الدفاع التركي رئيس هيئة الأركان الإيراني على نجاحاتهم ، حتى أفضى الأخير إلى القول :

" تم بفضل الإمكانيات والطاقات الكبيرة التي يحملها القطاع الصحي والعلاجي في الجمهورية ، الجهود المضنية والمتواصلة التي بذلتها الكوادر الطبية والعلاجية ، المشاركة الواسعة للقوات المسلحة مع قوات التعبئة(البسيج) فقد تم تحقيق نجاحات كبرى في مجال الحد من تفشي الفيروس ، رغم الحظر الاقتصادي والطبي الأميركي اللاإنساني والظالم ضد الجمهورية "[2].

أقدم وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية **محمد جواد ظريف** في يوم الأربعاء المصادف الثامن من شهر نيسان في عام 2020م على اتصال هاتفي مع نظيره التركي **مولود جاويش اوغلو**، بعد ان تبادل الطرفان التحية بينهما، أخبر الأول الثاني عن: " ***استعداد الجمهورية لتقديم أي شكل من أشكال المساعدة والتعاون في مجال مكافحة فيروس كورونا "***[3]، وفي يوم الاثنين المصادف العشرين من الشهر والعام ذاته أتصل وزير الداخلية الإيراني **عبد الرضا رحماني فضلي** مع نظيره التركي **سليمان صويلو**، بعد تبادل السلام تجاذبا اطراف الحديث حول نجاحات الجمهورية في احتواء فيروس كورونا، وما تصنعه الجمهورية من معدات وأجهزة تشخيص الفيروس من خلال ذلك يمكن تبادل النجاحات بينهما، في ضوء ذلك قال :

"نحن في الوقت الحاضر ننتج المعدات والمستلزمات الطبية والصحية، بما فيها معدات التشخيص وأجهزة التنفس الاصطناعي بالقدر الكافي، أطباءنا وممرضينا والعاملين في المجال الطبي والصحي، لديهم التجربة والإمكانيات والاستعداد الجيدة، لعلاج مرضى الفيروس، تسهيل مرور الشاحنات التركية عبر الأراضي الإيرانية مع مراعاة البروتوكولات الصحية "[4].

على حين رد وزير الداخلية التركي **سليمان صويلو** على نظيره الإيراني **عبد الرضا رحماني فضلي**، قائلا : ***" أعرب عن ارتياحي للنجاح الذي حققته الجمهورية في احتواء الفيروس، أكد ضرورة تبادل التجارب***

([1]) " الوفاق " ، العدد (6365) ، 2020/2/27م ، ص2.

([2]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6382) ، 2020/4/8م ، ص1.

([3]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6382) ، 2020/4/8م ، ص1.

([4]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6391) ، 2020/4/20م ، ص1.

والتعاون بين الدولتين في هذا المجال "[1]، أعلن مساعد رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية للشؤون العلمية والتقنية **سورنا ستاري** في يوم الثلاثاء المصادف الخامس من شهر أيار في عام 2020م عن استعداد الجمهورية في تصدير عدة تشخيص فيروس كورونا إلى تركيا في الأيام المقبلة ؛ بعد ان تمكنت الشركات المعرفية في الجمهورية على إنتاج جهاز التشخيص وفق المواصفات " **الطبية – العالمية** "، وحصولها على تراخيص من وزارة الصحة الإيرانية من أجل التصدير[2].

المطلب الرابع : حراك (روسيا – اليابان – بيلاروسيا – جورجيا) وتآزرها مع الجمهورية لاحتواء الفيروس

أولاً: روسيا

أجرت رئيسة إدارة مراقبة صحة المستهلك الروسية **آنا بوبوفا** في يوم الأربعاء المصادف الرابع من شهر أذار في عام 2020م لقاء مع السفير الإيراني **كاظم جلالي** في – **موسكو** – روسيا، بعد ان تبادلا السلام والتحية تجاذبا اطراف الحديث حتى أكدت **الأولى** على ان بلادها "**روسيا**" على: ***استعداد؛ لدعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال توفير الحاجات الدوائية والمعدات اللازمة؛ لمكافحة فيروس كورونا***"[3]، ورد **الثاني** على قولها بالشكر والثناء[4]، وفي **اليوم ذاته** أتصل الرئيس الروسي **فلاديمير بوتين** هاتفياً بنظيره الإيراني **حسن روحاني**، وخلال الاتصال أعلن الرئيس الروسي عن: " ***الاستعداد؛ لدعم الجمهورية في مواجهة الفيروس، وتبادل وجهات النظر حول الإجراءات المتخذة؛ لمكافحته واحتوائه***"[5]، في يوم الأربعاء المصادف الحادي عشر من شهر أذار في عام 2020م **أبلغ** السفير الإيراني **كاظم جلالي** في موسكو وزارة خارجيته، بان: " ***الحكومة الروسية زودت السفارة الإيرانية في موسكو يوم الثلاثاء***[6] ***خمسين ألف عدة (كيت)؛ لتشخيص فيروس كورونا، سيتم إرسالها إلى – الجمهورية الإسلامية الإيرانية في أسرع وقت؛ ليتم تسليمها إلى الفرق الطبية التي تخوض المواجهة مع الفيروس في الخط الأول***"[7].

ثانياً: اليابان

أقدمت الحكومة اليابانية في يوم السبت المصادف الرابع عشر من شهر أذار في عام 2020م على تقديم مبلغ مالي قدره ثلاثة ملايين ونصف دولار[8] للجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ لدعم الواقع الصحي والطبي في

([1]) نقلا عن : المصدر نفسه .

([2]) " الوفاق " ، العدد (6404) ، 2020/5/5م ، ص2.

([3]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6370) ، 2020/3/4م ، ص11.

([4]) المصدر نفسه .

([5]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6370) ، 2020/3/4م ، ص11 ؛ العدد (6371) ، 2020/3/5م ، ص1.

([6]) المصادف : (2020/3/10م).

([7]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6374) ، 2020/3/11م ، ص11.

([8]) على حين أعلنت السفارة الإيرانية في طوكيو بان المبلغ قدره **مليارين ونصف دولار** . ينظر: " الوفاق " ، العدد (6377) ، 2020/3/15م ، ص11.

الجمهورية، لمكافحة فيروس كورونا، في المقابل أعربت السفارة الإيرانية في – **طوكيو** – اليابان حاجتها إلى التضامن العالمي في المكافحة، وعن شكرها وتقديرها للمساعدة اليابانية[1].

كشف السفير الإيراني **مرتضى رحماني** في يوم الثلاثاء المصادف الثامن والعشرين من شهر نيسان في عام 2020م عن وصول رزم من مساعدات يابانية إلى سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في طوكيو، اهتمام الحكومة اليابانية برعايا الجمهورية في اليابان، إذ قال بـ:

"***اهتمام من الحكومة اليابانية تم تخصيص (23,5) مليون دولار من قبل منظمات دولية؛ لدعم شعب الجمهورية في مواجهة فيروس كورونا، وصول مساعدات إلى السفارة الإيرانية من قبل منظمات شعبية وإيرانيين مقيمين ويابانيين محبين للجمهورية، تم إرسال نحو ثلاثين رزمة مساعدات من اليابان إلى الجمهورية، هناك رزم أخرى في الطريق، بعد الاتصال مع مختلف الشركات اليابانية؛ لإرسال المساعدات الطبية والصحية إلى الجمهورية***"[2].

ثالثاً: روسيا البيضاء (بيلاروسيا)

أجرى وزير الصحة البيلاروسي **فلاديمير كارنيك** اتصال هاتفي مع السفير الإيراني **سعيد ياري** في – **مينسك** –روسيا البيضاء في يوم الثلاثاء المصادف الثالث من شهر أذار في عام 2020م، بحث سبل التعاون مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ لمكافحة فيروس كورونا، عن واقع الطلاب الإيرانيين الصحي في جامعات بيلاروسيا، لأهمية الاتصال ارتأى الباحث اقتباس جزء منها، إذ **قال الأول:**

"***إن جميع الطلاب الإيرانيين لدى جامعات بلادي بصحة جيدة تماماً، وهؤلاء يمرون بظروف طبيعية وتحت المراقبة، لا داعي للقلق بشأنهم؛ لأننا نعمل على توفير سبل الوقاية الصحية للطلاب والارتقاء بسلامتهم، وسبل التعاون بين الدولتين، ونقف إلى جانب الجمهورية؛ للحد من تفشي الفيروس ومكافحته***"[3].

رابعاً: جورجيا

أعلنت السفارة الإيرانية في – **تبليسي** – جورجيا في يوم الأحد المصادف الأول من شهر أذار في عام 2020م عن استعداد الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأي تعاون ممكن مع دولة جورجيا؛ من أجل مكافحة فيروس كورونا، وان الدول التي تتستر على الحقائق من خلال الادعاء بخلوها من الفيروس أو توجه بماكنتها الإعلامية أصابع الاتهام إلى دولة ما؛ لا يمكنها المساعدة في مكافحته، لانقاد بلدها واجتثاث هذا التهديد الصحي العالمي[4].

([1]) " الوفاق " ، العدد (6376) ، 2020/3/14م ، ص2.

([2]) نقلا عن : " الوفاق " ، العدد (6398) ، 2020/4/28م ، ص2.

([3]) " الوفاق " ، العدد (6369) ، 2020/3/3م ، ص2.

([4]) " الوفاق " ، العدد (6367) ، 2020/3/1م ، ص2.

أصدرت سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تفليس بياناً في يوم الأربعاء المصادف التاسع والعشرين من شهر نيسان في عام 2020م لرعاياها الإيرانيين المقيمين في جورجيا؛ بالعودة إلى ديارهم وفق التعليمات والإجراءات التي بينت في بيانها، في مقدمتها[1]:

- ان يملؤوا استمارة القسيمة الخاصة.
- ان يراعوا البروتوكولات الصحية، المقررة من قبل مسؤولي الدولة في –**جورجيا**– محل الإقامة مع وزارة الصحة الإيرانية.
- على الراغبين في العودة ان يتحملون جميع النفقات المرتبطة بالحجر الصحي، واختبارات الكشف عن فيروس كورونا.

الخاتمة والنتائج

يستوضح لكل قارئ للدراسة بإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية لم تتقاعس أو تتردد في استخدم أي وسيلة لردع فيروس كورونا **(كوفيد – 19)**، وحماية مواطنيها بشتى الطرق والسبل؛ في قيدومها **أومأتها** إلى وزارة خارجيتها ومؤسساتها "**القنصليات – الممثليات الدبلوماسية**" في الدول الإقليمية "الأجنبية"؛ للاتصال مع الدول الإقليمية والمجاورة الأجنبية لها على وجه الدقة، من أجل تشديد الرقابة على منافذها الحدودية معها، وغلقها مؤقتاً **أولاً:** والتآزر معها في تخطي – **وباء** – فيروس كورونا **ثانياً**، حتى بان خلالها جملة من النتائج، أهمها:

- إن الجمهورية أولت الأمن "**الصحي – المجتمعي**" أولية خاصة واهتمام بالغ الشدة، وتركيزها على القطاع الصحي؛ للحفاظ عليه بشتى الطرق والسبل، في مقدمتها فتح باب المخاطبة مع الدول الإقليمية "**الأجنبية**" في هذا الشأن.
- رغبة الجمهورية في تبادل الخبرة "**الطبية – العلاجية**" مع الدول الإقليمية "**الأجنبية**"؛ من قناعة ولدت لديها على انها تواجه فيروس فتاك لا يمكن مواجهته كدولة منفردة، كحالها التي تعيش في مستوى القهر وظروف الحظر "**الاقتصادي**" من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.
- علمت الجمهورية بان الإمكانيات والموارد والمختبرات الطبية في مؤسساتها "**الصحية**" ومستشفياتها الطبية عاجزة عن مواجهة فيروس كورونا، الذي أخذ **شيئاً** فشيئاً في الانتشار بين كافة مدنها ومحافظاتها، الأمر الذي دفعها إلى تبادل الخبرات "**الطبية – العلاجية**" مع الدول الإقليمية "**الأجنبية**"؛ لاحتواء الفيروس، الوقوف على سبل العلاجات الفعلية للمصابين به.
- على الرغم من تنوع المساعدات الطبية التي قدمتها الدول الإقليمية "**الأجنبية**" للجمهورية تارة، وإرسال الوفود والكوادر الطبية ذات التخصص في الأمراض والفيروسات؛ الا انها لم تكن أداة تردع – **ان جاز القول** – ناجعة في تثبيط الفيروس في الجمهورية، حتى تفشت عدوى – المرض – الفيروس في أرجائها، عليه بقت تواجه مصيرها مع الفيروس حالها حال الدول التي اجتاحها .

([1]) " الوفاق " ، العدد (6399) ، 2020/4/29م ، ص2.

ثبت المصادر

أولا : الدراسات الأكاديمية (رسالة)

1- حجاب عبد الله ، السياسة الإقليمية لإيران في آسيا الوسطى والخليج العربي (1979-2011) ، رسالة ماجستير ، (جامعة الجزائر : كلية العلوم السياسية والإعلام ، 2012) .

ثانياً : الكتب (العربية – المعربة)

أ- **الكتب العربية**

1- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، (بيروت : الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، د . ت) ، جـ1 .

2- فاضل زكي محمد ، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق العربي ، (بغداد : د . مط ، 1968) .

3- منير شفيق ، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ، 2008) .

ب- المعربة

1- دوروثي اتش كروفورد ، الفيروسات ، ترجمة : أسامة فاروق حسن ، (القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014) .

ثالثاً : البحوث المنشورة في المجلات الدولية

1- أمجد سعد شلال المحاويلي ، فيروس كورونا (كوفيد- 19) في اقتحام الأمن الصحي للجمهورية الإسلامية الإيرانية (1/23 - 26 /2/2020م) ، بحث منشور ، " مدارات إيرانية " ، (مجلة) ، المانيا – برلين ، العدد (8) ، حزيران 2020م.

رابعاً : المعاجم والموسوعات

1- سالم علي الحجامي، جغرافية العالم الحديث (دراسة في الجغرافية الإقليمية لقارات وبلدان العالم)، (ليبيا ، منشورات جامعة المرقب، 2009) .

2- سعد سعدي ، معجم الشرق الأوسط ، (بيروت : دار الجيل ، 1998) .

3- وضاح زيتون ، المعجم السياسي ، (عمان : دار أسامة ، 2010) .

خامساً : صحيفة إيران الدولية (الوفاق)

- " **الوفاق** " **صحيفة إيران الدولية** ، **(صحيفة)** ، طهران ، العدد (6340) ، 2020/1/26م.
- ========== ، العدد (6342) ، 2020/1/28م.
- ========== ، العدد (6343) ، 2020/2/1م.
- ========== ، العدد (6344) ، 2020/2/2م.
- ========== ، العدد (6345) ، 2020/2/3م.
- ========== ، العدد (6346) ، 2020/2/4م.
- ========== ، العدد (6347) ، 2020/2/5م.
- ========== ، العدد (6349) ، 2020/2/8م.
- ========== ، العدد (6350) ، 2020/2/9م.
- ========== ، العدد (6354) ، 2020/2/15م.
- ========== ، العدد (6359) ، 2020/2/20م.
- ========== ، العدد (6360) ، 2020/2/22م.
- ========== ، العدد (6361) ، 2020/2/23م.

- ========== ، العدد (6363) ، 2020/2/25م.
- ========== ، العدد (6364) ، 2020/2/26م.
- ========== ، العدد (6365) ، 2020/2/27م.
- ========== ، العدد (6366) ، 2020/2/29م.
- ========== ، العدد (6367) ، 2020/3/1م.
- ========== ، العدد (6369) ، 2020/3/3م.
- ========== ، العدد (6370) ، 2020/3/4م.
- ========== ، العدد (6371) ، 2020/3/5م.
- ========== ، العدد (6374) ، 2020/3/11م.
- ========== ، العدد (6375) ، 2020/3/12م.
- ========== ، العدد (6376) ، 2020/3/14م.
- ========== ، العدد (6377) ، 2020/3/15م.
- ========== ، العدد (6378) ، 2020/4/4م.
- ========== ، العدد (6379) ، 2020/4/5م.
- ========== ، العدد (6381) ، 2020/4/7م.
- ========== ، العدد (6382) ، 2020/4/8م.
- ========== ، العدد (6385) ، 2020/4/11م.
- ========== ، العدد (6389) ، 2020/4/15م.
- ========== ، العدد (6391) ، 2020/4/20م.
- ========== ، العدد (6398) ، 2020/4/28م.
- ========== ، العدد (6399) ، 2020/4/29م.
- ========== ، العدد (6404) ، 2020/5/5م.

سادساً : شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت)

1- بيتر ميدور ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، https://www.marefa.org .

2- جامعة الأندلس للعلوم الطبية ، الفيروسات ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، http://au.edu.sy .

3- خارطة إيران والصين ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، https://www.google.com .

4- سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية ... مزج في ثقافته بين الفارسية والعربية ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، https://www.alraimedia.com .

5- فيروس كورونا ، شبكة المعلومات الدولية " الأنترنت " ، https://www.moh.gov.sa .

العلاقات الإيرانية الأفغانية 2002-2020 رؤية استراتيجية

Iranian-Afghan relations 2002-2020 is a strategic vision

أ. هيبة غربي

ماستر في العلوم السياسة قسم العلاقات الدولية/اختصاص الدراسات الأمنية والاستراتيجية 2017 بـــ جامعة قسنطينة 3 /الجزائر

Gharbi Hiba

Master in Political Science Département of International Relations / Security Studies and Strategic Studies 2017 Constantine University 3 / Algeria

E: hibapolitique1980@hotmail.fr

الملخص:

بُنيت العلاقات الإيرانية الأفغانية ووُضعت انطلاقاً من الرؤية الإيرانية التي ركزت على الموقع الجيوبوليتيكي، ووضعت منه الركيزة الأساسية التي بنت عليها علاقاتها مع أفغانستان، وفي هذا الصدد انطلق المخططين الاستراتيجيين الإيرانيين في رسم العلاقات بين بلدهم وأفغانستان من موضعين رئيسيين اثنين وهما كالتالي: **الأول** وهو تبنيهم لـــ نظرية "**المجال الحيوي**" في التعامل مع أفغانستان ودول مجاورة أخرى، أمّا **الثاني** فيرجع إلى الظروف التي سادت المنطقة الأسيوية والشرق أوسطية بعد الحادي عشر سبتمبر، ومست بصورة مباشرة الجوار القريب لإيران وعلى وجه التحديد الاحتلال الأمريكي لـــ أفغانستان والذي حول هذه الأخيرة إلى منطقة رخوة فتحت المجال واسعاً لدخول قوى إقليمية ودولية كثيرة إلى حلبة الصراع، وهو أمر لا يتناسب مع الأمن القومي الإيراني.

Summary :

The Iranian-Afghan relations were built and developed on the basis of the Iranian vision that focused on the geopolitical position, and from it the main pillar on which its relations with Afghanistan were built, and in this regard Iranian strategic planners set out to draw relations between their country and Afghanistan from two main points, as follows: The first is their adoption of - The theory of "vital sphere" in dealing with Afghanistan and other neighboring countries, as for the second, it refers to the conditions that prevailed in the Asian and Middle Eastern regions after the eleventh of September, and directly touched the close neighborhood of Iran, specifically the American occupation of Afghanistan, which turned the latter into a soft region that opened The room is wide for the entry of many regional and international powers into the arena of conflict, which is not commensurate with Iran's national security.

الكلمات المفتاحية: إيران/ أفغانستان/ العلاقات الإيرانية الأفغانية

Keywords: Iran / Afghanistan / Iran-Afghan Relations

1. الإطار العام للدراسة:

1.1 مقدمة:

يتخذ الحديث عن العلاقة الإيرانية–الأفغانية أبعادًا أمنية وسياسية واقتصادية فضلاً عن البعد الاجتماعي، كما تفتح الحدود الإيرانية–الأفغانية التي تصل إلى **945 كلم**، المجال واسعًا لتهديدات كثيرة، مثل: تهريب المخدرات، والهجرة غير الشرعية، وغياب الأمن عن المناطق الحدودية، ومهاجمة النقاط الأمنية الحدودية. ما جعل إيران تعتبر الحدود مشكلة بـــ النسبة لها وهي التي تُشكل عبئًا ماليًا وأمنيًا، هذا وتنظر السياسة الخارجية الإيرانية بكثير من الاهتمام إلى أفغانستان، ويُدعم ذلك وجود مشتركات ثقافية وعرقية ولغوية وتاريخية ودينية تراهن عليها طهران في بناء علاقات تعزز من نفوذها الإقليمي ومن مصالحها السياسية. مقدمة بذلك الدعم لحكومة الرئيس الأفغاني "**حامد كرزاي**" أثناء فترة حكمه على مدى ثلاث دورات. كما لم يمنعها التاريخ العدائي مع طالبان من تقديم الدعم لهذه الأخيرة في مواجهة قوات التحالف، الأمر الذي يُثير الكثير من الأسئلة بشأن الأبعاد التي تحكم السياسة الإيرانية تجاه أفغانستان. ففي المجموع مرت العلاقات الإيرانية–الأفغانية بـــ منعطفات عدة تعززت فيها نسبيًا وتراجعت كثيرًا لكنها لم تنقطع، باستثناء ثلاث فترات تاريخية تتعلق أولاها بالخلاف بـــ شأن "**نهر هيرمند**" الذي ما زال الخلاف بشأنه قائمًا، وثانيها بوصول الشيوعيين إلى الحكم في أفغانستان سنة **1978**، ثم بـــ قيام الثورة الإسلامية في إيران حيث وقف الخلاف الأيديولوجي سدًا أمام تحسين العلاقات بين البلدين لا بل تراجعت في المجال الاقتصادي والسياسي إلى الصفر. أمّا ثالثها وأكثرها حدّة فيتعلق بـــ فترة حكم طالبان ومقتل الدبلوماسيين الإيرانيين في "**مزار شريف**" سنة **1998**[1].

2.1 مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تبرز مشكلة الدراسة في أنّ العلاقات بين إيران وأفغانستان وُضعت انطلاقاً من الرؤية الإيرانية التي ركزت على الموقع الجيوبوليتيكي، ووضعت منه الركيزة الأساسية التي بنت عليها علاقاتها مع أفغانستان، وفي هذا الصدد انطلق المخططين الاستراتيجيين الإيرانيين في رسم العلاقات بين بلدهم وأفغانستان من موضعين رئيسيين اثنين وهما كالتالي: الأول وهو تبنيهم لـــ نظرية "**المجال الحيوي**" في التعامل مع أفغانستان ودول مجاورة أخرى، وعي النظرية التي تبلورت بعد الحرب العالمية الأولى على يد النازيين في ألمانيا، والتي تقول بان لكل شعب الحق بالاستيلاء على الجغرافيا التي يراها ضرورية لنموه، وهي نظرية مبنية في الأساس على احتقار الشعوب الأخرى والتعالي عليها وهو ما يتناسب مع الثقافة الشيعية اتجاه السنة التي تعتبر مذهب الأغلبية في أفغانستان. أمّا الثاني فيرجع إلى الظروف التي سادت المنطقة الأسيوية والشرق أوسطية بعد الحادي عشر سبتمبر، ومست بصورة مباشرة الجوار القريب لإيران وعلى وجه التحديد الاحتلال الأمريكي لـــ أفغانستان والذي حول هذه الأخيرة إلى منطقة رخوة فتحت المجال واسعاً لدخول قوى إقليمية ودولية كثيرة إلى حلبة الصراع، وهو أمر لا يتناسب مع الأمن القومي الإيراني ما جعل إيران تعمل جاهدة على الدخول إلى هذه المنطقة الرخوة ومحاولة فرض نفوذها. من هنا ظهر التساؤل الرئيس التالي: **كيف ساهمت العلاقات**

---

[1] فاطمة الصمادي، "**أفغانستان ....قلق إيران الدائم**"، مركز الجزيرة للدراسات، موقع: https://studies.aljazeera.net/، 2020/07/09.

الإيرانية الأفغانية في رسم سياسة إيرانية جديدة لإفشال المهمة الأمريكية في أفغانستان من جهة وبسط نفوذها من جديد في البلاد الجارة من جهة ثانية؟ ومنه تفرعت الأسئلة التالية:

- **ما هي أهم المميزات التي ميزت العلاقة الإيرانية الأفغانستانية كعلاقة معقدة؟**
- **ما الذي ميز العلاقات الإيرانية الأفغانية 2002-2020 كمرحلة جديدة؟**
- **ما مستقبل العلاقات الإيرانية الأفغانية بعد الانسحاب الأمريكي الجزئي من أفغانستان واهم الاستراتيجيات الإيرانية المتخذة في ذلك؟**

3.1 أهمية الدراسة:

أدى انهيار نظام طالبان سنة **2001** إلى تغيير موقف طهران بعمق؛ فقد كانت إيران عدائية تجاه نظام طالبان، لكنها قبلت الحكومة الأفغانية في بداية التسعينيات، واستقبلت ملايين اللاجئين الأفغان، وإن لم تتراجع عن تأييد الجماعات "**المتمردة**" في أفغانستان. ثم بدا أنّ إيران تساعد الولايات المتحدة في القضاء على ذلك النظام وخلق حكومة جديدة في أفغانستان، وهو ما انعكس في الزيارة التي قام بها الرئيس الإيراني السابق "**محمد خاتمي**" إلى العاصمة كابول في **أوت 2002**، في أول زيارة رفيعة المستوى منذ **40** عاماً. فإيران لم تغب يومًا عن أفغانستان غير المستقرة منذ سنة 2002، بل عزَّزت نفوذها في الداخل الأفغاني من خلال ربط الكثير من العلاقات خاصة وانّ اتساع رقعة تمدد حركة طالبان إلى جانب ظهور تنظيم الدولة عاملين رئيسيين لتعيد إيران النظر في أولوياتها تجاه أفغانستان، كما كان لسياسة الضغط الأقصى الأميركية دورًا مسرِّعًا لتغيير الموقف الإيراني. والواضح أنّ تاريخ العداء المتبادل منع الطرفين من القبول بالتفاوض في فترات سابقة. إلاّ أنّ الواقع الجديد فرض على الجانبين التعاون وتغليب المصلحة المشتركة. أضف إلى ذلك، بروز قيادات تتسم بـــــ براغماتية أكبر في صفوف الحركة.

4.1 فرضية الدراسة:

إذا كان التعاون بين إيران كنظام دولة تسعى إلى الهيمنة ومد النفوذ بأي ثمن، حتى لو تطلب الأمر تحالفاً مع الشيطان أو الإرهاب، وجماعات إرهابية ومتطرفة تسعى إلى ضمان استمرارها وبقائها بأي ثمن أيضاً. **فانّ** هذا التعاون باختصار هو تعاون أشرار لا يخلو من دون شك من تقاطع مصالح. خاصة وأنّ حركة طالبان التي كانت أشد أعدائها في أفغانستان إبان حكمها وذلك وَفق قاعدة ليس هناك أعداء دائمون ولا حلفاء دائمون وإنما هناك مصالح دائمة.

5.1 منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج "**التحليلي المقارن**" الذي يسمح لنا بتفسير العلاقة الإيرانية الأفغانية في فترتين زمنيتين مختلفين قبل وبعد انهيار نظام طالبان سنة **2001** والذي أدى بدوره إلى تغيير موقف طهران بعمق؛ فقد كانت إيران عدائية تجاه نظام طالبان، لكنها قبلت الحكومة الأفغانية في بداية التسعينيات، واستقبلت ملايين اللاجئين الأفغان. فأولوياتها في أفغانستان لم تكن وليدة آمالها بل كانت تعكس الواقع الذي تلا الاحتلال لنفس السنة. فعودة الحركة للسيطرة المتدرجة على الأرض واستمرار الدعم الإقليمي لها بات أمرًا

يستحيل إغفاله في تحديد اتجاهات المستقبل الأفغاني. بذلك، توصلت طهران إلى ضرورة إعادة النظر في سلم أولوياتها والتوفيق بين هدفيها الرئيسيين في أفغانستان. ونتيجة لذلك برزت ضرورة التفاوض مع طالبان وإشراكها في العملية السلمية. إضافة إلى المنهج "**الوصفي**" من خلال وصف أهم ما ميز هذه العلاقات سواء المعقدة منها أو الجديدة من خلال إعادة الحسابات وترتيب الأولويات من جهة واتخاذ استراتيجيات جديدة بعد الانسحاب الجزئي للولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية.

6.1 الدراسات السابقة: هناك مجموعة من الدراسات السابقة والتي جاءت تقريبا في نفس الصدد أهمها:

_ كتاب **علي رضا نادر، علي ج، سكوتن وغيرهم** تحت عنوان:. **النفوذ الإيراني في أفغانستان الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية** صدر سنة **2014**. ركز الكتاب هنا على أهم ما يجمع بين إيران وأفغانستان من الكثير من القواسم المشتركة من بينها اشتراكهما في لغة واحدة، وروابط تاريخية وثقافية وطيدة، بل واشتراكهما في نفس الأعداء أحياناً. لذا يتوقف امن واستقرار أحداهما على امن واستقرار الأخرى، إلاّ انه ليس من الصواب أن نفترض أنّ العلاقة التي تجمع بين الجارتين هي علاقات لا تشوبها شائبة. ففي حين يرى بعض الأفغان في إيران جراً حميماً بل وحام محتمل لأفغانستان، نجد أنّ الكثير من الأفغان يُبدُون استياءهم ما يرونه بـــ مثابة تدخل إيراني سافر في شؤون بلادهم.

_ مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية لـــ **امنة دبازي**، تحت عنوان: **التدخل الأمريكي في أفغانستان والرهانات الجيو سياسية 2014/2001** صدرت سنة **2014**. ركزت الطالبة على العلاقات بينهما والتي وُضعت انطلاقاً من الرؤية الإيرانية التي ركزت على الموقع الجيوبوليتيكي، ووضعت منه الركيزة الأساسية التي بنت عليها علاقاتها مع أفغانستان، وفي هذا الصدد انطلق المخططين الاستراتيجيين الإيرانيين في رسم العلاقات بين بلدهم وأفغانستان من موضعين رئيسيين اثنين وهما كالتالي: الأول وهو تبنيهم لـــ نظرية "**المجال الحيوي**" في التعامل مع أفغانستان ودول مجاورة أخرى، والتي تنطلق من أن لكل شعب الحق بالاستيلاء على الجغرافيا التي يراها ضرورية لنموه، وهي نظرية مبنية في الأساس على احتقار الشعوب الأخرى والتعالي عليها وهو ما يتناسب مع الثقافة الشيعية اتجاه السنة التي تعتبر مذهب الأغلبية في أفغانستان. أمّا الثاني فيرجع إلى الظروف التي سادت المنطقة الأسيوية والشرق أوسطية بعد الحادي عشر سبتمبر، ومست بصورة مباشرة الجوار القريب لإيران وعلى وجه التحديد الاحتلال الأمريكي لـــ أفغانستان والذي حول هذه الأخيرة إلى منطقة رخوة فتحت المجال واسعاً لدخول قوى إقليمية ودولية كثيرة إلى حلبة الصراع، وهو أمر لا يتناسب مع الأمن القومي الإيراني. ما جعل إيران تعمل جاهدة على الدخول إلى هذه المنطقة الرخوة ومحاولة فرض نفوذها.

_ كتاب **ياسر عبد الحسين** تحت عنوان: **السياسة الخارجية الإيرانية مستقبل السياسة في عهد الرئيس حسن روحاني** صدر سنة **2015**. ركز الكاتب هنا على القوة الناعمة التي اعتمدتها إيران والتي تعني كما يقول المؤلف الأمريكي "**جوزاف ناي**"**جعل الآخرين يقبلون ما تريده أنت، فيختارونه بدلا من إجبارهم، وعادة ما ترتبط بمصادر القوة غير الملموسة، كالثقافة والعقيدة والمؤسسات ذات الجاذبية،**" ووفق تلك المقاييس،

فانّ المصادر المهمة للقوة الناعمة ستكون من الثقافة بشكل عام، وخصوصا تلك التي تسوق بشكل جيد وتجدب الآخرين، وكذلك القيم السياسية التي تتبناها الدولة، وتعمل على تطبيقها بشكل واضح. عند تطبيق هذا النموذج على مستوى السياسة الخارجية الإيرانية في علاقتها مع أفغانستان خاصة وان هذه الأخيرة دولة جارة تكتسب أهمية في الإستراتيجية الإيرانية، نجد أنّ الباحث الإيراني "**عباس مالكي**" يحدد معالم القوة الناعمة عندما يؤكد أن التقاليد الإيرانية واللغة الفارسية ومبادئ الإسلام والتشيع تُمثل مصادر الثقافة الإيرانية، وإحدى مقاومات القوة الناعمة. ولعل نتاج هذا التطور في أدوات القوة الناعمة الإيرانية، جاء حصيلة محاصرة وحرب ناعمة طويلة مارستها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إيران. جعلت منها دولة قوية تتقن جيدا توظيف القوة الناعمة بدلا من القوة الخشنة في علاقاتها الدولية.

_ إضافة إلى العديد من **المقالات** والتي جاءت تقريباً كلها في نفس الصدد خاصة وانّ الكثير من الوقائع السياسية في الإقليم الشرق أوسطي المضطرب، تُشير إلى أنَّ الانسحابات العسكرية للقوى الكبرى من الدول غير المستقرة سياسيًا والمضطربة أمنيًا قبل تعافيها حتمًا ستُطيل من أمد صراعاتها الداخلية وانتشار الجماعات الإرهابية المهددة للأمن والسلم الدوليين والتدافعات الخارجية ولاسيما من جهة الدول ذات النزعة التوسعية التي تسعى لبناء فضاء إقليمي واسع في مجالاتها الحيوية؛ إذ تجد فرصة سانحة لتمرير مخططاتها ومشاريعها لاسيما إذا كانت تلك الدول غير المستقرة قريبة جغرافيًا لهذه الدولة ذات النزعة التوسعية. وهو ما تحاول إيران فعله حقا مع الجارة أفغانستان .

التعقيب على الدراسات السابقة: استعرض البحث على مجموعة من الدراسات ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بـــــ موضوع البحث محل الدراسة، أين توصلت الأبحاث من خلال تلك الدراسات إلى مجموعة من النتائج أعانته على إثراء الإطار النظري للدراسة الحالية، ومن خلال الاستعراض للدراسات السابقة يُمكننا التعقيب على هذه الأخيرة في النقاط التالية:

الاستفادة من الدراسات السابقة:

تتمثل هذه الاستفادة في النقاط التالية أهما:

_ تحديد الإطار العام للدراسة.

_ تحديد متغيرات الدراسة وإمكانية صياغة أسئلتها.

_ اختيار منهج الدراسة والأداة المناسبة لها.

_ مقارنة بعض النتائج في الدراسات السابقة بـــ نتائج الدراسة الحالية.

_ الاستفادة من مراجع الدراسات السابقة.

أوجه التشابه والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسات الحالية:

أوجه التشابه: كلاهما يهدفان إلى البحث في أدبيات موضوع الدراسة من خلال التركيز على أهم ما يجمع بين إيران وأفغانستان من الكثير من القواسم المشتركة من بينها اشتراكهما في لغة واحدة، وروابط تاريخية وثقافية وطيدة، بل واشتراكهما في نفس الأعداء أحياناً. لذا يتوقف امن واستقرار أحداهما على امن واستقرار

الأخرى. لذلك فانّ المصادر المهمة للقوة الناعمة ستكون من الثقافة بشكل عام، وخصوصا تلك التي تسوق بشكل جيد وتجدب الآخرين، وكذلك القيم السياسية التي تتبناها الدولة، وتعمل على تطبيقها بشكل واضح. خاصة وان الكثير من الوقائع السياسية في الإقليم الشرق أوسطي المضطرب، تُشير إلى أنَّ الانسحابات العسكرية للقوى الكبرى من الدول غير المستقرة سياسيًا والمضطربة أمنيًا قبل تعافيها حتمًا ستُطيل من أمد صراعاتها الداخلية وانتشار الجماعات الإرهابية المهددة للأمن والسلم الدوليين والتدافعات الخارجية ولاسيما من جهة الدول ذات النزعة التوسعية التي تسعى لبناء فضاء إقليمي واسع في مجالاتها الحيوية؛ إذ تجد فرصة سانحة لتمرير مخططاتها ومشاريعها لاسيما إذا كانت تلك الدول غير المستقرة قريبة جغرافيًا لهذه الدولة ذات النزعة التوسعية. وهو ما تحاول إيران فعله حقًا مع الجارة أفغانستان.

أوجه الاختلاف: لا توجد هناك أوجه اختلاف بين الدراسات السابقة والدراسات الحالية على اعتبار أنّ جميع الدراسات تحدثت عن أهم ما يميز العلاقات الدولية انطلاقاً من **الواقعية الكلاسيكية** التي تُفسر علاقات الدول بـــ بعضها البعض كلها علاقات مصلحة المرادفة للقوة، والقوة هي جزء من طبيعة الإنسان البيولوجية، فقد توافقت مع "**طوماس هوبز**" في كون أنّ الإنسان شرير بطبعه. مروراً بـــــ القوة الناعمة التي اعتمدتها إيران والتي عادة ما ترتبط بمصادر القوة غير الملموسة، كالثقافة والعقيدة والمؤسسات ذات الجاذبية، ووفق تلك المقاييس، فانّ المصادر المهمة للقوة الناعمة ستكون من الثقافة بشكل عام، وخصوصاً تلك التي تسوق بشكل جيد وتجدب الآخرين، وكذلك القيم السياسية التي تتبناها الدولة، وتعمل على تطبيقها بشكل واضح. وصولاً إلى مستوى السياسة الخارجية الإيرانية في علاقتها مع أفغانستان خاصة وان هذه الأخيرة دولة جارة تكتسب أهمية في الإستراتيجية الإيرانية، أين نجد أنّ الباحث **الإيراني** "**عباس مالكي**" يُحدد معالم القوة الناعمة عندما يؤكد أنّ التقاليد الإيرانية واللغة الفارسية ومبادئ الإسلام والتشيع تُمثل مصادر الثقافة الإيرانية، وإحدى مقاومات القوة الناعمة.

2. إيران وأفغانستان علاقة معقدة:

تجمع إيران وأفغانستان الكثير من القواسم المشتركة من بينها اشتراكهما في لغة واحدة، وروابط تاريخية وثقافية وطيدة، بل واشتراكهما في نفس الأعداء أحياناً. لذا يتوقف امن واستقرار أحداهما على امن واستقرار الأخرى، إلاّ انه ليس من الصواب أن نفترض أنّ العلاقة التي تجمع بين الجارتين هي علاقات لا تشوبها شائبة. ففي حين يرى بعض الأفغان في إيران جراً حميماً بل وحام محتمل لأفغانستان، نجد أنّ الكثير من الأفغان يُبدُون استياءهم ما يرونه بـــ مثابة تدخل إيراني سافر في شؤون بلادهم. وينتاب الكثير من الأفغان – لاسيما الطاجيك والهزارة، وغيرهم من البشتون _ قلق خاص حيال باكستان وحليفتها طالبان. فعلى الرغم من أنّ طالبان هي حركة سياسية يُهيمن عليها البشتون، إلاّ أنّ القلق ينتاب الكثير من الأفغان بمن فيهم البشتون

أنفسهم حيال النفوذ الباكستاني في الشؤون الداخلية لأفغانستان. لذا فانه من المغري لإيران أن ترى في نفسها أنها هي القوة الطبيعية الموازنة لقوة باكستان وأنها الحامي للأقليات المحصورة في أفغانستان[1].

1.2 أفغانستان وروابطها الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية المعقدة مع إيران:

تعود العلاقة بين إيران وأفغانستان إلى حقبات تاريخية قديمة بحكم الجوار من جهة، والتقارب العرقي والديني من جهة أخرى. أما فيما يتعلق بـــــ بالتاريخ المعاصر لهاتين الدوليتين فان العلاقات بينهما وُضعت انطلاقاً من الرؤية الإيرانية التي ركزت على الموقع الجيوبوليتيكي، ووضعت منه الركيزة الأساسية التي بنت عليها علاقاتها مع أفغانستان، وفي هذا الصدد انطلق المخططين الاستراتيجيين الإيرانيين في رسم العلاقات بين بلدهم وأفغانستان من موضعين رئيسيين اثنين وهما كالتالي: الأول وهو تبنيهم لـــ نظرية "**المجال الحيوي**" في التعامل مع أفغانستان ودول مجاورة أخرى، وهي النظرية التي تبلورت بعد الحرب العالمية الأولى على يد النازيين في ألمانيا، والتي تنطلق من أنّ لكل شعب الحق بالاستيلاء على الجغرافيا التي يراها ضرورية لنموه، وهي نظرية مبنية في الأساس على احتقار الشعوب الأخرى والتعالي عليها وهو ما يتناسب مع الثقافة الشيعية اتجاه السنة التي تعتبر مذهب الأغلبية في أفغانستان. أمّا الثاني فيرجع إلى الظروف التي سادت المنطقة الأسيوية والشرق أوسطية بعد الحادي عشر سبتمبر، ومست بصورة مباشرة الجوار القريب لإيران وعلى وجه التحديد الاحتلال الأمريكي لـــ أفغانستان والذي حول هذه الأخيرة إلى منطقة رخوة فتحت المجال واسعاً لدخول قوى إقليمية ودولية كثيرة إلى حلبة الصراع، وهو أمر لا يتناسب مع الأمن القومي الإيراني . ما جعل إيران تعمل جاهدة على الدخول إلى هذه المنطقة الرخوة ومحاولة فرض نفوذها[2].

هذا وقد اتسمت العلاقات الثقافية والدينية بين إيران وأفغانستان بـــ القوة، ممّا يُمكن أن يمنح طهران قدراً كبيراً من النفوذ السياسي هناك. فحسب الزعماء الشيعة الأفغان البارزين فان لإيران اليوم وجود قوي في أفغانستان غير أن أكثره وجود غير رسمي، إذ يُعزى مثل هذا الوجود إلى الثقافة والعادات واللغة. فاللغة الدارية، وهي إحدى اللغتين الرسميتين في أفغانستان وينطق بها ما يقرب **50%** من السكان، ترتبط ارتباطا وثيقاً باللغة الفارسية وهي اللغة الرسمية في إيران. وبالتالي يستطيع معظم الإيرانيين والأفغان في الغالب التواصل مع بعضهم البعض معتمدين على اللهجات واللكنات المحلية. وعلاوة على ذلك، فان الملايين من الأفغان الآخرين، بمن فيهم الكثير من أفراد الطبقة المثقفة، قد عاشوا وتلقوا تعليمهم في إيران لذا فهم يألفون اللغة الفارسية بشكل كبير. وربما يشعر الطاجيك الأفغان المتحدثين باللغة الدارية على وجه الخصوص بتقارب ثقافي مع إيران. واغلب مناطق غرب وشمال شرق أفغانستان، بالإضافة إلى المدن الكبرى مثل العاصمة كابول، التي يسكنها الطاجيك.

---

[1] علي رضا نادر وآخرون، **النفوذ الإيراني في أفغانستان الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة**، المملكة المتحدة: RAND، 2014، ص 5.

[2] امينة دبازي، **التدخل الأمريكي في أفغانستان والرهانات الجيوسياسية 2001-20014**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، (جامعة الجزائر 3: قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية/فرع العلاقات الدولية، 2014/2013)، ص 62.

إنّ معظم الأفغان، بما فيهم الطاجيك هم من المسلمين السنة، في حين أنّ ما يتراوح بين **90 %** إلى **95%** من سكان إيران هم من الشيعة. ومع ذلك، فان جزءاً كبيراً من سكان أفغانستان، والذي يبلغ ما يقرب **20 %**، ينتمي إلى الطائفة الشيعية. ومن بين هؤلاء قبيلة "**الهزارة Hazara**"، وهي أقلية لطالما كانت مضطهدة، لها أصول أسيوية وتقطن في ما يعرف بـــ اسم منطقة "**هازاراجت Hazarajat** " في إقليم "**باميان Babmyane** " والأقاليم المحيطة. وتُعتبر قبيلة "**الهزارة Hazara**"، أكبر تجمع للشيعة في أفغانستان على الرغم من وجود طوائف شيعية أخرى مثل قبيلة "**قيزلباش Qizilbash**" وقبيلة "**الفرسيوان Fersiwan**"، وقبيلة "**السيدز Sayyeds** ".

عادة ما كانت قبيلة "**الهزارة Hazara**"، تُدير أنظارها إلى طهران سعياً منها للحصول على إرشادها الديني والسياسي، وقد بزغ نجمها بصفتها جهة فاعلة لها أهميتها على الساحتين الاجتماعية السياسية في أفغانستان منذ الإطاحة بـــــ نظام طالبان سنة **2001**. إذ يشغل رجال السياسة من هذه القبيلة مناصب حكومية هامة في العاصمة كابول ومن المرجح لهم أن يحتفظوا بتلك المناصب حتى بعد انسحاب القوات الأمريكية. كما لعب "**كريم خاليلي**"، نائب الرئيس الأفغاني وزعيم حزب الوحدة الإسلامي التابع لهذه القبيلة آنذاك دوراً هاماً في حكومة ما بعد سنة **2014**. أين أصبحت هذه القبيلة أكثر صراحة في التعبير عن عقيدتها الشيعية بعدما كانت تزرح تحت وطأة التمييز الشديد على أيدي حركة طالبان. فالمواكب العامة التي تميز الأعياد المقدسة لدى الشيعة، والتي كانت محظورة في ظل حكم طالبان، قد صارت أكثر شيوعاً في شوارع كابول وغيرها من المدن الأخرى.

ويميل أكثر أفراد هذه القبيلة وغيرهم من الشيعة الآخرين للتعاطف مع إيران بشكل اكبر بكثير من ميلهم للتعاطف مع باكستان انطلاقاً من احد التصريحات والتي عبر عنها احد زعماء الشيعة الأفغان قائلا: "انه **وبـــــ النظر إلى الماضي، يُمكننا أن نرى أنّ إيران لم تلعب فعلياً أي دور يهدف لزعزعة امن واستقرار أفغانستان، ومن جهة أخرى يُمكننا أن نرى أن باكستان لا ترغب في أن ترى جارتها أفغانستان تنعم بهذا الاستقرار، فمنذ زمن الجهاد وحتى الآن، لعبت باكستان 90 %من الدور الذي يهدف لتدمير البني التحتية في أفغانستان**". وعليه من المرجح أن تستغل إيران صلاتها بقبيلة "**الهزارة Hazara**" وغيرها من القبائل الشيعة الأخرى لممارسة نفوذها في أفغانستان ما جعل تقريبا 55 من أعضاء البرلمان هم من الشيعة وربما تكون لهم صلات بـــ إيران. مع شعور الكثير من زعماء الشيعة الأفغان بـــ تقارب شخصي ديني بينهم وبين إيران[1]. وتُشير الكثير من المعطيات الإقليمية إلى أنَّ إيران لم تترك الفراغات دون استغلالها خاصة في دولة جارة تكتسب أهمية في الإستراتيجية الإيرانية بحكم وقوعها ضمن الفضاء الإقليمي الإيراني الواسع على الحدود الشرقية الإيرانية بحدود تصل لـــ 921كم، فبالنظر إلى الروابط الثقافية والدينية بين الدولتين كاللغات المشتركة والتركيبة الديمغرافية الأفغانية ذات المكون الشيعي بنسبة 15–20% من الشيعة الأفغان–قبيلة الهزارة–من

[1] علي رضا نادر وآخرون، **النفوذ الإيراني في أفغانستان الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة**، المملكة المتحدة: RAND، 2014، ص ص 6–7.

إجمالي 34.9 مليون نسمة حسب أرقام جهاز الاستخبارات الأمريكي يتوزعون في المناطق الجغرافية المتاخمة للحدود الإيرانية–الأفغانية في مدينة هِرات التي يطلق عليها إيران الصغرى غربي أفغانستان، فمدارسها وجامعاتها– كجامعتي المصطفى الإسلامية وآزاد الإسلامية من أكثر الجامعات الإيرانية انتشارًا في أفغانستان في هِرات وكابل وغيرهما من المدن–وطقوسها إيرانية 100% أو على النمط الإيراني[1].

2.2 محددات النفوذ الإيراني في أفغانستان:

قامت القيادة الإيرانية باستثمار عدة عوامل مكنتها من التوغل في أفغانستان بشكل حذر منذ الإطاحة بحكم طالبان سنة **2001** ضمن آليات استراتيجيه موضحة وفق ما يأتي:

_ استثمار الروابط الثقافية والعرقية "**الفارسية**" التي تجمع بين شريحة كبيرة من الشعب الأفغاني والإيرانيين في بداية بناء نفوذ إيران داخل البلاد، حيث قامت بتعزيز العلاقات مع عرقية الطاجيك السنية التي تتحدث بلغة تشابه الفارسية، وكذلك مع عرقية البشتون السنية التي تستولي على مناصب حساسة في مراكز صنع القرار الأفغانية، بالإضافة إلى محاولة احتواء عرقية الهزارة الشيعية –التي تتهم حركة طالبان بشكل مستمر بالقيام باضطهادها– عبر تقديم المنح المالية والدعم الاجتماعي لها. واستطاعت إيران بذلك تكوين شبكة علاقات لعبت من خلالها على المتناقضات بين مكونات المجتمع الأفغاني.

_ انتقلت إيران إلى ترجيح العلاقات المذهبية الشيعية على الروابط العرقية لبناء قاعدة سياسية صلبة جديدة تصل إلى دوائر صنع القرار الأفغانية وتكون حليفة لطهران بما يحقق للأخيرة تمرير مصالحها بشكل سلس في البلاد، بالإضافة إلى بناء جدار حماية أمني وسياسي للأقلية ضد سياسات طالبان المستهدفة لهم، وعليه فقد قامت بتمكين عرقية الهزارة الشيعية بشكل أكبر للوصول إلى مناصب قيادية في أجهزة الدولة الأفغانية، وشاركت الهزارة بفاعلية في الانتخابات البرلمانية الأخيرة مستفيدة من الدعم الإيراني لها، وحصلت على تمثيل برلماني بـــ **61** مقعدًا من إجمالي عدد مقاعد البرلمان البالغ عددها **249** مقعدًا. كما استطاع الشيعة لأول مرة الحصول على تمثيل في المحكمة العليا والمجلس الأعلى للقضاء. وتم الاعتراف بالمذهب الشيعي الجعفري في الدستور الأفغاني إلى جانب المذهب السني الحنفي.

_ على الصعيد الأمني وضمن إطار حماية المصالح الإيرانية أمنيًا قامت طهران بدعم تشكيل ما يسمى "**حزب الله الأفغاني لواء فاطميون**"، الذي تأسس سنة **2013** كجزء من فيلق القدس، ويتكون من ميليشيات معظمها من المهاجرين الأفغان المنتمين لأقلية الهزارة الشيعية، وقد لعب لواء فاطميون دورًا فعالًا في الحرب في سوريا، كما حارب في العراق وإلى جانب الحوثيين في اليمن، ولا يزال القسم الأكبر من عناصره في سوريا، إلا أن بعضهم عاد إلى أفغانستان بعد التدخل الروسي في سوريا، ويمكن لإيران استخدام ميليشيا فاطميون في إطار استراتيجية التمدد الشيعي التي تتبعها.

---

[1] محمد بن صفر سلمي، "**الانسحاب الأمريكي من أفغانستان هل يشكل فرصة لإيران؟**"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 2020/07/20.

_ على الطرف المقابل عملت طهران على تجاوز خلافاتها الحادة مع حركة طالبان عندما تسلمت السلطة، وعندما قامت بإعدام تسعة دبلوماسيين إيرانيين داخل القنصلية الإيرانية في مدينة مزار شريف بأفغانستان سنة **1998**، وحينها كان "**محمد خاتمي**" رئيسًا لإيران. وبعد ذلك استثمرت إيران التحول المنهجي والتنظيمي الذي حصل داخل الحركة بعد موت قائدها الملا "**محمد عمر**" سنة **2013** وعلى إثره فتحت قنوات تواصل مع طالبان بـــ شكل غير معلن، وشيئًا فشيئًا بدأت هذه العلاقات بالتطور خصوصًا بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي سنة **2015**، وجاء ذلك بناء على إدراك القيادة الإيرانية لحجم قوة الحركة وتأثيرها على مسار الأحداث في أفغانستان وفرض نفسها كطرف مفاوض للولايات المتحدة، دفع الإيرانيين إلى تنشيط العلاقات معها لتعزيز النفوذ الإيراني في البلاد أو على الأقل لحماية نفوذها الموجود وغير المرتبط بحركة طالبان[1].

_ بناء نفوذ اقتصادي في أفغانستان، استفادت إيران من الوضع الاقتصادي المتدهور للبلاد لإبرام اتفاقيات اقتصادية، بالإضافة إلى حجم العمالة الأفغانية الكبيرة في إيران التي يمتلك بعضها رؤوس أموال أفغانية هناك، وبحسب الأرقام بلغ سعر الصادرات الإيرانية إلى أفغانستان في أول ستة أشهر من سنة **2019** ما يقارب **151 مليون دولار**. كما تم في ذات السنة توقيع مذكرات تعاون في مجال الكهرباء بين إيران وشركة "**برشنا**" الأفغانية التي تقضي بأن تقوم إيران بإعادة بناء وصيانة المحولات الكهربائية التالفة وكذلك توربينات محطات الطاقة في أفغانستان.

3. العلاقات الإيرانية الأفغانية 2002-2020 مرحلة جديدة:

أدى انهيار نظام طالبان سنة **2001** إلى تغيير موقف طهران بعمق؛ فقد كانت إيران عدائية تجاه نظام طالبان، لكنها قبلت الحكومة الأفغانية في بداية التسعينيات، واستقبلت ملايين اللاجئين الأفغان، وإن لم تتراجع عن تأييد الجماعات "**المتمردة**" في أفغانستان. ثم بدا أن إيران تساعد الولايات المتحدة في القضاء على ذلك النظام وخلق حكومة جديدة في أفغانستان، وهو ما انعكس في الزيارة التي قام بها الرئيس الإيراني السابق "**محمد خاتمي**" إلى العاصمة كابول في **أوت 2002**، في أول زيارة رفيعة المستوى منذ **40** عاماً. فإيران لم تغب يومًا عن أفغانستان غير المستقرة منذ سنة 200 ، بل عزَّزت نفوذها في الداخل الأفغاني من خلال ربط الكثير من العلاقات[2] خاصة وان اتساع رقعة تمدد حركة طالبان إلى جانب ظهور تنظيم الدولة عاملين رئيسيين لتعيد إيران النظر في أولوياتها تجاه أفغانستان، كما كان لسياسة الضغط الأقصى الأميركية دورًا مسرِّعًا لتغيير الموقف الإيراني.

1.3 إعادة الحسابات وترتيب الأولويات:

---

(1) "**أبعاد التوغل الإيراني في أفغانستان**"، مركز برق للسياسات والاستشارات موقع: https://barq-rs.com/، 2020/08/07.

(2) هناء هشام، "**إيران في أفغانستان، ...تأثير دون إستراتيجية واضحة**"، موقع: http://www.alrased.net/، 2020/07/20.

لم تكن أفغانستان يومًا بعيدة عن حسابات إستراتيجية الأمن القومي الإيرانية بعد ثورتها الإسلامية، سنة **1979**. ففي المرحلة الأولى، وبعد أن أثار احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان حفيظة طهران المنشغلة بحربها مع عراق البعث المدعوم غربيًّا وعربيًّا على حدودها الغربية، باتت إيران تشعر بتهديد كبير آخر على حدودها الشرقية. رفضت طهران الاحتلال وبدأت بدعم المقاومة الأفغانية ضده. ورغم ابتعاد الحركات الرئيسية للمقاومة الأفغانية عن طهران أيديولوجيًّا وسياسيًّا، استطاعت إيران شقّ طريق لحماية أصدقائها في أفغانستان على حاشية المقاومة الأفغانية. ونزح نتيجة الحرب الأفغانية أكثر من ثلاثة ملايين من المواطنين الأفغان إلى المدن الإيرانية وأثقلت الاضطرابات على الحدود الممتدة لـــ**978 كيلومترًا** بين البلدين كاهل مؤسساتها الأمنية والعسكرية طيلة الثمانينات والتسعينات. كما أدى صعود طالبان إلى إضعاف حلفاء إيران وتراجع دورهم وسيطرتهم شيئًا فشيئًا حتى انحسرت في منطقة في الشمال الأفغاني في نهاية التسعينات .

لذلك، وعندما بدأت الولايات المتحدة التحرك لغزو أفغانستان، باركت طهران تلقي حلفائها في حلف الشمال دعم واشنطن للمشاركة في إسقاط طالبان؛ ذلك رغم تخوف طهران الواضح من الحضور العسكري الأميركي على حدودها الشرقية. وبين ذلك التخوف والواقع الذي كان سيُفرض نفسه بأية حال، نأت طهران بنفسها رسميًّا ودعمت العملية لوجستيًّا وتكلّل التأييد الإيراني بدعمها العملية السياسية التي تلت الاحتلال. هدفت إيران من دعمها للعملية السياسية منع صعود قوة جهة معادية لها في أفغانستان. وبـــ الفعل، استطاعت طهران من خلال مشاركتها في العملية السياسية التي انطلقت من بون بألمانيا، سنة **2001**، أن تُسهم في إرساء النظام السياسي البديل ولعبت، حسب المشاركين في الاجتماع ومنهم الولايات المتحدة، دورًا بنّاءً في توفيق الرؤى الأفغانية في ذلك الاجتماع .

بقيت السياسة الإيرانية داعمة للنظام السياسي في أفغانستان رغم رفضها بقاء القوات الأجنبية هناك. من هنا، برزت أكبر إشكالية واجهت الإستراتيجية الإيرانية في أفغانستان فمن جهة، كان الإصرار الإيراني على ضرورة إجلاء القوات الأجنبية من أفغانستان وعودة الإدارة الأمنية والعسكرية للبلاد إلى الحكومة الأفغانية. ومن جهة أخرى، استمرت طهران في دعم الحكومة في مواجهتها حراك حركة طالبان العسكري المتزايد ضد الحكومة الأفغانية. وتبرز الإشكالية في الواقع أنّ إجلاء القوات الأجنبية كان من شأنه إضعاف الحكومة الأفغانية بشكل أكبر أمام تحدي طالبان المتصاعد. وكانت الأولوية الإيرانية ترجّح تثبيت الوضع للحكومة الأفغانية على جلاء القوات الأجنبية رغم تمسك خطابها بضرورة الجلاء في نفس الفترة. لذلك، انتقلت إيران في المرحلة الأخيرة لتوفيق مطالبتها بجلاء القوات الأجنبية ودعمها الحكومة الأفغانية من خلال مفاوضات مع طالبان هدفت لإشراك الحركة في العملية السياسية وتهيئة الظروف للجلاء دون أن يأتي ذلك على العملية ذاتها .

هذا ولم تكن أولويات طهران في أفغانستان وليدة آمالها بل كانت تعكس الواقع الذي تلا الاحتلال سنة **2001**. فقد بدت نهاية نفوذ طالبان بعد سقوط حكومتها وسيطرتها على الأرض أمرًا مسلَّمًا للمؤثرين في أفغانستان رغم قول البعض "**إن الحركة ستُبقي على بعض نفوذها في السنوات المقبلة**". إلاّ أنّ عودة الحركة للسيطرة المتدرجة على الأرض واستمرار الدعم الإقليمي لها بات أمرًا يستحيل إغفاله في تحديد اتجاهات المستقبل

الأفغاني. بذلك، توصلت طهران إلى ضرورة إعادة النظر في سلم أولوياتها والتوفيق بين هدفيها الرئيسيين في أفغانستان. ونتيجة لذلك برزت ضرورة التفاوض مع طالبان وإشراكها في العملية السلمية [1] .

تعايشت طهران مع الوجود الأجنبي في أفغانستان معطية تقوية الحكومة الأفغانية أمام تحدي طالبان الأولوية معتبرة ذلك الحضور يصب في ذات الاتجاه. يليها في الأولويات الإيرانية ضرورة إجلاء القوات الأجنبية وذلك بعد أثناء استقرار الأمر للحكومة الأفغانية. بيد أنّ واقع زيادة قوة حركة طالبان رغم الدأب المتواصل لإنهاء نفوذها ووجودها على الأراضي الأفغانية فرض نفسه على طهران وغيرها. بذلك، اتضح أنّ الأولويات الإيرانية لا تُماشي الواقع الأفغاني وتطوراته. ويمكن تعداد الأسباب الرئيسية في تغيير أولويات طهران في أفغانستان في السببين التاليين :أولهما تزايد قوة طالبان وفشل القوات الأجنبية فكان الحضور الأجنبي بعد سقوط طالبان يُمثل ضمانًا أمام استعادة حركة طالبان قوتها وذلك إلى أن تتمكن الحكومة الأفغانية من فرض سيطرتها وتثبيت قوتها أمام التحديات الداخلية وعلى رأسها تحدي حركة طالبان. إلاّ أنّ الفرضية القائلة بأن التعايش مرحليًّا مع الحضور الأجنبي في أفغانستان يُسعف الحكومة الأفغانية ويؤدي بالتالي إلى تراجع قوة حركة طالبان، تراجعت بشكل متدرج. أي أنّ الحضور الأجنبي فشل في تحقيق الأولوية الإيرانية الأولى في أفغانستان؛ فقد تزايدت قوة طالبان واتسعت مساحات سيطرتها رغم الوجود الأجنبي.

ثانيهما انتقال تنظيم الدولة إلى أفغانستان ومؤامرة الولايات المتحدة فحسب الرؤية السائدة في طهران، فإنه بالإضافة لفشله أمام طالبان، أسهم الحضور الأجنبي في ظهور تنظيم الدولة على الأرض الأفغانية. وترى القيادات العسكرية والسياسية كما الدوائر الإستراتيجية في طهران مصلحة أميركية في انتقال تنظيم الدولة من سوريا والعراق إلى أفغانستان حيث يمكِّنها من زعزعة الحدود الإيرانية–الأفغانية وتقريب تهديد تنظيم الدولة إلى الحدود الصينية وإلى جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا بالتالي. والدول الثلاث "**إيران، وروسيا، والصين**" كانت قد طُرحت في آخر تقرير للأمن القومي الأميركي **ديسمبر 2017** كتهديدات رئيسية. بـــ عبارة أخرى، وحسب رؤية طهران، بات الحضور الأجنبي والأميركي بشكل خاص، يُسهم بل ويُساعد تنظيم الدولة في ضرب استقرار أفغانستان لمواجهة التهديدات المرئية من واشنطن والدول الثلاث المذكورة آنفًا[2].

يُمكن اعتبار المتغير الأميركي عاملًا مسرِّعًا في إعادة طهران النظر في أولوياتها إزاء الملف الأفغاني بينما كانت التطورات الداخلية في أفغانستان وعلى رأسها صعود قوة طالبان وانتقال تنظيم الدولة إليها عاملين محوريين في ذلك التغيير. بدأت طهران في ظل الواقع الجديد إعادة ترتيب أولوياتها الأفغانية وبدأت مفاوضاتها مع طالبان بناء على الأولويات الجديدة. والواضح أن تاريخ العداء المتبادل منع الطرفين من القبول بالتفاوض في فترات سابقة. إلاّ أنّ الواقع الجديد فرض على الجانبين التعاون وتغليب المصلحة المشتركة. أضف إلى ذلك، بروز قيادات تتسم ببراغماتية أكبر في صفوف الحركة. ويتضح هذا التطور في العلاقات الإيرانية الأفغانية فيما يلي:

---

[1] **المرجع نفسه.**

[2] **المرجع نفسه.**

1.1.3 تعزيز العلاقات التجارية:

منذ سقوط طالبان، عززت إيران علاقاتها التجارية مع أفغانستان؛ حيث وقع البلدان العديد من الاتفاقات التجارية في **يناير 2003**، كما قدمت إيران لأفغانستان خصم **90%** على الرسوم والتعريفات المفروضة على السلع المصدرة من خلال منطقة التجارة الحرة في "**شاباهار**". وبذلك نمت التجارة الإيرانية – الأفغانية من أقل من **10 ملايين دولار** سنة **2001** إلى **500 مليون دولار** سنة **2006**،

_ في منتصف سنة **2007** أمدت إيران أفغانستان بأكثر من **500 مليون دولار** في شكل أرصدة دائنة إلى أفغانستان وهو ما يمثل على الأقل أكثر من نصف ما تمنحه، وتأمل الدولتان في أن تتضاعف التجارة **إلى بليون دولار** سنة **2008**.

_ في يونيو **2006** وعدت طهران ببناء محطات توليد كهرباء **52** ميجاوات في كابل بتكلفة حوالي **80 مليون دولار**، وقدمت إيران ما يقرب من مليوني دولار للمساعدة في الإصلاحات الإدارية الأفغانية غير الحكومية ومساعدة لجنة الخدمة المدنية لتدريب المسئولين الحكوميين في "**قندهار**" و"**هيرات**" و"**كابل**" خلال سنتي **2007/2006**. فهي تقدم مساعدات لأفغانستان تعد من قبيل الدعم العام لإعادة الإعمار. كما ساهمت في بناء معهد اتصالات، وتوفير التدريب لموظفي البريد، وإنشاء برنامج لإرسال خبراء لتدريب المعلمين الأفغان، وفي الوقت ذاته تمكنت شركة "**شهيدي كاندي**" الإيرانية، بـــــ التعاون مع شركة هندية، من إنشاء **150 ألف** خط هاتف في كابل وقندهار ومزار شريف وجلال آباد. بالإضافة لهذا الدعم العام أولت إيران اهتماماً كبيراً بالمقاطعات الحدودية الأفغانية "**هيرات وفرح ونمروز**"؛ حيث عملت على تقديم الدعم لها في مجالات الكهرباء والنقل والبنى التحتية، كما شرعت في إقامة طرق وخطوط سكك حديدية تربطها بهذه المقاطعات[1].

_ في **أوت 2007** أعلن الرئيس الإيراني "**محمود أحمدي نجاد**" خلال زيارته إلى كابل أنّ طهران ستتولى بناء طريق طوله **110 كيلومترات** من مدينة "**فرح**" الأفغانية إلى الحدود الإيرانية في منطقة "**ميلك**". كما ساعدت طهران على ربط غرب أفغانستان بالطاقة الكهربائية الإيرانية ورفع مستوى القدرة الكهربائية لعواصم المقاطعات الغربية عموما؛ ففي شهر **جانفي** من نفس السنة بدأ تشغيل محول بقدرة ثلاثين ميجاوات بتمويل إيراني في مقاطعة "**هيرات**"، وفي شهر **ماي** شيدت طهران خطاً كهربائياً **بين** "**هيرات**" وإيران، ووعدت ببدء توريد الكهرباء لمقاطعة "**فرح**".

إنّ النتيجة الأساسية لهذا الدعم هي ربط غرب أفغانستان بإيران اقتصادياً وسياسياً أكثر من أي وقت مضى، خاصة وأنّ المقاطعات الأفغانية الغربية أقرب لإيران منها إلى كابل، فمدينة أفغانية حدودية مثل "**هيرات**" تبعد عن الحدود الإيرانية بـــــ مقدار **75 ميلاً**، بينما تبعد عن كابول بـــــ مقدار **650 ميلاً**. هذا ولم يقتصر الدعم الإيراني لأفغانستان على الجوانب الاقتصادية؛ حيث دائماً ما يُشير القادة والإعلاميون الإيرانيون إلى

---

[1] **المرجع نفسه.**

الروابط الثقافية القريبة بين الدولتين، فقد عملت طهران على تطوير علاقات ثقافية مع أفغانستان؛ أين دعمت البرامج الدينية والتعليمية، ولم تكتف بعرض إرسال مدرسين إيرانيين لأفغانستان وإحضار المدرسين ورجال الدين الأفغان إلى إيران للتدريب، بل بدأت برنامجاً لتشجيع تعليم وتعلم اللغة الفارسية في أفغانستان حتى في المناطق البعيدة عن حدود المقاطعات الغربية، وهو أمر سيكون له تأثير طويل المدى وإن كان غير قابل للتنبؤ سواء في داخل أفغانستان أو على علاقة أفغانستان بإيران[1].

تُمثل المصالح الاقتصادية عنصرًا رئيسًا في توجيه سياسات إيران حيال أفغانستان. وغني عن القول: إن التطورات الأمنية والسياسية المستقبلية في أفغانستان ستأتي على هذه المصالح إن كانت ستضع إيران طرفًا في الصراع هناك. لذلك، تحرص طهران على الوقوف على مسافة واحدة من اللاعبين في أفغانستان رغم صعوبة ذلك في ظل التجاذبات في الداخل الأفغاني.

وهذا للحفاظ على مصالحها الاقتصادية إذ يُمثل التبادل التجاري الإيراني–الأفغاني رقمًا لا يُستهان به في مجموع تجارة إيران الخارجية الإيرانية. فقد ازدادت صادرات إيران إلى أفغانستان ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ست سنوات لتصل إلى **3 مليارات دولار** في سنة**2018**. وأتى هذا التطور المتدرج للتجارة البينية نتيجة توقيع عدة اتفاقيات بين الدولتين من أهمها اتفاقية التعاون الاقتصادي والأمني الموقعة سنة **2012**. وتُوِّج هذا التعاون بتوقيع اتفاقية ثلاثية حول "**تنمية ميناء تشابهار كخط**" أرضي يوصل الاقتصاد الهندي بأفغانستان وجمهوريات آسيا الوسطى عبر إيران (ضمت إلى جانب الدولتين الهند –وكانت الولايات المتحدة قد أعفت تشابهار من عقوباتها ضد إيران لدورها في تنمية أفغانستان وتجارتها الخارجية[2].

2.1.3 العمال واللاجئون الأفغان: كانت قضية المهاجرين الأفغان غير الشرعيين في إيران، البالغ عددهم حوالي **1.5 مليون** مهاجر، من بين القضايا التي ركزت عليها إيران في علاقاتها مع أفغانستان، خاصة مع تولي "**أحمدي نجاد**" السلطة سنة **2005**؛ فقد أعلن السفير الإيراني لدى كابل، في **فيفري 2006**، معتبراً "**أن كل اللاجئين الأفغان الذين يعيشون في إيران بصورة غير شرعية سيتم طردهم بحلول سبتمبر 2006**"، ونتيجة للحرج الكبير الذي سببه هذا الأمر لأفغانستان –إذ كان من المستحيل عليها استيعاب أكثر من **مليون** من اللاجئين والمهاجرين العائدين في غضون سبعة أشهر– فإن الحكومة الإيرانية سرعان ما تخلت عن الفكرة، غير أن الرئيس "**أحمدي نجاد**" قد استأنف عمليات الترحيل بعد سنة **2007**؛ مما تسبب في أزمة إنسانية وسياسية في أفغانستان استمرت طوال هذه السنة.

فقد بدأت وزارة الداخلية الإيرانية في **21 أفريل 2007** تجميع المهاجرين الأفغان غير الشرعيين في مخيمات جديدة في المحافظات الحدودية، ومن ثم ترحيلهم إلى أفغانستان، وذلك في إطار خطة من مرحلتين أعلن عنها وزير الداخلية الإيراني آنذاك "**مصطفى بور محمدي**"، تهدف إلى طرد المهاجرين الأفغان غير الشرعيين،

---

[1] **المرجع نفسه.**

[2] حسين احمديان، "**أفغانستان في إستراتيجية الأمن القومي الإيراني ورؤيتها لدور طالبان والوجود الأجنبي**"، مركز الجزيرة للدراسات، موقع: https://studies.aljazeera.net/، 2020/07/21.

وذلك بحلول **مارس 2008**. هذه الخطوات أزعجت المسئولين الأفغان، ونشبت أزمة حادة بين البلدين على خلفية هذا الأمر، خاصة مع حديث الأفغان تعرض اللاجئين لسوء المعاملة والعنف أحيانا من قبل المسئولين الإيرانيين. وفي استجابة لتزايد حدة التوتر صعّدت طهران من لغة خطابها؛ إذ أعلن "**بور محمدي**" أنّ تزايد عدد اللاجئين الأفغان في إيران كان نتيجة لـــــ"**الوجود العسكري الأمريكي المكثف**" في أفغانستان، ولانتشار قوات حلف شمال الأطلسي. ونتيجة لهذه الأزمة بدأ البلدان محادثات للتوصل إلى حل؛ ففي **13 ماي 2007** وصل نائب وزير الخارجية الإيراني لمنطقة آسيا والمحيط الهادي ودول الكومنولث، "**مهدي سفاري**"، إلى كابل لإجراء محادثات مع الرئيس الأفغاني "**حامد كرزاي**"، مصرحاً: "أنّ الرئيس الإيراني أحمدي نجاد قد وافق على العودة التدريجية والمنظمة للاجئين الأفغان لوطنهم"، وبعد أسبوعين أعلن الناطق بـــــ اسم "**حامد كرزاي**"، "**كريم رحيمي**"، أنّ المسئولين الإيرانيين قد وافقوا على وقف عملية العودة الإلزامية لثلاثة أشهر.

ورغم كل ذلك استمرت جهود الترحيل في بعض المحافظات الإيرانية، فعلى سبيل المثال أعلنت الشرطة في محافظة "**سيستان وبلوشيستان**" أنها طردت ما يقرب من **74.597** من الأجانب منذ **21 أفريل 2007**، وفي **21 جوان** أعلن حاكم "**زهدان**" –عاصمة محافظة "**سيستان وبلوشيستان**"– أن بدء المرحلة الثانية من مشروع ترحيل الرعايا غير الشرعيين من زهدان سيكون بحلول 22 من نفس الشهر ومن نفس السنة.

وليس من الواضح تماماً ما وصلت إليه الخطة الإيرانية لطرد **مليون** أفغاني غير شرعي من إيران بحلول **مارس 2008**، غير أنّ الحركة الفعلية للاجئين الأفغان على الحدود قد تباطأت، إلى جانب أنّ منظمة الهجرة الدولية قد أعلنت أنّ إيران طردت ما يقرب من **130 ألف أفغاني** منذ **21 أفريل 2007**. وأيا كان الأمر فإنّ إقدام إيران على طرد العمال الأفغان يمكن إرجاعه إلى عدة أسباب، منها ما هو اقتصادي؛ حيث يرى الكثير من الإيرانيين أنّ وجود أكثر من **مليون** من العمال الأفغان المهاجرين يُعتبر عائقاً على الاقتصاد، إلى جانب اقتناصهم لفرص العمل من الإيرانيين، وربما هذا ما يفسر الإعلانات التي خرج بها المسئولون الإيرانيون عقب الشروع في طرد الأفغان والتي تبشر بتحسن الأوضاع الاقتصادية.

فمع بداية العملية ادعى مسئولون في محافظة "**سيستان وبلوشيستان**" أنّ هذا الترحيل قد حسن الوضع في المحافظة على الفور تقريباً، وبعد أقل من أسبوع من بداية العملية أفاد عدد من كبار المسئولين عن انخفاض حركة المرور، وأسعار الوقود، والتزاحم خارج المخابز، وربما كانت هذه الادعاءات صحيحة؛ فإزالة عشرات الآلاف من الأشخاص بسرعة من منطقة يؤدي إلى خفض الأسعار والقضاء على التزاحم على الأقل لفترة من الوقت.فإلى جانب الدوافع الاقتصادية، هناك أيضاً أسباب أمنية لهذه الخطوة الإيرانية؛ فنظراً لأن أفغانستان هي أكبر مورد للأفيون في العالم وإيران مستهلك رئيسي له، فإن الإيرانيين يربطون الأفغان بتجارة المخدرات[1].

غير أنّ الأهم أنّ طهران تشعر بالقلق من إمكانية قيام الولايات المتحدة بمهاجمتها من الأراضي الأفغانية أو الباكستانية، وبالتالي فإن تصميم إيران على طرد الأفغان من المحافظات المجاورة لحدود وطنهم ربما يكون جزءا من الجهود المبذولة لإزالة مصادر المعلومات من المناطق الإستراتيجية قبل الهجوم المتوقع، وقد لعبت

---

[1] هناء هشام، **المرجع سبق ذكره**.

هذه الإستراتيجية دورا في الحل الوسط الذي توصلت إليه طهران مع كابول حول قضية اللاجئين؛ فقد أصرت إيران على إخراج الأفغان من "**سيستان وبلوشيستان**".ومما يعكس هذه المخاوف الإيرانية أيضاً قيام طهران بـــ افتتاح قاعدة جوية جديدة في "**بيرجند**" في جنوب خراسان على الحدود الشرقية لإيران، وقيام الشرطة الإيرانية أيضاً بإنشاء قاعدة جديدة تدعى "**رسول أكرم**" في محافظة "**سيستان وبلوشيستان**" للسيطرة على الحدود والتعامل مع مشكلة اللاجئين والمهاجرين غير الشرعيين في المنطقة.

في المجمل فإنّ قرار طرد اللاجئين الأفغان ربما هدف في المقام الأول إلى تهديد حكومة كرزاي؛ وذلك بإظهار قدرة إيران غير المحدودة على إصابة جهود الحكومة الأفغانية بشأن إعادة الإعمال بالشلل في أي وقت عن طريق إعادة مئات الآلاف من اللاجئين والمهاجرين المعدمين إلى أفغانستان، وربما تعد الفوائد الاقتصادية والأمن الداخلي التي زعمها المسئولون الإيرانيون من ذلك الإجراء ثانوية[1].

3.1.3 التفاوض مع طالبان واهم ما مميز علاقتهما: دعمت طهران إسقاط حكومة طالبان ولعبت دورًا فعالًا في إرساء اللبنات الأساسية للعملية السياسية التي تلت احتلال أفغانستان. وأولت في تلك المرحلة تثبيت الوضع الأفغاني أمنيًّا وسياسيًّا وتمكين الحكومة الأفغانية أمام التحديات الداخلية اهتمامًا أولويًّا قياسًا بأولويتها الثانية المتمثلة بضرورة خروج القوات الأجنبية من أفغانستان. ومع فرض طالبان وضعًا مختلفًا عبر تمددها المتدرج في أجزاء واسعة من أفغانستان، بدأت طهران بإعادة حساباتها الأفغانية؛ فقد بات جليًّا أن استتباب الأمن والاستقرار في أفغانستان لن يأتي باستمرار إقصاء حركة طالبان من العملية السياسية. لذلك تغيرت الأولويات الإيرانية في أفغانستان وبدأ ترجيح طهران إخراج القوات الأجنبية بعد اتضاح فشلها في تمكين الحكومة الأفغانية بل وإسعافها –حسب الرسميين الإيرانيين– حركة تنظيم الدولة بالتغلغل في أفغانستان وذلك لضرب أعداء الولايات المتحدة، أي: إيران وروسيا والصين[2].

لقد سلطت عملية مقتل زعيم حركة طالبان الأفغانية، "**المُلا منصور أختر**"، بـــــ هجوم لطائرات أمريكية مسيّرة قبل أكثر من أسبوع، الضوء على علاقة إيران بهذ الحركة، حيث تم استهداف أختر مباشرة بعد خروجه من الأراضي الإيرانية بـــــ اتجاه بلوشستان في باكستان؛ ما يثير تساؤلات عن حقيقة سياسة إيران وقيامها بالسر بأفعال تناقض ما تدّعيه في العلن. فهل العلاقة بين الطرفين تقاطع مصالح أم تعاون أشرار؟!.

إنّ الحديث عن علاقة إيران بـــــ حركة طالبان الأفغانية ليس جديداً ولا غريباً أيضاً، فقد سبق أن تم الكشف عن بعض جوانب العلاقة من قبل، كما تم افتتاح مكتب للحركة في مدينة زهدان سنة **2012**؛ ولكن الغريب وما يُثير الشكوك هو أنّ كل طرف يتحدث علناً عن عدائه للآخر، بل هناك سوابق تظهر علاقة العداء هذه، فقد دعمت إيران قوات تحالف الشمال الأفغانية وأمدتهم بـــــ السلاح والمال في محاربتهم

---

[1] **المرجع نفسه.**

[2] حسين احمديان، **المرجع سبق ذكره.**

لـ طالبان إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان، وقامت بتزويد القوات المعارضة للحركة – بما فيها الأمريكية وفق مراقبين – بخرائط تظهر مواقع القوات والقواعد التابعة للحركة، ومن ثم فإنّ إيران ناصبت العداء لـ طالبان قولاً وعملاً آنذاك، لكن كيف تحولت إلى ملاذ آمن لبعض قيادات الحركة وعناصرها وعوائلهم، بينما تعلن دعمها الحكومة الأفغانية، بل قد عرضت من قبل تدريب عناصر أمنية تابعة للحكومة؟.

يرجع بعض المراقبين الأمر إلى طبيعة سياسة إيران التي تقوم على التقية في الكثير من مواقفها الدولية، والبراغماتية السياسية في أسوأ صورها. فهي تعلن وتفاخر بأنها تحارب الإرهاب، بل وتبرر تدخلاتها العسكرية في العديد من الصراعات في المنطقة بذلك، بينما أثبتت الوقائع أن العديد من قيادات تنظيم القاعدة أقاموا أو عبروا الأراضي الإيرانية، بمن فيهم أفراد من عائلة "**أسامة بن لادن**" نفسه. في المقابل يرى بعض المراقبين، أن الأمر يتعلق أيضاً بالعدو المشترك للطرفين وهو الولايات المتحدة الأمريكية، فكلاهما يُناصب العداء للأخيرة، التي تناصبهما العداء، على الأقل، كما يتضح من خلال تصريحات الطرفين. ومن ثم فإن النظرة المشتركة لإيران وطالبان من الولايات المتحدة هي التي دفعتهما نحو التعاون. وقد تحدثت مصادر مختلفة عن قيام إيران بتزويد الحركة بأسلحة خلال فترات سابقة. وبرغم واقعية هذا التفسير، فإنه يعتقد أنه ليس هو السبب الأساسي للتعاون. فإيران دولة تسعى إلى الهيمنة، وتبحث عن دور في أي أزمة أو صراع، وتحاول توظيف هذا الدور في سبيل مد النفوذ؛ ولكن الأمر الغريب هو كيف يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أيضاً أنّ تتعاون مع إيران وهي تعلم أنها تقيم علاقات مع طالبان ومع تنظيم القاعدة، عدوها الأول لسنوات. إنّ القول أنّ إيران وطالبان تتقاسمان العداء لـــــ "**تنظيم داعش**"، ونّ هذا سبب قيام طهران بـــ تزويد طالبان بالسلاح والمال أمر غير دقيق[1]. فما الذي يضمن للولايات المتحدة والحكومة الأفغانية ألا تَستخدم الحركة السلاح الإيراني ضدهم، وخاصة أنه لا يوجد، حتى الآن، صراعات مسلحة بين قوات طالبان وتنظيم داعش باستثناء بعض الأحداث النادرة التي تم الحديث عنها. صحيح أنّ هناك مخاوف داخل الحركة من انضمام أعداد من عناصرها إلى داعش، ولكن هذا لا يبرر تقديم السلاح لها وهي تخوض حرباً ضد الحكومة الأفغانية والقوات الأجنبية منذ أكثر من **13 عاماً**.

إذن نحن أمام حالة من التعاون بين نظام دولة تسعى إلى الهيمنة ومد النفوذ بأي ثمن، حتى لو تطلب الأمر تحالفاً مع الشيطان أو الإرهاب، وجماعات إرهابية ومتطرفة تسعى إلى ضمان استمرارها وبقائها بأي ثمن أيضاً. فهو باختصار تعاون أشرار لا يخلو من دون شك من تقاطع مصالح[2]....!. خاصة وأنّ حركة طالبان التي كانت أشد أعدائها في أفغانستان إبان حكمها قبل سنة 2002 وذلك وَفق قاعدة "ليس هناك أعداء دائمون ولا حلفاء دائمون وإنما هناك مصالح دائمة"[3].

---

(1) "**العلاقات بين إيران وطالبان...تلاقي مصالح أم تعاون أشرار**"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، موقع: https://www.ecssr.ae/، 2020/07/22.

(2) **المرجع نفسه.**

(3) محمد بن صفر سلمي، "**الانسحاب الأمريكي من أفغانستان هل يشكل فرصة لإيران؟**"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 2020/07/20.

2.3 أهم القضايا العالقة في العلاقة الإيرانية الأفغانية:

هناك عدد من القضايا التي أربكت العلاقات الإيرانية الأفغانية ولا زالت كذلك أهمها النزاع حول المياه، وتدفق المخدرات في أفغانستان، والعدد الكبير من اللاجئين في إيران والذي أصبح خلال السنوات الأخيرة مصدراً بارزاً بين البلدين، إضافة إلى المقاومة الشعبية للنفوذ الإيراني إذ لا تُحظى هذه الأخيرة بـــ شعبية كبيرة بين سكان أفغانستان من البشتون. ما جعلها نقاط ومصدر اختلاف دائم بين البلدين إلى يومنا وهي كالتالي:

1.2.3 النزاعات حول المياه: بيئة أفغانستان بيئة زاهرة بالحياة، فجنبًا إلى جنب كونها بيئة ذات طبيعة جبلية فهي أيضًا بيئة مائية، فتندفع وتتدفق من أفغانستان **5 أنهر** وتسير حتى الحدود الأفغانية الإيرانية، والأفغانية الباكستانية، **فأربعة أنهار** من هذه الخمسة تعتمد عليها كلٌ من إيران وباكستان.إنّ أبرز مجهودات أفغانستان في المجال المائي هي رغبتها في بناء سدود تحجِم مياهها التي وجدت أنها تهدر على إثر عدم قيامها كدولة أو نظام في حفظها، ولذلك رأت أفغانستان في السدود أنها أداةً لري وضبط للطوفان، كما تعد مصدر للإنتاج المحلي للطاقة الكهربائية، وستسهم في إقلال اعتماد البلاد بصورة تامة على استمداد الكهرباء من دول الجوار. لكن هذه الجهود تواجه بشدة، فأفغانستان لديها اعتقاد شبه جازم بأن كلًا من إيران وباكستان تخربان عمدًا كافة مجهوداتها في السيطرة التامة على مواردها المائية.فإيران تعد البلد الوحيد الذي وقع على معاهدة مياه مع أفغانستان، ولكنها تتحصل على **70 %** أكثر من الكمية المتفق عليها في المعاهدة، بل وأنشأت بنية تحتية للمياه الواردة من أفغانستان من دون موافقة الأخيرة. فأفغانستان التي تحوز أصل **57 مليار متر مكعب** من متوسط الأنهار السنوي خاصتها، لا تستهلك إلا أقل من **30 %** هذه الحصة، ويذهب المتبقي كله من المياه إلى الدول المجاورة.

فإيران تتدخل بقوة حول سد "**سلمى**"، والذي يتم تشييده بتعاون هندي إداري ومادي، في مقاطعة هيرات غربي أفغانستان على الحدود مع إيران، وكان لهذا السد القدرة على ري زهاء **75 ألف هكتار** زراعي، وإنتاج وتوليد **42 ميجاواط** من الكهرباء. وهذا السد متوقف بناؤه منذ فترة طويلة، بالتدقيق الزمني فقد تأخر المشروع قرابة أربع سنوات عن الموعد المحدد لتشييده، ومن ثم ارتفعت تكلفته بـــــ نسبة **50 %** على إثر التأخير. وعليه فان أفغانستان تنظر إلى تغلغل إيران في البلاد، وتسقِطه بمنظور تفسيري على كافة الأزمات المائية التي تقع لها، فقد شيد خبراء إيرانيون مركز أبحاث داخل وزارة المياه الأفغانية، يعمل على جمع المعلومات والبيانات عن موارد المياه في أفغانستان، وهذا تحت مظلة قيامهم بتقديم خدمة جليلة لأفغانستان من ناحية أن العديد من الدول أو الشركات ترفض مساعدة أفغانستان: نظرًا لطبيعة الوضع الأمني المأزوم في البلاد.اين عبر الدبلوماسي الأفغاني، "**عنايات الله نبيل**"، قائلاً: "**إن مسألة أنّ الإيرانيين يديرون مركز أبحاث داخل وزارة المياه الأفغانية أمر خطير جدًا، إنهم يمثلون بلادهم، وإن ولاءهم لإيران ولمصالحها فقط**" [1].

---

[1] حازم زهران، "**عندما تصبح المياه سلاحاً سياسياً في إيران**"، إيران خانة، موقع: http://www.irankhana.com/، 2020/07/28.

2.2.3 المحذرات: تُعتبَر المخدِّرات مشكلة رئيسية أُخرى أدَّت إلى الاحتكاك بين البلدين[1]، إذ تعاني إيران من احد أعلى معدلات تعاطي المخدرات في العالم، فبحسب إحصائيات الجمهورية الإسلامية هناك ما يقرب **مليوني إيراني** من مدمني المخدرات، وخصوصاً الهيروين وغيره من مشتقات الأفيون الأخرى، وأفغانستان التي تعتبر اكبر منتج للأفيون في العالم، هي المصدر الرئيسي لمشكلة المخدرات التي تدخل إلى إيران، إذ تعتبر هذه الأخيرة أيسر الطرق أمام أفغانستان للوصول إلى الأسواق المربحة في أوروبا وما وراءها. ومن ثم فان الكثير من المخدرات الأفغانية تمر من عبر الحدود مع إيران السهلة الاختراق والممتدة لنحو **936 كلم**. وقد زعم احد المسؤولين الإيرانيين الحاليين بان **40%** من الأفيون الذي يمر عبر إيران يتم استهلاكه داخل إيران. وما من شك فان اقتصاد إيران المتدهور قد زاد من تعقيد مشكلة المخدرات التي تعاني منها البلاد[2].

3.2.2 الاحتجاجات الأفغانية في مواجهة التدخل الإيراني: عملت إيران منذ قيام الثورة الإسلامية سنة **1979** الأمر الذي تزامن مع الغزو السوفيتي لكابول على تعميق وزيادة نفوذها في أفغانستان عبر الأقلية الشيعية هناك و التي لا تتجاوز نسبتها **13%**؛ حيث لجأ أكثر مليوني مواطن أفغاني إلي إيران هربًا من القوات السوفيتية والحرب التي اجتاحت بلادهم، مما أتاح الفرصة للنظام الإيراني للتدخل في شئونهم الداخلية فيما بعد، فضلاً عن استغلاله لوجود الأفغان على أراضيه والعمل على تسليحهم وإرسالهم إلي أفغانستان لتشكيل ميليشيات تابعة لطهران تعمل على تحقيق أهداف سياستها الخارجية، الأمر الذي ساهم في تعميق نفوذها في دول الشرق الأوسط.

هذا وقد سادت أجواء من القلق داخل الأوساط السياسية الأفغانية بسبب تدخل إيران في شؤونهم من خلال محورين؛ يرتبط الأول بعودة ميليشيا "**فاطميون الشيعية**" من سوريا والثاني حول دعم طهران لحركة "**طالبان السنية**" الأمر الذي يؤكد بأنّ النظام الإيراني يُحاول احتكار أي ورقة ممكنة بغض النظر عن المذهب، الدين والقومية في إطار خدمة مصالحه في أفغانستان، الأمر الذي أدى إلي تنظيم مجموعة من الشباب الأفغان تظاهرات ضخمة في مدينة "**هيرات**" على الحدود مع محافظة خراسان الإيرانية. أين تركزت أبرز الشعارات التي نادى بها المحتجين حول اتهام السلطات الإيرانية بدعم بعض الجماعات الإرهابية من قبيل حركة طالبان ولواء فاطميون، فضلاً عن دعوة إيران للحد من مساعيها الهادفة للاستفراد بالسيطرة على مصادر المياه الحدودية بين البلدين في الأراضي الأفغانية. ويتوازى ذلك، مع إشارة بعض المتظاهرين إلي أنّ استغلال السلطات الإيرانية حركة طالبان ولواء فاطميون ينبأ بإمكانية تُحول كابول إلي سوريا جديدة، لاسيما بعد أن قام النظام الإيراني بتوطين العناصر التابعة لجيش فاطميون في المناطق الغربية على الحدود مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية لتحقيق أهداف سياسية واستخباراتية؛ حيث تحاول طهران الاستفادة من هذه العناصر في

---

[1] بهز بان فارسي، "**خط النفاذ لأوليات إيران الجيو–سياسية في أفغانستان**"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 2020/07/28.

[2] علي رضا نادر وآخرون، **المرجع سبق ذكره**، ص 19.

حربها بالوكالة المتواصلة في الكثير من العواصم العربية مثل سوريا، العراق و لبنان[1]. ويبقى النفوذ الإيراني في أفغانستان مقيد بالمقاومة الشعبية الأفغانية لما يتم اعتباره في كثير من الأحيان على انه تدخل إيراني سافر في الشؤون الأفغانية، بل حتى أنّ الشركاء المهمين في إيران مثل قبيلة "**الهزارة**" تُساورهم الشكوك حول نوايا هده الأخيرة[2].

إضافة إلى قضية اللاجئين والتي تبقى من بين أهم القضايا العالقة بين إيران وأفغانستان، فمنذ الغزو السوفييتي لأفغانستان، استضافت إيران نحو **3 ملايين** لاجئ أفغانيّ، معظمهم من الطاجيك والهزارة الأفغان. وهناك **مليون** لاجئ مسجَّل بينما يعيش الباقون بشكل غير قانوني، أو لديهم تأشيرات عمل قصيرة إلى متوسِّطة الأجل. وقد أجبرت إيران آلاف اللاجئين على العودة إلى أفغانستان خلال العقدين الماضيين، أين وصف مسؤولون أفغان عمليات الطرد هذه بأنّها من أساليب الضغط التي تستخدمها إيران ضد حكومة كابول وداعميها الأمريكيين والأوروبيين.

وعليه، بالنسبة لأي دولة وإيران إحدى هذه الدول، فإنّ الأمن القومي وأمن الحدود ومكافحة المخدرات والإرهاب والاتجار بالبشر أمر مهم يندرج ضمن قضايا الأمن القومي وهي لن تتهاون في حفظ حدودها من أجل الحفاظ على أمنها القومي.

3. مستقبل العلاقات الإيرانية الأفغانية بعد الانسحاب الأمريكي الجزئي من أفغانستان واهم الاستراتيجيات الإيرانية المتخذة في ذلك

بعد نحو عشرين عاماً من القتال في أفغانستان، وبعد مفاوضات دامت أكثر من سنة، وقَّع الأمريكيون في **29 فيفري 2020**، على "**اتفاقية سلام**" مع حركة "**طالبان**". وبـــ موجب تلك الاتفاقية، ستنسحب القوات الأمريكية من أفغانستان، حيث أعلن الرئيس الامريكي "**دونالد ترامب**" أنه ينوي سحب كافة الجنود الأمريكيين المتمركزين في أفغانستان، ويناهز عددهم الـــ **12. ألف جندي**، بـــ حلول **ماي 2021**، وذلك في مقابل ضمانات قدمتها حركة "**طالبان**" تتضمن تعاونها في مكافحة الإرهاب، وتعهُّدها بالتفاوض على اتفاق دائم لوقف إطلاق النار وتقاسم السلطة مع حكومة كابول. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل هذا القرار الأمريكي يُشكل فرصة مواتية لإيران لتعاظم نفوذها في أفغانستان من منافذ متعددة سياسية ومذهبية واقتصادية تجاه الدولة الأفغانية. و**قوى إقليمية ودولية أخرى، مثل روسيا والصين والهند**[3]..؟

1.3 التخوف الإيراني من النفوذ السعودي الباكستاني:

الكبرى من الدول غير المستقرة سياسيًا والمضطربة أمنيًا قبل تعافيها حتمًا ستُطيل من أمد صراعاتها الداخلية وانتشار الجماعات الإرهابية المهددة للأمن والسلم الدوليين والتدافعات الخارجية ولاسيما من جهة الدول ذات

---

[1] مرفت زكرياء، "**ارتدادات التوغل...الاحتجاجات الأفغانية في مواجهة التدخل الإيراني في أفغانستان**"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.org/، 2020/07/28.

[2] علي رضا نادر وآخرون، **المرجع سبق ذكره**، ص 22.

[3] احمد دياب، "**مستقبل الصراع الإقليمي على أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي**"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 2020/07/30.

النزعة التوسعية التي تسعى لبناء فضاء إقليمي واسع في مجالاتها الحيوية؛ إذ تجد فرصة سانحة لتمرير مخططاتها ومشاريعها لاسيما إذا كانت تلك الدول غير المستقرة قريبة جغرافيًا لهذه الدولة ذات النزعة التوسعية[1]. هذا ما تحاول إيران فعله حقا مع الجارة أفغانستان لكن ما يزيد من تعقيد المشهد هو أنّ خصوم إيران الأبرز في المنطقة، باكستان والسعودية بات لهما موطأ نفوذ سياسي لا يمكن إنكاره هناك.

على الرغم من أنّ الوجود الأمريكي الموسع في أفغانستان لم يضايق الزعماء الإيرانيين، إلاّ أنّ النفوذ الباكستاني والسعودي المتنامي في البلد أزعجهم بشكل أكبر.هذا النفوذ جعل المسؤولون الإيرانيون يشعرون بالقلق إزاء محاولات باكستان المتكررة، قبل وبعد الغزو السوفيتي سنة **1979**، لـــ تثبيت الحكومات التي يهيمن عليها البشتون في كابول. خاصة وان باكستان تعتمد على المساعدات المقدمة من السعودية، وتوجه مصالحها في المنطقة من خلال رعاية الجماعات السلفية المتشددة، وتقديم الدعم السري للمتمردين العنيفين العاملين في مقاطعة "**سيستان وبلوشستان**" الإيرانية، وربما الأهم من ذلك، إثارة الفصائل المعادية لإيران داخل"طالبان" وهو ما جعل طهران وبشكل أكثر وضوحاً، تخشى أن تستغل المملكة العربية السعودية التقلبات في أفغانستان لتنمية وكلاء لها على الجهة الشرقية لإيران.

2.3 حتمية العلاقة مع" طالبان":

في تحليل نشرته مجلة "**فورين أفيرز**" الأمريكية، أنّ صانعو السياسة في إيران يريدون أن تغادر القوات الأمريكية لأفغانستان، لأنهم مقتنعون بأنه يُمكن الآن إدارة الوضع في البلاد بطريقة دبلوماسية، وكلما وضعت إيران الاستقرار في صميم إستراتيجيتها لأفغانستان، زاد ذلك من تحسين العلاقات مع عدوها السابق، "**طالبان**"، فالآن أصبحت طهران مثل الولايات المتحدة الأمريكية ترى أنّ استيعاب "**طالبان**" هو السبيل الوحيد لبناء مستقبل أكثر سلمية مع جارتها أفغانستان .وبالفعل، وبعد قرار الحكومة الأمريكية في **أفريل 2019** بـــ تقليل وجودها العسكري في أفغانستان، بدأت جمهورية إيران الإسلامية جهودها للتوسط من أجل السلام بين طالبان والحكومة الأفغانية. فتعددت زيارات وفود من "**طالبان**" "إلى إيران، خلال الأشهر الماضية، من أجل الانخراط في مفاوضات هناك حول كيفية التعامل بين الحركة والحكومة الأفغانية، وكان أحدث تلك الزيارات هي تلك التي تمت بعد انهيار مفاوضات السلام بين"**طالبان**" والولايات المتحدة، وهو ما كان مثار قلق سعودي وامتعاض باكستاني[2].

هذا ما يحدث غالبًا في العلاقات الدولية أعداء الأمس أصدقاء اليوم، وهو ما حدث فعلاً مع طهران وجارتها أفغانستان وعن كيفية تحول أعداء الأمس، الممثلين في إيران وطالبان، إلى أصدقاء اليوم، وكيف أصبحت طهران تدعم مقاتلي طالبان لتساعدهم في مواجهة القوات الأميركية في أفغانستان. ما أدى إلى تزايد النفوذ الإيراني في ولاية "**هيرات**" الأفغانية قرب الحدود الإيرانية، حتى إنه صار يطلق عليها "**إيران الصغيرة**." إن

---

[1] محمد بن صفر سلمي، **المرجع سبق ذكره**.

[2] محمد الوقاد، "إيران وطالبان أفغانستان.....للضرورة أحكام (تحليل)"، **جريدة مصر العربية**، 31 أكتوبر 2019.

إيران وبكل بساطة تعمل على إضعاف الحكومة الأفغانية وقواتها الأمنية وإلى إفشال المهمة الأميركية في أفغانستان برمتها، سعياً منها لبسط نفوذها على البلاد[1].

⟵ نستنتج ممّا سبق انطلاقاً من العلاقات الأفغانية الإيرانية المعقدة مروراً بالعلاقات الإيرانية الأفغانية كمرحلة جديدة 2002/2001 وصولاً إلى أهم القضايا العالقة وحتى مستقبل العلاقة، نجد انّه من الضرورة أن نشير إلى حقائق هامة منها أنّ عامل المصلحة الذاتية هو العامل الحاسم الذي يتحكم في السياسة الخارجية للدول الكبرى، وإيران واحدة منها ولهذا لُوحظ بان أي تناقض بين المصالح الإيرانية وحلفائها يترتب عنه سرعة تخليها عن التزاماتها السابقة، فإيران كغيرها من الدول لا تضمن أحداً إلاّ مصالحا، ومصالحا بـــــ القطع ليس مرتبطة في شخص أو نظام.

وعلى هذا الأساس لمن يريد تحليل العلاقة الأفغانية_الإيرانية عليه أن يستحضر حقيقة أنّ السياسة الخارجية الإيرانية إنّما تُبنى على المصالح لا المبادئ، وأنّ هذه المبادئ التي تؤسس–نظرياً– للعلاقات الدولية، سرعان ما تتبدل وتتغيّر ويتم تجاوزها إذا ما تعارضت مع أي مصلحة مباشرة.

فإيران تعتمد في علاقتها مع الدول وأفغانستان واحدة منهم على الواقعية الكلاسيكية التي تُفسر علاقات الدول بـــــ بعضها البعض كلها علاقات مصلحة المرادفة للقوة، وقد وضح لنا "هانس مرغانتو" احد أهم المنظرين للفكر الواقعي أنّ المصلحة الوطنية هي المحافظة على البقاء القومي، حماية الحدود والنظام السياسي والهوية الثقافية من الاعتداءات الخارجية. فالمصلحة عنده هي القوة، والقوة هي جزء من طبيعة الإنسان البيولوجية، فقد توافق مع "طوماس هوبز" في كون أنّ الإنسان شرير بطبعه.

إذن هي القوة الناعمة التي اعتمدتها إيران والتي تعني كما يقول المؤلف الأمريكي "جوزاف ناي"جعل الآخرين يقبلون ما تريده أنت، فيختارونه بدلا من إجبارهم، وعادة ما ترتبط بمصادر القوة غير الملموسة، كالثقافة والعقيدة والمؤسسات ذات الجاذبية، ووفق ناي فهي "إذا استطعت أن أجعلك تفعل ما أريده، فاني لن اضطر إلى إرغامك على عمل ما لا تريده"، ووفق تلك المقاييس، فانّ المصادر المهمة للقوة الناعمة ستكون من الثقافة بشكل عام، وخصوصاً تلك التي تسوق بشكل جيد وتجدب الآخرين، وكذلك القيم السياسية التي تتبناها الدولة، وتعمل على تطبيقها بشكل واضح، ولهذا تعد السياسة الخارجية واحدة من أهم مصادر القوة الناعمة وخصوصاً تلك التي يراها الرأي العام أنّ لها رؤى أخلاقية وذات مواقف مميزة.

عند تطبيق هذا النموذج على مستوى السياسة الخارجية الإيرانية في علاقتها مع أفغانستان خاصة وأّن هذه الأخيرة دولة جارة تكتسب أهمية في الإستراتيجية الإيرانية، نجد أنّ الباحث الإيراني "عباس مالكي" يُحدد معالم القوة الناعمة عندما يؤكد أنّ التقاليد الإيرانية واللغة الفارسية ومبادئ الإسلام والتشيع تُمثل مصادر الثقافة الإيرانية، وإحدى مقاومات القوة الناعمة[2]. ولعل نتاج هذا التطور في أدوات القوة الناعمة

---

[1] "**تعاظم النفوذ الإيراني وتراجع الأمريكي بأفغانستان**"، موقع، https://www.aljazeera.net/، 2020/08/07.

[2] ياسر عبد الحسين، **السياسة الخارجية الإيرانية مستقبل السياسة في عهد الرئيس حسن روحاني**، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2015، ص 180.

الإيرانية، جاء حصيلة محاصرة وحرب ناعمة طويلة مارستها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إيران. جعلت منها دولة قوية تتقن جيدا توظيف القوة الناعمة بدلا من القوة الخشنة في علاقاتها الدولية.

النتائج:

_ بُنيت العلاقات الإيرانية الأفغانية ووُضعت انطلاقاً من الرؤية الإيرانية التي ركزت على الموقع الجيوبوليتيكي، ووضعت منه الركيزة الأساسية التي بنت عليها علاقاتها مع أفغانستان، وفي هذا الصدد انطلق المخططين الاستراتيجيين الإيرانيين في رسم العلاقات بين بلدهم وأفغانستان من موضعين رئيسيين اثنين وهما كالتالي: الأول وهو تبنيهم لـــ نظرية "**المجال الحيوي**" في التعامل مع أفغانستان ودول مجاورة أخرى، أمّا الثاني فيرجع إلى الظروف التي سادت المنطقة الأسيوية والشرق أوسطية بعد الحادي عشر سبتمبر، ومست بصورة مباشرة الجوار القريب لإيران وعلى وجه التحديد الاحتلال الأمريكي لـــ أفغانستان والذي حول هذه الأخيرة إلى منطقة رخوة فتحت المجال واسعاً لدخول قوى إقليمية ودولية كثيرة إلى حلبة الصراع، وهو أمر لا يتناسب مع الأمن القومي الإيراني.

_ انطلاقاً من العلاقات الأفغانية الإيرانية المعقدة مروراً بالعلاقات الإيرانية الأفغانية كمرحلة جديدة **2002/2001** وصولاً إلى أهم القضايا العالقة وحتى مستقبل العلاقة، نجد انّه من الضرورة أن نشير إلى حقائق هامة منها أنّ عامل المصلحة الذاتية هو العامل الحاسم الذي يتحكم في السياسة الخارجية للدول الكبرى، وإيران واحدة منها ولهذا لُوحظ بان أي تناقض بين المصالح الإيرانية وحلفائها يترتب عنه سرعة تخليها عن التزاماتها السابقة، فإيران كغيرها من الدول لا تضمن أحداً إلاّ مصالحا، ومصالحا بـــ القطع ليس مرتبطة في شخص أو نظام.

_ اعتمدت إيران على القوة الناعمة التي عادة ما ترتبط بمصادر القوة غير الملموسة، كالثقافة والعقيدة والمؤسسات ذات الجاذبية ووفق تلك المقاييس، فانّ المصادر المهمة للقوة الناعمة ستكون من الثقافة بشكل عام، وخصوصا تلك التي تسوق بشكل جيد وتجدب الآخرين، وكذلك القيم السياسية التي تتبناها الدولة، وتعمل على تطبيقها بشكل واضح، ولهذا تعد السياسة الخارجية واحدة من أهم مصادر القوة الناعمة وخصوصاً تلك التي يراها الرأي العام أنّ لها رؤى أخلاقية وذات مواقف مميزة.

التوصيات:

_ صحيح أنّ العلاقات القائمة فيما بين الدول هي علاقات مصلحة المرادفة للقوة، لكن على إيران إتباع مرحلة جديدة خارجة عن نطاق المصلحة أو على الأقل التقليل منها على اعتبار أنّ العالم هو عالم فوضى فلا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة وإنما هناك مصلحة دائمة. فتدخلاتها الدائمة ونفوذها في أفغانستان يبقى مقيد بالمقاومة الشعبية الأفغانية لما يتم اعتباره في كثير من الأحيان على انه تدخل إيراني سافر في الشؤون الأفغانية، بل حتى أنّ الشركاء المهمين في إيران مثل قبيلة "**الهزارة**" تُساورهم الشكوك حول النوايا الشريرة لهده الأخيرة.

خاتمة:

عادةً ما كانت إيران تتّبع إستراتيجية ذات محوريين رئيسيين في علاقتها مع أفغانستان أولها، بـــ تفعيل ورقة الطائفية الشيعية لتثبيت أعمدة نفوذها داخل المجتمع الشيعي الأفغاني معظمهم من الهزارة. وثانيها بـــ توظيف ورقة العِرق الفارسي لجذب مجموعات عِرقية أخرى غير الباشتون، بما في ذلك الطاجيك والأوزبك والتركمان .أما على صعيد المُستقبلي، يُفضِّل صانعوا السياسات في إيران التعامل مباشرةً مع طالبان، بدلًا من مواجهة الضغوط الأمريكية على حدودهم. فإنّ إيران، كما هي الولايات المتحدة، أصبحت تقبل التكيُّف مع طالبان، إذ تراهُ السبيلَ الوحيدة لبناء مستقبلٍ أكثر سلامًا لجارتها من جهة وزيادة نفوذها في المنطقة من جهة ثانية.

المراجع:

أولاً/ الكتب:

1_ علي رضا نادر وآخرون، **النفوذ الإيراني في أفغانستان الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة**، المملكة المتحدة: RAND، 2014 .

2_ ياسر عبد الحسين، **السياسة الخارجية الإيرانية مستقبل السياسة في عهد الرئيس حسن روحاني**، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2015..

ثانياً/ المجلات والدوريات:

1_ أمينة دبازي، **التدخل الأمريكي في أفغانستان والرهانات الجيوسياسية 2001-20014**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، (جامعة الجزائر 3: قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية/فرع العلاقات الدولية، 2014/2013).

ثالثاً/المواقع الالكترونية:

1_ احمد دياب، "**مستقبل الصراع الإقليمي على أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي**"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 2020/07/30.

2_ احمد دياب، "**مستقبل الصراع الإقليمي على أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي**"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 2020/07/30.

3_ "**أبعاد التوغل الإيراني في أفغانستان**"، مركز برق للسياسات والاستشارات موقع: https://barq-rs.com/، 2020/08/07.

4_ "**تعاظم النفوذ الإيراني وتراجع الأمريكي بأفغانستان**"، موقع، https://www.aljazeera.net/، 2020/08/07.

5_ بهز بان فارسي، "**خط النفاذ لأولويات إيران الجيو-سياسية في أفغانستان**"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 2020/07/28.

6_ حسين احمديان، "**أفغانستان في إستراتيجية الأمن القومي الإيراني ورؤيتها لدور طالبان والوجود الأجنبي**"، مركز الجزيرة للدراسات، موقع: https://studies.aljazeera.net/، 2020/07/21.

7 _ حازم زهران، "**عندما تصبح المياه سلاحاً سياسياً في إيران**"، إيران خانة، موقع: http://www.irankhana.com/، 2020/07/28.

8_ "**العلاقات بين إيران وطالبان...تلاقي مصالح أم تعاون أشرار**"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، موقع: https://www.ecssr.ae/، 2020/07/22.

9_ فاطمة الصمادي، "**أفغانستان ....قلق إيران الدائم**"، مركز الجزيرة للدراسات، موقع: https://studies.aljazeera.net/، 2020/07/09.

10_ محمد بن صفر سلمي، "**الانسحاب الأمريكي من أفغانستان هل يشكل فرصة لإيران؟**"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 2020/07/20.

11_ مرفت زكرياء، "**ارتدادات التوغل...الاحتجاجات الأفغانية في مواجهة التدخل الإيراني في أفغانستان**"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.org/، 2020/07/28.

12_ محمد الوقاد، "إيران وطالبان أفغانستان.....للضرورة أحكام (تحليل)"، **جريدة مصر العربية**، 31 أكتوبر 2019.

13_ هناء هشام، "**إيران في أفغانستان، ...تأثير دون إستراتيجية واضحة**"، موقع: http://www.alrased.net/، 2020/07/20.

أدلجة الأوبئة والأزمات في الفكر السياسي الإيراني: قراءة في تحليل الخطاب الإيراني في ظل تفشي وباء كوفيد-19

Ideologization of epidemics and crises in Iranian political thought: a reading in the analysis of Iranian discourse in light of the spread of the Covid-19 epidemic

م. ميثاق مناحي العيسى
Methaq Mnahi Dsher Al-issa
مدرس، جامعة كربلاء، مركز الدراسات الاستراتيجية
Academic, Karbala University / Center for Strategic Studies
methak1148@gmail.com

ملخص البحث:

تدور فكرة البحث حول طبيعة التوظيف البراغماتي الذي يكتنف الخطاب الإيراني بشكل عام، من خلال استحضار التاريخ والايديولوجيات الدينية والسياسية، ولاسيما فكرة الإمام المهدي أو المنقذ العالمي في وقت الأزمات، كأزمة وباء كوفيد-19، التي ضربت العالم بأسرة؛ من أجل ذلك، وللتأكد من فرضية البحث قسّمت الدراسة إلى خمسة محاور أساسية. تناول المحور الأول، التركيبة الفلسفية للدولة الإيرانية، في حين خصص المحور الثاني لدراسة تداعيات كوفيد-19على النموذج الإيراني على المستوى (السياسي، الديني، الاقتصادي)، أما المحور الثالث، فقد تناول تداعيات مابعد كوفيد-19 على النموذج الإيراني، في حين خصص المحور الرابع، لدراسة الخطاب الإيراني في ظل تفشي أزمة كورونا، وقد تطرقنا في المحور الخامس والاخير إلى مستقبل النموذج الإيراني في ظل الظروف الراهنة، وأنتهى البحث بالخاتمة وقائمة المصادر.

كلمات مفتاحية: الفكر السياسي الإيراني، ولاية الفقيه، الخطاب الإيراني، المؤسسة الدينية، كوفيد19-، النظام السياسي الإيراني.

Research Summary:

The research is talking about the Nature of Pragmatic recruitment in Iranian Discourse as a Whole, through history and political and religious ideologies, especially the idea of Al-Imam Al-mahdi or the savior in the crisis time like Covid-19 that sweeping the world today,For that, the study took five axes to Confirming research Hypothesis, the first axis dealt with the philosophical composition of the Iranian state, and the second dealt with the consequences of Covid-19 on Iran in political, religious,conomic level ,while the third dealt with the post-Covid-19 consequences on Iran ,while the fourth focused on the study of Iranian speech in the light of Covid-19 spreed ,the last dealt with the future of Iranian model under the current circumstances. The research ends with the conclusion and a list of resources.

Key words: Iranian political thought, Wilayat al-Faqih, Iranian speech, religious establishment, Covid-19, Iranian political system.

المقدمة

تهدف الدراسة إلى فهم طبيعة توظيف الأزمات والأوبئة في الفكر السياسي الإيراني، من خلال ادلجتها بمفاهيم ومفردات مؤامراتية، وبخطاب متوازن (سياسي– ديني)، وهو خطاب قائم على التحالف بين المؤسسة الدينية والسياسية؛ للحفاظ على بنية النظام السياسي الإيراني من التفكك والانهيار والتدخلات الخارجية، إذ تتمتع فلسفة الدولة في جمهورية إيران الإسلامية، بنموذج يكاد يكون فريد من نوعه في طبيعة نظامها وفلسفتها الخاصة بالربط بين المؤسستين، وطبيعة تخريجها إلى العالم، هذا الترابط، يذّكرنا بطبيعة التحالف بين (رجال الدين والسياسة والاقتصاد) في الفكر السياسي الأمريكي، وطبيعة الخطاب الذي تأسست عليه الولايات المتحدة الأمريكية في بداية نشأتها على يد المؤسسين الأوائل، وكذلك يذّكرنا بطبيعة الخطاب القومي في أوروبا والقوميين اليهود، الذين عادةً ما يكونوا متشددين اتجاه مفهوم الدولة، ولا يفصلون بين الخطابين (السياسي والديني).

إن دراسة خطاب المؤسسة الدينية الإيرانية ومواقفها اتجاه الأزمات والأوبئة والكوارث الطبيعة، تكشف عن العقل المذهبي والفلسفة الخاصة، اللذان تقوم عليهما الدولة والنظام السياسي الإيرانيين، ومعترك الفكر الديني والسياسي، وكيفية تعاطيهما مع المستجدات والحوادث الطارئة التي من شأنها أن تربك النظام السياسي أو تعيق سلوك الإدارة الإيرانية وتطلعاتها (الداخلية والخارجية)، وهذا الأمر، كثيراً ما تعتمد عليه إيران، من خلال الاعتماد على النموذج الخاص بها في إدارة الأزمات وفلسفتها الخاصة ايضاً، بوسائل وادوات ناعمة، تستطيع من خلالها، كسب تعاطف الرأي العام (الداخلي والخارجي) وضرب الحدود القومية للدول، ودغدغة مشاعر الأخرين بخطاب ديني – إسلامي عابر للحدود، يقوم على مبدأ توظيف الأزمات والأوبئة والكوارث في الجوانب الايديولوجية والعقائدية. وهذا من شأنه أن يساعدنا في إدراك طرائق تفكير النخَب الدينية والسياسية في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، الذين هم جزءٌ من إدارة المشهد الديني والثقافي والسياسي، وتوجيه الرأي العام في الدولة الإيرانية. لذا تمثل جائحة كورونا وتداعياتها العالمية، فرصة مهمة إمام الباحثين لدراسة السلوك والخطاب السياسي والديني الإيراني، والتعمق فيهما، ولاسيما الخطاب الديني؛ من أجل فهم طبيعة ذلك الخطاب، وطبيعة الترابط والتحالف بينهما، والعلاقة التي تربطهما. ولكن قبل الخوض في ذلك، سوف نتطرق إلى تركيبة فلسفة الدولة الإيرانية أو النموذج الإيراني؛ من أجل أن نَقف على طبيعة ذلك التوظيف، وسنتطرق أيضاً إلى تداعيات كوفيد–19 في إيران وتأثيرها على النموذج الإسلامي الإيراني، قبالة النموذج الغربي على المستوى (السياسي، الاقتصادي والديني)، فضلاً عن تداعيات ما بعد كوفيد–19 على النموذج الإيراني.

منهجية البحث: اعتمدت الدراسة على بعض مناهج البحث العلمي كالمنهج التحليلي؛ لتحليل الخطاب الإيراني، والمنهج المقارن، للمقارنة بين خطاب المؤسسة الدينية والسياسية، فضلاً عن المنهج التاريخي لدراسة طبيعة الفكر السياسي وفلسفة الدولة الإيرانية.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها إن "الخطاب الإيراني كثيراً ما يحاول الهروب إلى الأمام من خلال فكرة التوظيف الديني والايديولوجي واستحضار التاريخ والاساطير الدينية في مواجهة الأزمات، فإلى أي مدى يمكن أن يكون هذا الخطاب مقبولاً وناجحاً في التسويق السياسي والإعلامي في تقوية النظام السياسي والحفاظ على النموذج الإيراني الحالي من التفكك والانهيار"؟.

إشكالية البحث: تكمن مشكلة البحث في طبيعة الخطاب الإيراني وغياب الحدود الفاصلة بين المؤسستين الإيرانيتين (السياسية والدينية)، وطبيعة تسويقها إلى العام الخارجي.

هيكلية البحث: اشتملت الدراسة على خمسة محاور أساسية، جاء المحور الأول تحت عنوان (التركيبة الفلسفية للدولة الإيرانية "النموذج الإيراني")؛ وذلك من أجل توضيح التركيبة الفلسفية للدولة الإيرانية القائمة، وفهم طبيعة الخطاب الإيراني، والترابط بين المؤسسة الدينية والسياسية. وجاء المحور الثاني بعنوان(أزمة كوفيد-19 وتداعياتها على النموذج الإيراني)، وتضمن هذا المحور ثلاث تفرعات، شملت التداعيات السياسية، الدينية، الاقتصادية على النموذج الإيراني الحالي. في حين خصص المحور الثالث لدراسة تداعيات ما بعد كوفيد-19 على النموذج الإيراني، أما المحور الرابع، فقد خصص لدراسة تحليل الخطاب الإيراني في ظل تفشي فيروس كوفيد-19 والتعايش معه، من خلال التركيز على دراسة الخطاب السياسي – الديني أولاً، ومن ثم توضيح وسائل وآليات تحقيق ذلك الخطاب. فضلاً عن المحور الخامس، الذي ركزنا فيه على مستقبل النموذج الإيراني في ظل التحديات الراهنة، وانتهى البحث بالخاتمة وقائمة المصادر.

المحور الأول: التركيبة الفلسفية للدولة الإيرانية "النموذج الإيراني"

لا يمكننا فهم التركيبة (الفلسفية والسياسية) للدولة الإيرانية بمعزل عن الفهم الديني والفقهي لنظرية الانتظار في الفكر السياسي الشيعي، والمدرسة الأصولية[1] في الفقه الشيعي، التي ترجمها السيد الخميني في فلسفة خاصة ونظرية سياسية لإدارة الدولة الإيرانية بموازاة التراث الشيعي المحافظ. فقد طور السيد الخميني فكرة ولاية الفقيه من مفهوم فقهي إلى نظرية سياسية[2]، وسعى إلى تجديد مسألة استمرارية النهج الإمامي أثناء الغيبة[3]، واعتبار ولاية الفقيه بمثابة البديل لحكومة الإمام المهدي. بهذا المفهوم شَكّل السيد الخميني انقلاباً على التراث الشيعي، ولاسيما مع العزلة السياسية لفقهاء الشيعة عن الحكم، وقد تُرجم أراءه عن نظرية ولاية الفقيه، ضمن كتاب أسماه الحكومة الإسلامية. انطلاقاً من ذلك، رفض الخميني نظرية الانتظار، على أن الأدلة التي تدل على وجوب الإمامة هي نفس الأدلة التي تدل على وجوب ولاية الفقيه، ومن ثم، فأن ضرورة استمرار تنفيذ الأحكام الشرعية، ينطلق من أمر أساسي هو ثبات حق الفقيه في الحكم استناداً إلى دليلين: الدليل العقلي، ويؤكد على أن الولاية تتخذ صيغتها الشرعية بتنصيب وإذن من الله تعالى، والدليل النقلي، المتمثل في الروايات التي تسمي الفقهاء بصفة (الأمناء أو الخلفاء أو ورثة الانبياء)، فضلاً عن الأحاديث المنقولة عن أئمة الشيعة. وحسب قواعده الفكرية واجتهاداته الفقيه، فأن الخميني يميز بين نوعين من الولاية:

(1). للمزيد عن هذا الموضوع أنظر: احمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد،ط1، بيروت،1998، ص 42 وص388.

(2). للمزيد أنظر أيضاً: آية الله الخميني، الحكومة الإسلامية، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٧٩. 348.

(3). غيبة الإمام الثاني عشر الإمام المهدي المنتظر أو ما تسمى بالغيبة الكبرى في الفقه الشيعي أو ما نسميها بنظرية الانتظار في الفكر السياسي.

الولاية التشريعية تخص الرسول (ص) والأئمة الاثني عشر، وهي مقام الخلافة الكلية الإلهية. والولاية التكوينية التي تتعلق بالوظيفة وليس بالمنزلة، وأنها من الأمور الاعتبارية العقلانية. وبناءً على ذلك، يعتبر الخميني ولاية الفقيه، ولاية دينية تتجسد فيها حاكمية الله على الأرض، فالرسول (ص) كان ولياً على المؤمنين جميعاً، ومن بعده كان الإمام ولياً، ونفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه. وعلى هذا الاساس، فأن للفقيه العادل جميع ما للرسول (ص) والأئمة من أمرو المجتمع ما كان يليه النبي، ويمتلك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وأمير المؤمنين على ما يمتاز به الأثنان من مناقب خاصة[1].

لقد اتضح أن المعنى الذي ذهب إليه الخميني بخصوص أزمة التزاحم بين الفقهاء، قد أدى إلى تكريس مبدأ وحدانية الإمام الفقيه ومركزية الولاية المطلقة، التي تجسدت في شخص السيد الخميني، وكان ذلك يعني عدم شرعية وجود مرجعية سياسية ضمن كل بلد يتواجد فيه الشيعة كما كان الحال قبل سيادة هذه النظرية. وخلاصة ما ذهب إليه الخميني من أفكار، أن ولاية الفقيه تبرر وجودها بحيازتها على الشرعية الإلهية، وبطرحها نفسها ضمن نظرية منجزة كاملة. وهي تعد تمثيلاً لحكم الله في الأرض، وأنها تستمد شرعيتها من الحاكم، وبالتالي فالقبول بالحكومة وتشريعاتها في ظل الولي الفقيه، لا يعد التزاماً بالقانون فحسب، بل هو مسؤولية المسلم في حالات وفرض عليه[2]. وهذا ما يعطينا تصور واضح حول بنية الدولة الإيرانية وتركيبتها الفلسفية الممزوجة بين الفلسفة الدينية القائمة على تفسير التراث الشيعي الخاص بالمدرسة الشيعية الأصولية او ما نسيمها اليوم بولاية الفقيه العامة "المطلقة"، التي تعطي للفقيه الحق بالنيابة عن الإمام المعصوم، أو الإمام المهدي المنتظر في كثير من الأمور التكوينية التي تتعلق بالوظيفة وليست بالمنزلة، وبين النظريات السياسية المعاصرة التي تقوم على فكرة الانتخاب والحقوق الدستورية والقانونية "الوضعية" وحقوق المرأة... وغيرها من المفاهيم السياسية الوضعية؛ لهذا فأن فَهم التركيبة الفلسفية للدولة الإيرانية، يعطينا دلالات واضحة على فهم وتحليل الخطاب الإيراني المعاصر في طبيعة قراءته وتوظيفه للازمات والأوبئة والكوارث الطبيعية، وادلجتها ضمن المنظومة الخاصة بالفكر السياسي الإيراني بتوظيف براغماتي يتناسب مع مخرجات وسلوك النظام السياسي الإيراني.

المحور الثاني: أزمة كوفيد -19 وتداعياتها على النموذج الإيراني

لقد ضرب فيروس كورونا أكثر بلدان العالم تقدماً بما فيها إيران، إذ سجلت أعلى نسبة مصابين ووفيات بالنسبة لدول العالم، وقد تسببت هذه الجائحة بتداعيات كبيرة على النظام الإيراني بشكل عام. ويعد هذا الفيروس الحدث الأكبر في العالم منذ ظهوره في الصين بداية العام الحالي وحتى الآن، وقد أدى انتشاره إلى توقف الحياة البشرية في كثير من البلاد، إذ تم إغلاق المصانع والمتاجر ودور العبادة وفرض الحظر (داخلياً ودولياً)، وقد أدى إلى توقف الحياة العامة بشكل كامل، وتسبب بخسائر اقتصادية وبشرية كبيرة، مما أدى إلى

(1). أحسن خديم الله، تطور نظرية ولاية الفقيه في الفكر السياسي الشيعي، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، العدد٦، جامعة جيجل، قسم العلوم السياسية، الجزائر،٢٠١٨، ص ٣٤٧.

(2). المصدر نفسه،ص350.

ركود الاقتصاد العالمي، محدثاً أزمة عالمية قد تكون الأقوى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد أدى انتشار الفيروس إلى كشف حقيقة التكنولوجيا العالمية الهشة، وكشف عورة التقدم الطبي العالمي، وعجز المختبرات الطبية المتقدمة إلى الآن من القيام بواجباتها مع وفرة الإمكانيات المادية. ويراه البعض: بأنه "ادى إلى كشف عورة النظام العالمي والنموذج الغربي"، هذا العجز أدى إلى تعالي الاصوات الرافضة لهذا النموذج، الذي حكم العالم طيلة القرن الماضي وحتى الآن؛ مما جعل بعض الدول تفكر بطرح نموذجها السياسي العالمي، مثل النموذج الصيني والروسي، فضلا عن النموذج الإسلامي التي تتبناه إيران، وهو نموذج نابع من طبيعة الفكر السياسي الإيراني، والفلسفة الخاصة التي تتبناها الدولة الإيرانية.

فقد اضطرّ النظام الإيراني إلى استئناف الأنشطة الاقتصادية ''منخفضة المخاطر'' في معظم أنحاء البلاد، رغم أن الأوضاع الناجمة عن تفشي فيروس كورونا لا تزال حرجة؛ وذلك تحت وطأة الضغوط الاقتصادية والأوضاع المعيشية الصعبة التي خلفّتها الأزمة، التي بات النظام غير قادر على مواجهتها بعد التراجع الكبير في الإيرادات من المصادر الأساسية التي ترفد الميزانية بالموارد، ومع ذلك لم يعدم النظام الإيراني توظيف الجائحة ومحاولة الاستفادة وتحقيق مكاسب داخلية وخارجية من وراءها، والهروب بمجمل الأزمة التي يعاني منها للأمام، عبر الحديث عن مؤامرة خارجية تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران لتهدئة الغضب الداخلي. وبالرغم من ذلك التوظيف، "يظل الإخفاق في إدارة الأزمة وتداعياتها الداخلية التحدي الرئيس الذي سيواجه النظام بعد انتهاء الأزمة وعودة الحياة إلى طبيعتها، فضلاً عن، تواضع نتائج التوظيف السياسي لانتشار كورونا في إيران في كسب الرأي العام العالمي، من خلال الضغط على الولايات المتحدة ودفعها نحو مراجعة سياسة الضغوط والعقوبات المفروضة على طهران"[1]. هذا الاخفاق أو التهاون مع إدارة أزمة كوفيد-19، ربما يصبح بمثابة تهديد آني أو مستقبلي "في حال تفشى الوباء بشكل أكبر وفشلت الحكومة الإيرانية في التعامل معه" على النظام السياسي الإيراني، ولاسيما مع ارتفاع تداعيات سياسة العقوبات التي تفرضها واشنطن على إيران؛ وهذا من شانه أن يزعزع النموذج الإيراني أو يقلل من جاذبيته أو مصداقيته على الصعيدين (الداخلي والخارجي)؛ مما يجعله محط انتقاد او هجوم بالنسبة للمعارضين والمؤيدين له، وهذه التداعيات قد نستشفها على المستوى (السياسي، الاقتصادي، الديني) أكثر من غيرها:

أولاً: تداعيات أزمة كوفيد-19 على المستوى السياسي

على الرغم من أن تصرفات الحكومة الإيرانية وتعاملها مع تفشي وباء كوفيد-19 تميزت بالبراغماتية الشديدة، بل ولم تبد إهتماماً كبيراً بالجانب الديني مع بداية تفشي الفيروس، ففي 6 مارس/آذار أعلنت السلطات غلق المزارات والمراقد الدينية؛ للسيطرة على انتشار الوباء، إلا أنها وضعت في مأزق، إذ أجبرت القيادة على تعليق الطقوس الدينية التي طالما استغلتها لتبرير وجودها سياسياً. وليس ذلك فحسب، بل إضطرت إلى منع المتعبدين من ممارسة هذه الطقوس عن طريق التدخل المباشر، وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل. والمثير

(1). محمد محمود ابو القاسم، إيران وإدارة أزمة «كورونا»:النتائج والمآلات، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، مجلة الدراسات الإيرانية، 16أبريل 2020، ص4. شبكة معلومات دولية: https://0i.is/B0ml

للإهتمام أن هذه القرارات جاءت بمباركة المرشد الأعلى، وهو السلطة (الدينية) العليا في الدولة. وترى "آزاده زميريارد" الخبيرة في الشأن الإيراني بمؤسسة العلوم والسياسة (SWP): "إن هذه القرارات كان لها تأثير كبير على الإيرانيين، وأدت الصدمة النفسية التي سببها إغلاق الأماكن الدينية إلى اعتماد الحكومة على إستراتيجيات خطابية لتبرير قراراتها"، فمن أجل تشجيع المتدينين على تفادي الذهاب إلى الأماكن الدينية قدمت الحكومة تبريراً غريباً، فسرت فيه كورونا، بأنها ليس فيروساً عادياً، وإنما قد يكون سلاح بيولوجي مصنع من قبل قوى إمبريالية مهيمنة– والمقصود هنا الولايات المتحدة الأمريكية[1]. وتجد الحكومة الإيرانية نفسها في وضع صعب جداً منذ تفشي وباء كورونا، فقد اشتدت الاصوات المعارضة للنظام ولفلسفة الدولة الإيرانية؛ نتيجةً لتداعيات الأزمة الاقتصادية وعدم ثقة المتظاهرين[2]، فيما أعلنته الحكومة في خريف العام الماضي عن زيادة النمو الاقتصادي. وزاد الوضع تأزماً بعد الانتقادات التي طالت الحكومة في تعاملها مع حادث إسقاط طائرة ركاب أوكرانية عن طريق الخطأ في مطلع العام الجاري، ولاسيما أن تصريحات المسؤولين الإيرانيين اتسمت بعدم الوضوح والتخبط. فضلاً عن السخط الشعبي جراء السياسات الإيرانية الإقليمية والعالمية سواء على مستوى المنطقة أو على الصعيد العالمي مع الولايات المتحدة، وسياسة العقوبات التي انهكت الاقتصادي الإيراني؛ مما أدى إلى ضعف شرعية النظام السياسي، وتعالي الأصوات المطالبة بالفصل بين توجهات الدولة الدينية والسياسية. فقد أدت تلك الأحداث بحسب "زميريارد"، إلى عودة فكرة العلمانية بقوة على الساحة الإيرانية، ولاسيما في ظل ارتفاع الاصابات والوفيات وفشل النظام الإيراني في كسب ود الانظمة السياسية العالمية في مواجهة انتشار وباء كورونا. هذه الافكار والتوجهات تتعارض جذرياً مع التركيبة الفلسفية للدولة الإيرانية؛ مما يزيد من حجم الفجوة بين الطرفين. بموازاة ذلك، هناك من يرى بأن، الكثير من الإيرانيين يلجأون إلى الدين ليحميهم من الإصابة بالفيروس، وهذا ما عملت على ترويجه السلطة الدينية والمؤيدين للنظام القائم وتوجهاته من مؤسسات وأفراد، على المستويين (الرسمي وغير الرسمي).

إن تفشي وباء كوفيد –19 في إيران، وعدم تعامل السلطات الإيرانية بشفافية واضحة مع الوباء، زايد من حجم الفجوة وعدم الثقة بالنظام السياسي وسياسات الحكومة، ولعل من تلك التداعيات العملية لانعدام الثقة، "هو تجاهل المواطنين حالياً للتوصيات الصادرة عن المؤسسات السياسية والدينية قدر استطاعتهم، وإصغائهم بدلاً من ذلك إلى حدسهم الخاص أو استشارتهم مصادر بديلة، على سبيل المثال، في طهران وغيرها من المدن، رفض الآباء إعادة أطفالهم إلى الدراسة بعد أن قررت الحكومة إبقاء المدارس مفتوحة". فضلاً عن ذلك، فأن رفض المرشد والسلطات الدينية ومسؤول حرم السيدة معصومة السيد محمد سعيدي، اجراءات الحظر التي رفعتها وزارة الصحة واصرت على تطبيقها في مدينة قم، زاد من تفاقم مشاعر الناس بالهلع والغضب. ومن المؤكد أن تؤدي هذه التطورات إلى توسيع الفجوة الثقافية بين المؤسسة الدينية وسكان المدن المثقفين من الطبقتين الوسطى والمتوسطة العليا في إيران. كما أن الجانب السياسي لمعارضة رجال الدين

(1). للمزيد أنظر: بين العلم و"الجهل المقدس" . كورونا يضع إيران أمام مأزق عقائدي، موقع DW، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/8N5V

(2). ماهر لطيف، تصاعد التوتر بين طهران وواشنطن في ظل تفشي فيروس كورونا وتداعياته على الساحة العراقية، المركز الديمقراطي العربي20. مايو 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/2qjT

في فرض حجر صحي على قم، بُرر بنظرية التآمر على إيران وقدسيتها، وتقف وراءه "أيادي العدو الخفية"، وهي نفس الذرائع التي وضعف خلف التوصيات الصحية الطارئة الصادرة عن مجلس الوزراء. وكما ذكر سعيدي في خطاب ألقاه في 22 شباط/فبراير، "لا أحد يسمح للعدو بتصوير قم على أنها مدينة غير آمنة[1]. هذا الخطاب، أفقد المؤسسة السياسية مهنيتها في التعامل مع أزمة كوفيد –19وأضعف من ثقتها أمام المجتمع الدولي، سواء من خلال انتقاء المعلومة الصحيحة الخاصة بنتائج الوباء أو غيرها من الاحصائيات التي يعلنها النظام الإيراني؛ لأن الأخير سارع إلى تسييس القضية لأغراض معاكسة. وقد برز أثر الفيروس بشكل ملحوظ في أوساط القيادات العليا في إيران، ما يشير إلى حسابات خاطئة رهيبة قام بها صناع القرار في طهران؛ فعلى ما يبدو، لا تزال البلاد تخفي المعلومات بشأن الأزمة عن عامة الشعب، وكذلك عن المجتمع الدولي. وفي جميع الأحوال، من الواضح أن الفيروس تفشى بين القيادات العليا الإيرانية بشكل كبير؛ فقد جاءت نتائج الفحوصات إيجابية لنسبة 8% من أعضاء البرلمان الإيراني، بمن فيهم نائب وزير الصحة د. إيراج حريرجي. كما أن حوالى عشرة من كبار المسؤولين والوزراء في البلاد أصيبوا بالمرض، بمن فيهم السيد محمد مير محمدي مستشار المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي[2]. وهذا من شأنه أن يساهم في اضعاف النظام السياسي الإيراني، أو يقلل من جاذبيته أمام مناصريه، ويوّسع من حجم الفجوة بين السلطة والمجتمع. "فأزمة كوفيد–19 لا تُنذر بخير، والفيروس عنيد أمام الأدوات التي راكمتها الجمهورية الإيرانية بمرور الزمن. وإن تعبئة حشود ضخمة من المؤيدين للنظام في شوارع المدن قد تُفيد في تبديد تكهنات سقوط النظام، واستعراضات الجيش مفيدة في دحض حسابات الأعداء، لكن من الصعب استخدام الخطوتين ضد الوباء، فبدلا من تعبئة الحشود الضخمة في الشوارع، ينبغي أن تتمثّل رغبة الحكومة الإيرانيّة في بقاء المواطنين في البيوت، وبدلا من الكوادر الملتزمة بالخط الأيديولوجي للجمهورية، وموالاته، تحتاج الحكومة إلى حشد المهنيين المتعلمين"[3]. إذ زادت أزمة كورونا من حالة الارتباك الداخلي بن أجنحة السلطة، وظهر تخبطٍ في التعامل مع الأزمة في بدايتها، وتبادل المسؤولين الاتهامات بمحاولة توظيفها، فقد اتهم محمد تقي فاضل مؤبدي، عضو هيئة التدريس بجامعة "مفيد" في مدينة قم، السلطات بتسييس الأزمة من خلال الزعم بأن السبب فيها العقوبات المفروضة على إيران[4].

نتيجة لذلك لم يُبد المواطنون الالتزام الكافي والاستجابة الفعالة بقرارات الحكومة، إذ أثرت أزمة الثقة بن المواطنين والسلطة على الحد من الاستجابة الشعبية لقرارات السلطة وتوجيهاتها، وتعود أزمة الثقة تلك إلى طريقة تعامل السلطة مع الأزمة وتضارب تصريحات المسؤولين بشأنها، وكذلك وجود فجوة بن الجماهر والحكومة نتيجةً لسياسة الإنكار التي تنتهجها السلطات والنظام مع كل أزمة، كما حدث في حادثة الطائرة

([1]). مهدي خلجي، فيروس كورونا في إيران (الجزء الأول): عوامل متعلقة برجال الدين، معهد واشنطن لساسة الشرق الأدنى، 9 آذار/مارس 2020، شبكة معلومات دولية:https://0i.is/AKds

([2]). مانياري سينغ، تأثير فيروس كورونا على العلاقات الدبلوماسية: إيران والصين والخليج والهند، معهد واشنطن لساسة الشرق الأدنى، 21 أيار/مايو 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/u4RG

([3]). فيروس كورونا.. هل سنشهد تغييرا في السياسة الإيرانية؟، موقع الجزيرة، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/Dh37

([4]). محمد محمود ابو القاسم، مصدر سبق ذكره، ص6.

الأوكرانية في يناير 2020 م، ومع أزمة الاحتجاجات في نهاية العام الماضي وغيرها من الحوادث، وهو الأمر الذي لعب دورًا في التأثر على نمط حياة الناس رغم خطورة الأوضاع[1].

ثانياً: تداعيات أزمة كوفيد -19 على المستوى الاقتصادي

إن التأثير الاقتصادي لأزمة فيروس كورونا المستجد على إيران، من المرجح أن يؤدي إلى خفض كبير في نشاط إيران في منطقة الشرق الأوسط، بما يتجاوز تأثير العقوبات الأمريكية حتى الآن، فهناك بعض التقارير، تؤكد على أن تفشي الفيروس التاجي وجه ضربة قاسية للاقتصاد الإيراني، الذي انخفض بالفعل إلى مستوى قياسي في أعقاب العقوبات الاقتصادية، التي فرضتها الولايات المتحدة، إضافة إلى تراجع أسعار النفط. فضلاً عن، التأثير الاقتصادي للوباء في القطاعات الأقل تأثرا بالعقوبات، مثل السياحة والتجارة الداخلية، ولاسيما أن الفيروس تفشى بشكل كبير في شهر مارس، قبل احتفالات رأس السنة الإيرانية "عيد النيروز" وهي فترة الذروة للأعمال التجارية. وإن القيود المفروضة على التجارة الدولية بسبب تفشي الوباء قللت بشكل كبير من واردات المواد الخام إلى إيران، وأضرت بقدرتها على تصدير المنتجات غير النفطية. كما أن توقف الرحلات الجوية من وإلى إيران وإغلاق حدودها البرية في أعقاب تفشي الفيروس، فرضا ثمنا اقتصاديا باهظاً، وخاصة إغلاق المعابر بين إيران والعراق، التي استخدمتها إيران، لتصدير السلع الأساسية وتهريب النفط والتهرّب من نظام العقوبات. فضلاً عن ذلك، فأن طهران محبطة للغاية؛ لأن اقتصادها يمر بفترة حرجة بعد عدة أشهر من الاستقرار، كما أن تصريحات رئيس غرفة التجارة الإيرانية غلام حسين شافعي، الذي حذر فيها "أنه إذا استمر تفشي الفيروس ستتجه إيران إلى الإفلاس"[2]. إلا أن ذلك، قد لا يضعف من شرعية النظام الإيراني داخلياً في الوقت الحالي، وهي الفكرة التي يسوّق لها الكثير من المتخصصين وغيرهم على نطاق واسع، وقد ذهبت "باريرا سالفين" المتخصصة في شؤون إيران في مجلة "الأمريكي المحافظ، إلى ذات الفكرة التي يسوّقها بعض الجمهوريين في الولايات المتحدة: "بأن الوباء قد يُعجّل بسقوط النظام الإيراني، واعتبرتها فكرة سخيفة"[3].

إن تداعيات كوفيد -19 على الاقتصاد الإيراني قد بدأت مبكراً؛ وذلك من خلال طلب القرض التي تقدمت به طهران إلى صندوق النقد الدولي، وهي المرة الأولى منذ 60 عاما التي تطلب فيها إيران قرضا من الصندوق الدولي. إذ تشير تقديرات صندوق النقد الدولي إلى انكماش الاقتصاد الإيراني 9.5% العام الماضي، يتوقع استقراره هذا العام قبل تفاقم أزمة فيروس كورونا. وقال جاربيس إراديان، كبير اقتصاديي معهد التمويل الدولي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لرويترز "إنه خفض توقعاته للناتج المحلي الإجمالي الإيراني بسبب التفشي". وكان إراديان يتوقع "أن ينكمش الاقتصاد الإيراني بنسبة 2% في 2020، لكنه يتوقع الآن انكماشه 3,1%"، إذ يرى: "إن استمرار القيود على التجارة والسياحة قد يقفز بمعدل التضخم إلى أكثر من 50%، ومعدل البطالة

---

(1). المصدر نفسه، ص15.

(2). سيقلل من تمويلها للإرهاب".. تأثير كورونا على إيران أقسى من العقوبات، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/PTaW

(3). جوناثان ماركوس، فيروس كورونا: هل يصلح الوباء بين الولايات المتحدة وإيران؟، موقع BBC، 19 مارس/ آذار 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/fDbc

إلى أكثر من 20% من القوة العاملة". وبحسب أرقام رسمية صادرة عن المركز الإيراني للإحصاء في ديسمبر، يبلغ معدل البطالة بالنسبة للإيرانيين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 35 عاما 17,9%. وقد يدفع استمرار تراجع الصادرات الحكومة لخفض الإنفاق، وهي خطوة يرى بعض المحللون: "أنها قد تؤدي لمزيد من الاضطرابات الاجتماعية، في أعقاب احتجاجات العام الماضي على خلفية ارتفاع أسعار الوقود، التي دعت إلى الإطاحة بالحكومة والمرشد علي خامنئي، بقمع أسفر عن مقتل المئات واعتقال الآلاف". ويقول الكثير من الإيرانيين، الغاضبين بالفعل بسبب المصاعب الاقتصادية والقلقين حيال تداعيات أزمة طهران النووية مع واشنطن، "إنهم يخشون ألا تكون لدى حكام البلاد سيطرة محكمة على مرض فيروس كورونا". واتهم بعض المعارضين السلطات بالتكتم في البداية على التفشي لضمان مشاركة كبيرة في تجمعات تنظمها الدولة[1]. فضلاً عن ذلك، فأن العقوبات الأمريكية قلصت القوة الشرائية للفرد الإيراني بنحو 20% منذ عام 2018، كما أن الأزمة الصحيّة ستؤدي إلى مزيد من تقليص هذه القوة، فقد ازدهرت الطبقة الوسطى الإيرانية خلال طفرة النفط في العقد 2000، وكانت هذه الطبقة تُشكل 60% من مجموع السكان عام 2012، وفي عام 2018، تقلّصت الطبقة لتشكل 53% من السكان، لكن من المُرجح انكماش هذه النسبة إلى 50% في الوقت الحالي، وبالنسبة إلى أولئك العاملين في القطاع الحكومي، فمن السهل قياس الانكماش، إذ هبط الدخل السنوي لقرابة مليونين إلى ثلاثة ملايين عائلة من الطبقة الوسطى بنحو 15% هذه السنة، ومن المُرجح أن تهبط المداخيل بنسبة مماثلة في العام المقبل. إذ تسمح المسودة الحالية للميزانيّة بزيادة المرتبات الحكومية بنسبة 15%، في وقت ترتفع فيه الأسعار بنسبة 30%، في حين من المُتوقع ارتفاع فاتورة الأجور الحكومية بأكملها بنسبة 22%، وهي نسبة أدنى بكثير من معدل التضخم الذي ينتظر البلاد[2]. ففي دراسة نشرها مركز دراسات البرلمان الإيراني حول عواقب أزمة كورونا على الاقتصاد والأعمال في إيران بعنوان "تقييم أبعاد الاقتصاد الكلي في ظل تفشي فيروس كورونا"، جاء فيه: "إن فيروس كورونا أدى إلى تفاقم أوضاع التضخم والركود لجميع شرائح المجتمع، مشيرًا إلى أن الأسر المحرومة واجهت مشاكل أكثر من بقية شرائح المجتمع الأخرى". فضلاً عن تفاقم المشاكل الاقتصادية مع انخفاض الاستثمار في القطاع التنموي؛ نتيجة تفشي الوباء، إذ قال النائب عن مدينة شيراز في البرلمان الإيراني، علي أكبري، يوم 4 أبريل/نيسان: "إن جميع موارد الحكومة الإيرانية بما في ذلك بيع النفط والضرائب سيتم إنفاقها هذا العام على مشاكل وتداعيات كورونا"[3]. وهذا بالفعل سيضع النظام السياسي الإيراني على المحك، إذا ما استمر الوباء لسنواتٍ قادمة، في ظل استمرار سياسة العقوبات الأمريكية وتعنت صانع القرار الإيراني في الامتناع عن الجلوس على طاولة المفاوضات، مع الاستمرار بسياسة التمدد الإقليمي، وتجاهل مطالب المحتجين.

ثالثاً: تداعيات أزمة كوفيد -19 على المستوى الديني

(1). هذه التفاصيل القاسية تركها فيروس كورونا على إيران، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/5ouM

(2) موقع الجزيرة، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/Dh37 .

(3). شاهندة أديب، تحذيرات من تأثير أضرار كورونا الاقتصادية على الأسر الفقيرة في إيران، موقع إيران إنترناشونال، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/JNDF

أسهم رجال الدين في تفاقم الأزمة من خلال معارضة إغلاق الأضرحة في مدينة قُم، ورفضهم فرض حجرٍ صحي على المدينة التي تفشى بها الفيروس وانتقل منها إلى معظم المدن الإيرانية، بل كان لآرائهم وفتواهم الدينية دورٌ في تعقيد الأمور، ولاسيما أن هذه الآراء كان لها تأثر كبير على عدم الالتزام العام باحتياطات السلامة الواجبة[1].

إن تضخيم رجال الدين لمسألة التخليق البيولوجي للفيروس، كان بمثابة رد فعل على تلك الاتهامات التي وجهت إلى الجماعات العلمائية، بأن مواقفهم المتمثلة في رفض إغلاق العتبات والمدن الدينية، سبب رئيس في انتشار الفيروس، بل اعتبرت بعض القوى الدينية، أن هدف قوى "الاستكبار العالمي" تهديم مدينة قُم باعتبارها عاصمة الثورة الإسلامية ومركزها، وهي المرجع والملاذ الروحي والديني لأتباع الخط المعادي للاستكبار العالمي، وهي الداعم الأسس للمقاومة الإسلامية"[2]. هذا الخطاب كان له صدى واسع في بداية انتشار الوباء، وزاد من عملية الاستهانة به من قبل المجتمع الإيراني، إلا أن غلق المدن الدينية والاضرحة المقدسة فيما بعد، جعل المجتمع الإيراني يثير الشكوك في اقوال وتصريحات المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ولاسيما المؤسسة الدينية، التي استهانة بالوباء، ورفضت غلق المدن الدينية والاضرحة. ففي دراسة نشرها معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى يرى فيها الباحث "مهدي خلجي" بأن: "من المرجح أن تشكّل مقاومة رجال الدين الواضحة لمهام الدولة في مكافحة الفيروس نهاية ثقة الشعب برجال الدين إلى الأبد، والشك في قدرتهم على العمل كرجال سلطة عقلانيين في المجال السياسي أو الاجتماعي"[3]. وهذا من شأنه أن يراكم من حجم التحديات التي سيواجهها النظام الإيراني في المستقبل القريب؛ جراء تعامله أو تعاطيه مع أزمة كوفيد –19 في ظل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة، فضلاً عن العلاقة مع المحيط الإقليمي والولايات المتحدة الأمريكية وسياسة العقوبات.

المحور الثالث: تداعيات ما بعد أزمة كوفيد–19 على النموذج الإيراني

هناك من يعتقد بأن: "فيروس كورونا وصل إلى إيران في واحدة من أسوأ الفترات التي مرّت على الجمهورية الإسلامية منذ تأسيسها قبل أربعة عقود، وأن النظام الإيراني تلقى ضربات قوية لشرعيته الأيديولوجية، وشعبيته الثورية، وكفاءته العملية، وبنيته الاقتصادية، وسياسته الخارجية الإسلامية، وتطلعاته للهيمنة الإقليمية"[4]، لكن على الرغم من كل هذه التحديات والتأثيرات، إلا أن هناك من يرى، بإمكان طهران أن تتحمل بسهولة الظروف الصعبة لسنوات عديدة أخرى، وإن كان ذلك ربما ليس من دون تغيير طبيعتها بشكل كبير؛ لأن تفشي الوباء، ساعد في تمكين الحرس الثوري أكثر من أي مؤسسة أخرى؛ وذلك بعد أن علّق النظام القانون الوطني وأعلن حالة الطوارئ إلى أجل غير مسمى، إذ مُني الحرس الثوري بسيطرة غير مسبوقة على البلاد،

([1]). محمد محمود ابو القاسم، مصدر سبق ذكره، ص15.

([2]). محمد السيد الصياد، الحوزة و «كورونا» سلوك النُّخَب الدينية الإيرانية مع الأزمة، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2020، ص4.

([3]). مهدي خلجي، الوباء قد يغيّر النموذج القائم على المرشد الأعلى في إيران إلى الأبد، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 17 نيسان/أبريل 2020، موقع المعهد، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/LbTh

([4]). نفس المصدر.

بعد أن قررت الحكومة أن تصبح أكثر صرامة بشأن فرض الحجر الصحي، والابتعاد الاجتماعي، وما شابه ذلك من تدابير".

إن تفشي وباء كوفيد -19 أو أي وباء مشابه في بلد يحكمه نظام مضطرب، سيؤدي ذلك بنتيجة إيجابية لهذا النظام، بسبب خوف الناس، وتعليق آمالهم بالحكومة أيا كانت لإنقاذهم. وأنه في مثل هذه الظروف، لا يتسع المجال للحديث عن الحقوق والمطالب السياسية، وغيرها، وهذا ربما ساعد او يساعد في تمكين النظام الإيراني خلال الأزمة. كما هو الحال في العراق، فأن تفشي الوباء أثر كثيراً على حركة الاحتجاجات التي انطلقت في تشرين العام الماضي؛ لهذا فربما يكون تفشي الوباء عامل مساعد للسلطة والنظام، حتى وأن كانت مسألة وقت. فقد ساعد تفشي الوباء أيضا في تطبيع الدور الاستبدادي الذي يمارسه النظام في عالم الإنترنت، إذ يمكنه الآن تغيير وظيفة الأسلحة نفسها التي يستخدمها منذ فترة طويلة للتحكم في خدمة الإنترنت، ومراقبة النشاط السيبراني، وفرض رقابة على المعارضة، لاستخدامها كأدوات أساسية لتعقب المرض وحماية الصحة العامة. فضلاً عن ذلك، فقد اعطى الوباء فرصة للمؤسسات الموازية للمؤسسات الحكومية، فقد توسّع النظام الصحي والبنية التحتية الطبية التي يديرها الحرس الثوري والجماعات التابعة له توسعا هائلا، ويعمل كل منهما حاليا بصورة أو بأخرى بشكل مستقل عن نظام الرعاية الصحية الوطني. فهناك من يرى بأن ليس من الحكمة منح الحرس الثوري دوراً أكبر في الأزمة. ففي 13 نيسان/أبريل، بعث وزير الصحة، سعيد نمكي، رسالة إلى الرئيس حسن روحاني، حذر فيها من العواقب الوخيمة لهذه المقاربة، وكتب نمكي مستخدماً إحدى المواصفات التي منحها خامنئي للحرس وقوات الباسيج، التي تم تفويضها مسبقا للتدخل في الأزمات المحلية غير المتوقعة: "أي قرار غير مصرح به تتخذه القوى المتأهبة... سيعرّض النظام الصحي واقتصاد البلاد إلى الخطر في النهاية"[1].

هذه الاجراءات بالمجمل سيكون لها تداعيات كبيرة وخطيرة، فضلاً عن تداعيات كوفيد -19 على المستوى (السياسي، الاقتصادي، الديني والاجتماعي) على النموذج الإيراني في المستقبل القريب أو البعيد، فالمواجهة السياسية بين الحكومة والاجهزة الموازية قد تكون لها تداعيات أخرى على النظام السياسي الإيراني وفلسفة الدولة الإيرانية، فهناك من يرى بأن: "الفشل الذريع بالامتثال للحس السليم والضمير الحيّ، قد يؤدي إلى تهيئة الظروف التي بدورها تؤدي إلى علمنة القيادات المستقبلية في البلاد"، ولاسيما أن "الهوة الآخذة في الاتساع بين السلطات الشيعية من جهة، والطبقة الوسطى العصرية للغاية والشباب المثقف في إيران من جهة أخرى، ستجعل الجهات الفاعلة في السلطة أقل اهتماما بالسعي للحصول على دعم أيديولوجي أو سياسي من رجال الدين في مرحلة ما بعد خامنئي". وبما أن دور رجال الدين آخذ في التضاؤل، فإن المجتمع المدني ليس في وضع يسمح له بالتقدم إلى الأمام؛ نتيجة لذلك، قد تكون إيران في خضم تغيير تطوّري، لمرحلة مابعد كوفيد -19 ومرحلة مابعد الخامنئي؛ لأن النموذج الإيراني ما قبل كوفيد -19 ربما لن يكون كسابقه، أو أن القديم، قد شكّل نظاما ثوريا إسلاميا، تم إدراجه بموجب مبدأ "ولاية الفقيه"، ولكن ذلك يمكن أن يفسح المجال أمام

(1). هذا ما سيتغيّر سياسيا في إيران بعد كورونا، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/J7yC

قيام نظام أمني وعسكري خاضع إلى حد كبير لسيطرة تحالف من الفصائل الرئيسية في الحرس الثوري من جهة، وحلفاء الحرس المحددين حديثا والمستفيدين منه وحلفائه من جهة أخرى. إذ يرى بعض المتخصصين أن هذه العملية، ستأخذ قفزة كبيرة إلى الأمام إذا أصبح الانتقال على مستوى المرشد الأعلى ضروريا على المدى القريب، ولاسيما أن المرشد هو في الثمانين من عمره؛ لذلك فإن احتمال وفاته أو عجزه عن تأدية مهام منصبه أمر وارد بقوة، حتى وأن بقي في السلطة لبعض الوقت، فقد يجد نفسه مهمشا في البيئة الجديدة[1] "بيئة ما بعد كوفيد –19. وهو ذات الرأي الذي ذهب إليه الباحث كريم سجّادبور، إذ يرى بأن: "الفيروس لن يعجّل بانهيار الجمهورية الإسلامية، بل من المرجح أن يسرّع في انتقالها من الحكم الديني إلى الحكم العسكري، ولا شك في أن الدور البارز جدًا للحرس الثوري الإيراني في مكافحة الفيروس كان مدفوعاً جزئياً بالرغبة في إصلاح صورته بعد أن أسقط عن طريق الخطأ طائرة ركاب أوكرانية بالقرب من طهران في كانون الثاني/ يناير 2020، واتهامه بقمع التظاهرات". كل تلك التنبؤات ستبقى رهن التكهنات البشرية، وأن إيران ما بعد خامنئي، قد تكون مختلفة بشكل كبير عن عصره، لكن من غير المرجح أن يقرر هذا الوباء بمفرده المصائر النهائية للفئات السياسية ومجموعات الشركات في الجمهورية الإسلامية؛ لأن ما فعله الوباء، وسيتواصل بلا شك بعض الوقت، هو زيادة تعقيد المشهد السياسي، الذي هو شديد التعقيد، أصلًا، ولا يمكن التنبؤ بمآلاته[2] في الوقت الحاضر أو المستقبل القريب، مالم يحدث أمراً ما في البيئتين الإقليمية والعالمية. بالإضافة إلى ذلك، ولربما قد يكون الانتقال الجديد على شاكلة الانتقال الإيراني بعد وفاة السيد الخميني في عام 1989، إلا أن كل المؤشرات والظروف الداخلية والمحيطة في إيران، تشير إلى أن الانتقال الجديد، لن يكون كالقديم، ولاسيما مع تراكم المشاكل والأزمات في النموذج الإيراني الحالي على كافة المستويات وعلى الصعيدين (الداخلي والخارجي).

المحور الرابع: تحليل الخطاب الإيراني في ظل تفشي فيروس كوفيد– 19 والتعايش معه

أجواء مختلفة شهدتها المدن الإيرانية عندما رفعت الحكومة آخر قيود الأعمال التجارية والنشاطات الثقافية والدينية في المحافظات والمدن البيضاء بحسب نسبة انتشار فيروس كورونا فيها، وجاء رفع القيود مشروطا بمراعاة البروتوكولات الصحية التي وضعتها وزارة الصحة، على الرغم من تفاوت نسب الالتزام بإجراءات الحظر التي اعلنتها السلطات الإيرانية قبل أن تفتحه في 21 من شهر حزيران الماضي. رفع الحظر والتعايش مع كوفيد –19 من الأمور التي أُجبرت عليها الحكومة الإيرانية؛ فمن جهة لا يمكن تعطيل العجلة الاقتصادية، ومن جهة اخرى يجب الاستمرار بمواجهة الوباء، ولاسيما مع ما تعيشه إيران من عقوبات اقتصادية خانقة وتهاوي في اسعار النفط، وانهيار في عملتها المحلية، فضلاً عن تفشي الوباء بشكل غير طبيعي في المدن الإيرانية، والحالة الاقتصادية المتدهورة التي يعيشها الشعب الإيراني؛ الأمر الذي جعل النظام السياسي الإيراني محل جدال وشك كبيرين.

([1]). المصدر نفسه.

([2]). مهران كامرافا، وباء كورونا المستجد في إيران: واقع القطاع الصحي واستجابة الحكومة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تحليل سياسات، 12أبريل/ نيسان 2020، قطر، ص9. للمزيد أنظر الرابط: https://0i.is/TqQD

ما يتحدث عنه المسؤولون في إيران هو الاستعداد لتعايش ربما يكون طويل الأمد مع كورونا، معوّلين على تجاوب المواطنين بالتعامل بذكاء مع هذا التعايش. والأخير سيكون مشفوعاً بتبريرات (سياسية ودينية) من المؤسستين في الدولة الإيرانية (الرسمية وغير الرسمية)، من أجل اقناع المواطن الإيراني بنظريات تتوافق مع تطلعات النظام السياسي الإيراني والمؤسسة الدينية الحاكمة في إيران من خلال تسويق الخطاب الإيراني إلى عامة الشعب والعالم الخارجي، بوسائل وآليات عادةً ما يعتمدها النظام السياسي والمؤسسة الدينية، وتسوّقها الماكنة الإعلامية للدولة الإيرانية إلى الرأي العام (الداخلي والخارجي) من خلال:

اولاً: الخطاب السياسي – الديني الإيراني

ثالثاً: آليات ووسائل الخطاب الإيراني

اولاً: الخطاب السياسي – الديني الإيراني

إن تداعيات الأزمات والأوبئة ذات البعد السياسي هي من أخطر الأزمات التي تعرّض الدولة إلى التفتيت والانهيار وتهدد بقائها وتعرضه للخطر؛ وذلك بسبب حساسية وضعها وشمولية تأثيرها والارتباط بالإبعاد المحلية والإقليمية والدولية، وتهيئ فجأة وتتأثر فيه المصالح الوطنية وتبرز جماعات المعارضة وتنشط الحركات والعناصر الانفعالية، كما تخلق نوعاً من عدم الاستقرار والتوازن السياسي بين القوى السياسية الوطنية، يؤدي إلى حالة من الاحتقان بين شرائح المجتمع يدفعها إلى الاحتجاجات والمظاهرات والعصيان المدني، واذا استمرت هذه الأزمة وتطورت أصبحت تولد أزمات مصاحبة يصعب مواجهتها وحلها، وتؤثر تأثيراً كبيراً في شرائح المجتمع، وقد تدفعهم إلى الشغب أو العصيان المدني، مما يهدد النظام أو مفاصل القرار السياسي فيه. ولعل ما يعيشه العالم اليوم نتيجة تفشي وباء كوفيد –19 على المستوى العالمي، دليل واضح على ذلك، فالكثير من دول العالم والمنطقة، ولاسيما بعض الانظمة السياسية الشرق اوسطية، اصبح يراودها الشك في مستقبل انظمتها السياسية، فيما لو استمر هذا الوباء لسنوات قادمة، إذ يواجه الكثير من قادة الدول في مختلف أنحاء العالم "وقتاً حرجاً" مماثلاً، في ظل تفشي وباء كورونا المستجد كوفيد –19، وتعد إيران من أكثر دول المنطقة تضرراً بهذا الوباء بالنسبة لأعداد الاصابات والوفيات، مقارنة بدول المنطقة، على الرغم من بنيتها التحتية ونظام الصحي المتطور "نوعاً ما" بالقياس إلى دول المنطقة. إذ تعتمد إيران في تعاملها مع الأزمات والأوبئة وغيرها من القضايا الطارئة على مجموعة محددات، منها ما هو سياسي، يتراوح ما بين التفاوض والتقاطع، والتعاطي بين الاثنين، ومنها ما هو عسكري، يتراوح بين القوة والتهديد بالقوة، والحرب بالوكالة وغيرها من المفردات العسكرية والأمنية، ومنها ما يتعلق بأمور اخرى كتلك الوسائل التي دائماً ما تحاول الإدارة الإيرانية تطبيقها في قضاياها الخارجية، سواء تلك الوسائل التي تتعلق بأدواتها الناعمة أو غيرها من الوسائل التي تتعلق بطبيعتها الثقافية والتاريخية، وهذه الوسائل ربما تشترك فيها إيران مع اغلب دول العالم، إلا أن هناك بعض القضايا التي تنفرد بها، تتعلق بطبيعة تعاطيها مع الأزمات والأوبئة والكوارث، وهذا التعامل نابع من طبيعة نظامها السياسي، إذ تمتلك إيران، حسب تعبير الباحث محمد الأمين، "نظامًا سياسيًا هجينًا –إن صحّ التعبير– يبتكر مفهوم "الديمقراطية الدينية" باعتباره نموذجًا فريدًا من نوعه، يصلح

أن يكون مصدرًا من مصادر القوة الناعمة الإيرانية لما يقدمه من جديد في هذا الموضوع، وكونه بديلاً عن النظم التقليدية المعروفة في العالم"[1]، وتعد إيران إنموجاً حياً في توظيف القوة الناعمة وعناصرها في إدارة الأزمة، وهذا ما شاهدناه ولاحظناه من خلال أزمة ملفها النووي مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية. إذ حاولت الإدارة الإيرانية بمؤسساتها السياسية والدينية مجتمعةً، أن توظف جميع تلك العناصر مع كل أزمة، ولاسيما تلك العناصر التي تقوم على الفرضيات الدينية والمذهبية. وهذا ما نلاحظه أيضاً في طريقة تعاطي الإدارة السياسية والمؤسسة الدينية الإيرانيتين مع أزمة كوفيد -19 على المستويين الرسمي وغير الرسمي. ودائماً ما يسعى النموذج الإيراني الحالي إلى أدلجة وتوظيف الأزمات، بما يتناسب مع طبيعة النظام وفلسفة الدولة الإيرانية؛ بالاعتماد على خطاب ديني – سياسي متوازنين، من أجل الحفاظ على بنية الدولة ومؤسساتها، وهو توظيف مترسخ في العقلية الإيرانية[2] "الفارسية" منذ قرون. ففي مقالة نشرها موقع مجلة فورين أفيرز جاء فيها: "في الوقت الذي أنتشر فيه فيروس كورونا المستجد في أنحاء إيران كان رد الحكومة غامضاً وقاصراً بشكل يثير الدهشة وأعطى الأولوية للمصالح الدينية والسياسية على سياسات المنع البراغماتية"[3]. وهذا ما تجلى فعلاً بالخطاب الإيراني (الرسمي وغير الرسمي).

فقد ذهبت النخبة الدينية والسياسية الحاكمة في إيران وعلى رأسها المرشد الأعلى السيد على الخامنئي في تصريح نقلته وكالة مهر للأنباء إلى إن: "كورونا فيروس، قد تمّ تخليقه بيولوجياً من قوى الاستكبار العالمي؛ وذلك من أجل استهداف إيران والثورة الإسلامية"[4]. هذا التصريح حملته بعض القنوات والمحطات الإعلامية على محمل الجد، باعتبارها فرضية غير قابلة للشك؛ لكونها صدرت من أعلى مؤسسة دينية في البلاد، وهي مؤسسة جامعة للأمور السياسية والروحية، على غرار المؤسسات الدينية التي حكمت اغلب الإمبراطوريات في العصور الوسطى، التي كان حكامها يستمدون مواقفهم وشرعيتهم من الله (سبحانه وتعالى). وبدأت تلك القنوات والمحطات الإعلامية بتسويق خطاب المرشد، إعلامياً وسياسياً بين اوساط النخب والمجتمع الإيراني، وبدأ تسويقه إقليمياً وعالمياً أيضاً. وعلى أثر ذلك، أمر رئيس السلطة القضائية في البلاد بتعزير قدرات إيران البيولوجية في 16 مارس 2020، وبدأت الأوساط الدينية والسياسية بتكرار فرضية المرشد، إذ اتهم آية الله خاتمي، الأمريكيون باختلاق هذا الفيروس، كذلك الحال بالنسبة لآية الله حيدري، الذي وضع نظريتين لتفشي الفيروس، الأولى طبيعية، والثانية بيولوجية، وقد رجح النظرية الثانية على الأولى؛ متهماً الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة ضرب الثورة الإسلامية، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه الكثير من الإيرانيين على

([1]). ميثاق مناحي العيسى وسعد محمد حسن، دور القوة الناعمة في إدارة الأزمة الدولية "الملف النووي الإيراني أنموذجاً، مجلة قضايا سياسية، العدد53، جامعة النهرين– بغداد، 2018،ص427.

أنظر أيضاً: بن عائشة محمد الأمين، القوة الناعمة الإيرانية و الدروس المستفادة من التجربة الإيرانية، المركز الديمقراطي العربي، شبكة معلومات دولية: http://democraticac.de/?p=17072

([2]). للمزيد عن التوظيف السياسي والديني في العقل الإيراني أنظر: وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين: العثمانية والصفوية– القاجارية، ط٤، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٥.

([3]). سعيد أحمد السعودي، الأمن الصحي في إيران وامكانية مواجهة فيروس كورونا (كوفيد 19، مجلة مدارات إيرانية، العدد8، برلين،2020،ص51.

([4]). للمزيد أنظر: ميثاق مناحي العيسى، أدلجة الأوبئة والأزمات في الفكر السياسي الإيراني بين واقع النظام ومزاعم المؤسسة الدينية، مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، 2020/7/13، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/B634

المستويين (الرسمي وغير الرسمي)[1]. وعلى الرغم من أن هذه الفرضيات تفتقد إلى أدلة عميقة وحقيقية، إلا أنها خلقت إدراكاً وقناعة تامة عند اغلب أو بعض طبقات المجتمع الإيراني، ولاسيما في ظل العقوبات الاقتصادية القاسية التي فرضتها الإدارة الأمريكية على طهران، والمخاوف من انهيار النظام السياسي أو تفشي حالة اللاستقرار في البلاد. ففي الوقت الذي أُتهمت فيه الصين من أغلب دول العالم عن مسؤوليتها في تفشي الوباء بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، نرى بأن الإيرانيون عمدوا إلى طريقة أخرى في توظيف أزمة تفشي الوباء، بطريقة تتناسب مع معطيات الفكر السياسي الإيراني والنظرية السياسية الحاكمة في إيران، والعقل السياسي الإيراني، وطبيعة الأزمة والتحديات الراهنة. وهذا ما يعزز كثيراً من شرعية النظام السياسي، ولاسيما وأن من الصعوبة بمكان التفريق بين الخطابين (السياسي والديني) في منظومة الحكم الإيرانية أو فلسفة الدولة الإيرانية.

إن استعمال بعض المفاهيم الدينية بدلالات سياسية من قبل المؤسسات الإيرانية (الرسمية وغير الرسمية) وخلطها بالواقع ومجريات الأمور العامة على الصعيدين (الداخلي والخارجي)، اصبحت فلسفة خاصة يتميز بها النظام السياسي الإيراني، وأن ادلجتها بمفاهيم عابرة للطائفيات والقوميات والحدود القومية، أصبح خطاب عام، لا يمكن فصله بأي شكل من الأشكال عن شكل الدولة وطبيعتها ونظامها السياسي. وهذا الخطاب كثيراً ما استحضرته القيادة الإيرانية مع تفشي وباء كوفيد –19. فقد استعمل رجال الدين مصطلحاتٍ دينية ومذهبية خالصة، لمخاطبة الجماهير إبان أزمة كورونا، باعتبارها ابتلاءً من الله، ومحنة ينبغي الصبر عليها، لتحويلها إلى منحة، وباعتبارها تارةً أُخرى، عاملاً من عوامل تهيئة الأرض لظهور المعصوم، وايذاناً بتأسيس الحكومة العالمية. وهذه المقاربة كثيراً ما تقترب من خطاب الرؤساء الإيرانيين المحافظين طيلة الأربعة عقود الماضية، فالرئيس الأسبق محمود أحمدي نجاد، كثيراً ما استخدم تلك المقاربة أبان فترة رئاسته، إذ يعتقد، ومن خلال إيمانه بنظرية ولاية الفقيه العامة المطلقة، التي طرحها السيد الخميني، وضّمنها في نظرية سياسية بعد عام 1979، أن الوظيفة الوحيدة للجمهورية الإيرانية هي التمهيد لإقامة الحكومة العالمية بقيادة الإمام المهدي المنتظر. ففي عام 2005 القى الرئيس احمدي نجاد خطاب امام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبعد عودته إلى إيران، روى الرئيس إلى المرجع آية الله جواد آملي، أن أحد الحاضرين هناك أخبره، بانه كان محاطاً بهالة نورانية طوال فترة إلقاء الخطاب. وخلال زيارته لمحافظة مشهد في السادس من أيار 2008، القى الرئيس خطاباً أيضاً أمام أساتذة الحوزة العلمية وطلبتها، قال فيه: "إن الإمام المهدي يدعم أداءه الرئاسي ويدير برامجه الحكومية"؛ مما عرضه إلى انتقادات واسعة من قبل التيار الإصلاحي والتيار المحافظ أيضاً، وقد تكللت تلك الخطابات بإصدار كتاب (أحمدي نجاد والثورة العالمية المقبلة) لصاحبه شادي الفقيه[2]. فضلاً عن ذلك، فقد استقبلت إيران ثورات الربيع العربي في بداية انطلاقها بترحيب كبير، معتبرها توسعه إلى عدة بلدان من الوطن العربي إيذاناً بمرحلة جديدة من تاريخ العالم، وتحقيقاً لموعود مؤسسة نظام الجمهورية الإيرانية الإسلامية آية

(1). محمد السيد الصياد، الحوزة و «كورونا» سلوك النُّخَب الدينية الإيرانية مع الأزمة، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2020، ص4.

(2). رشيد يلوح، المهدوية في إيران المعاصرة: أحمدي نجاد والغمام الغائب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة، الدوحة، ٢٠١١، ص11.

الله الخميني، بانتصار الثورة على اعدائها وقيام حكومة الإمام المهدي العالمية. ووفقاً لهذا الاعتقاد اوضح حجة الإسلام الشيخ مصطفى باقري إمام جمعة بناب أنذاك إن: "الثورة التونسية هي من بركات الثورة الإسلامية الإيرانية، واضاف أنها تحقق لموعود الإمام الراحل السيد الخميني، مشيراً إلى أن هذا التحول التاريخي من مقدمات ظهور الإمام المهدي". ونظر إمام جمعة قم السيد محمد سعيدي والمسؤول الحالي عن حرم السيد معصومة إلى ثورات الربيع العربي أنذاك وقال: "نظراً لأفتقار الشعبين التونسي والمصري إلى مرشد مقتدر مثل مرشد الثورة العظيم، فيجب عليهم إطاعة (خامنئي)؛ لأنه مرشد كل مسلمي العالم". وبذات السياق عبر رئيس منظمة "البسيج المستضعفين" القائد محمد رضا نقدي عن هذه الرؤية بوضوح أكثر عندما صرح قائلاً: "التحولات التي تعرفها المنطقة فرصة ذهبية لتحرير البشرية من سلطة الطاغوت، وهذا الأمر يجعل واجبا ثقيلاً جداً، لكن إذا استطعنا الاستفادة من الإمكانيات العظيمة التي تمتلكها قوات البسيج فسنتمكن من فتح العالم". وقد تجلت تلك الاطروحة في خطاب الرئيس الاسبق احمدي نجاد أيضاً وفي كل المناسبات، إذ بشر الرئيس بقرب خروج الإمام الغائب، مفسراً ما تعرفه الساحة الإقليمية والدولية من تحولات بإرهاصات هذا الحدث العظيم الذي ستكون إيران محوره وأداته الأساسية[1].

هذا الخطاب أو ما نسميه خطاب الأزمات، دائماً ما يمثل الدعامة الأساسية للنظام السياسي الإيراني من خلال التسويق السياسي والديني له؛ لذلك نرى بأن طريقة التعاطي مع أزمة كوفيد –19 من قبل المؤسستين (السياسية والدينية) في إيران، كانت تمثل الدرع الحصين للنظام السياسي، ولاسيما في ظل تفشي الوباء والمخاوف من انهيار النظام السياسي؛ وتراكم عواقب ونتائج العقوبات الأمريكية، وركود الاقتصاد العالمي، واغلاق الحدود وتوقف السياحة، وانخفاض اسعار النفط... وغيرها من العوامل.

بشكل عام هذا الخطاب الذي يتميز به الفكر السياسي الإيراني، عادة ما يكون حاضراً في كل أزمة يتعرض لها النظام السياسي الإيراني، فمع كل أزمة يبادر الإيرانيون إلى تصدير خطابهم الديني، واستمالة شعور الناس، بخطاب ثيوقراطي، يتشابه كثيراً مع خطاب الكنيسة أبان العصور الوسطى، إلا أن النموذج الإيراني قائم على استحضار فرضية المهدي المنتظر او المنقذ المخلص للبشرية؛ لذلك الكثير من النخب الدينية الإيرانية، اعتبرت أن أزمة كورونا، هي تمهيد لظهور المعصوم، وهناك بعض رجال الدين الولائيين أخذوا بالحديث عن علاقة المهدي بجائحة كورونا، باعتبارها مؤشر من مؤشرات أو علامة من علامات قرب ظهوره، ولاسيما في ظل تصاعد فرضية أو فرضيات انهيار النظام الدولي والنموذج الغربي، واحلال نموذج الإسلام الإيراني. فقد وجّهت النخب الدينية الإيرانية خطابها إلى الداخل الإيراني، خاصة التكتلات المذهبية والولائية، مفادها، "أن لحظة كورونا هي اللحظة المناسبة لصعود النموذج الفلسفي الإيراني عالمياً، كبديل للنموذج الغربي، الذي اخفق وفقاً لرؤيتهم"[2]. فالرؤية الدينية للنظام السياسي الإيراني، اخذت تستغل أزمة كوفيد–19 وتروّج لنهاية مستقبل النظام الليبرالي أو الفلسفة الليبرالية، ويرى بعضهم بأن الفيروس أفشل مخططات الغرب

([1]). نفس المصدر، ص17.

([2]). محمد السيد الصياد، مصدر سبق ذكره، ص7.

لتعميم العولمة، وتدمير كيان الأسرة[1]. هذا الخطاب أصبح جزء من فلسفة الدولة الإيرانية في تثبيت ركائز نفوذها في المنطقة، ولاسيما في الدول ذات الغالبية الشيعية، بذرائع وحجج ايديولوجية تستملي العقل الشيعي من خلال طريقة الخطاب المشتركة بين المؤسستين (الدينية والسياسية). وإن ما أكده العميد إسماعيل قآني، قبل أن يخلف سليماني بقوله: "أن التدخّلات الإيرانية في كربلاء والنجف، إضافةً إلى سوريا ولبنان ليست سوى تدخلات براغماتية، هدفها هو إقامة حكومة إمام الزمان التي ستحكم العالم أجمع"[2]، دليل واضح على الأدلجة والتوظيف التي يتبعها النظام الإيراني بشكل عام في اغلب خطاباته. بهذا التوظيف، اعتبرت النخبة الدينية الإيرانية أن أزمة كورونا، هي تمهيد لظهور المعصوم، من خلال استنتاجها بعلاقة المهدي بجائحة كورونا، باعتبارها أولاً، مؤشر من مؤشرات قُرب ظهوره، وثانيًا على ضرورة وجوده في ظل انهيار النموذج الغربي. وقد باتت المسألة المهدوية ومفاهيم الاستكبار العالمي والشيطان الأكبر واليوم الموعود...وغيرها، أداةً من أدوات الصراع والتوظيف السياسي، وتستحضر كثيرًا في الأزمات، كنوع من أنواع اللجوء إلى الأيديولوجيا، والتأثير على الجماهير، وتعزيز الشرعية، والمزايدات المذهبية. هذا الحُلم في التحكم بالعالم، وتأسيس حكومة عالمية، وتشريب الإيرانيين لذلك المعنى، والتركيز عليه حتى بات هاجساً لدى النخب الدينية وصُنّاع القرار السياسيين والعسكريين، بغض النظر عن مدى أخلاقيته، فإنه سبب من أسباب بقاء النظام الراهن منذ الثورة وحتى اليوم، رغم كل العقوبات الاقتصادية التي فُرِضت عليه؛ وعن أهمية هذا التخليق للحلم حتى مع عدم واقعيته السياسية أو عدم أخلاقيته. وبغض النظر عن نوايا رجال الدين من تضخيم النموذج القومي على حساب النموذج الغربي، كأن تكون موجهة لتعزيز شرعية النظام المذهبية، أو أن تلك القراءة هي غاية إدراك الولائيين للمشهد الفلسفي الغربي، بغض النظر عن ذلك، فإن تلك الأزمة بمفردها لا يمكن الاستلال بها على أحقية نموذج وصلاحيته على نموذج آخر[3].

لم يفُت النظام الإيراني توظيف تفشيّ فيروس كورونا، لأجل بسط سيطرته على الأوضاع الداخلية، والعمل على تحقيق تضامن شعبي، فضلاً عن إحالة الأزمة إلى دور قوى خارجية ووجود مؤامرة وراء تفشي الفيروس، بل ذهب المرشد إلى اتهام الولايات المتحدة بإنتاج فيروسٍ خصيصاً لإيران؛ لهذا خرج البعض وطالب بضرورة تنحية الخلافات السياسية جانبًا، والتأكيد على ضرورة التحلي بروح التعاون وتجنّب النقد والمعارضة لمواجهة هذا التحدي، وقد عبر عن ذلك النائب الأول لرئيس الجمهورية إسحاق جهانغري بقوله: إنّ «الظرف الحالي يستلزم التضامن الاجتماعي والتفاهم الوطني بشكلٍ أكبر"[4].

ثانياً: مصادر خطاب النموذج الإيراني

تمتلك إيران العديد من المصادر المؤثرة على كافة المستويات (السياسية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية...وغيرها من المصادر) في التعاطي مع أزمة كوفيد -19، وقد تعاطت معها وفقاً لبعض

(1). الشيخ محمد ملك زاده ، المجتمع الانساني بات يتفهم ضعف الحضارة الغربية، في حوار مع رسا، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/w6lL

(2). المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2018، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/1rJd

(3). محمد السيد الصياد، مصدر سبق ذكره، ص11.

(4). محمد محمود ابو القاسم، مصدر سبق ذكره، ص10.

الاستراتيجيات[1]، إلا أن هذه الاستراتيجيات، اعتمدت في خطابها على النموذج الإيراني أو ما نسميه اليوم بالقوة الناعمة، التي تمّكنها من تحقيق بعض سياساتها في المنطقة والعالم، إذ تحاول إيران الخروج إلى محيطها الإقليمي والدولي بأدوات متعددة، ولاسيما تلك المتعلقة بالثقافة والفن والقيم السياسية. ومن أبرز تلك الأدوات أو المصادر هي[2]:

1. الثقافة والقيم الإيرانية، بكافة تفرعاتها ومستوياتها، إذ تعد مصدرًا مهمًا من مصادر توليد القوة الناعمة.
2. اللغة والثقافة الإيرانية الفارسية: وهي عنصر أساس في جذب الأمم الأخرى على اعتبار أنها دخلت في تركيب العديد من اللغات الأخرى السائدة في عالمنا المعاصر.
3. البعد الحضاري، يمثل البعد الحضاري للجمهورية الإسلامية مصدراً مهماً من مصارها الناعمة أيضاً.
4. السياحة بإشكالها المختلفة (الدينية والترفيهة)، والمواقع الاثرية، ولاسيما مع القيمة المنخفضة لعملة إيران النقدية أمام العملات الاجنبية.
5. الفن والمناسبات الثقافية: للفن دوراً هاماً في مواجهة الحرب الناعمة ضمن إطار بيان الحقائق بشكل عاطفي وتلقائي وبقالب جذاب[3]. وهذا ما شاهدناه في اغلب الاعمال الفنية للدراما الإيرانية، التي عادة ما تترجم إلى اللغة العربية.
6. البعد الأيديولوجي، وطبيعة التوليفة الايديولوجية بين المؤسسة الدينية والسياسية، وطبيعة تصديرها وتسويقها إلى الآخر.
7. الخطاب الثوري المعادي لأميركا وإسرائيل، وتبنيها للقضية الفلسطينية، التي تجاوزت من خلالها "إيران" حدود التصدع الديني والمذهبي.
8. التشيع السياسي، يعد من أكبر وأبرز قوة إيران الناعمة في المنطق، ولاسيما بعد عام 2003 والتغيير السياسي الذي اطاح بالنظام السياسي العراقي السابق. إذ يُستخدم "التشيع في إطار علاقات إيران الخارجية على نطاق واسع وهو عنصر مهم لتوليد القوة الناعمة الإيرانية على مستوى الحاضنة الشيعية الموالية للولي الفقيه في الحد الأدنى بما يخدم المشروع الإيران في المنطقة.

المحور الخامس: مستقبل النموذج الإيراني في ظل الظروف الراهنة

إن التوظيف السياسي والديني الذي يتميز فيه الخطاب الإيراني، ربما يكون فيه الكثير من الإيجابيات في الوقت الحالي، فضلاً عن السلبيات، وتكمن إيجابياته في الحفاظ على بنية الدولة الإيرانية ونظامها السياسي وتماسكها الاجتماعي في ظل الازمات والتحديات الراهنة؛ ولاسيما الازمات الخارجية، إلا أن هذا التوظيف ربما يكون له ارتدادات داخلية وخارجية في المستقبل القريب او البعيد، وقد يُضعف من عقيدة الإمام المهدي المنتظر في الخطاب الإيراني والفكر السياسي الشيعي بشكل عام، ويزيد من حالة السخط الشعبي أو المذهبي

---

(1). عن إستراتيجيات التعاطي مع أزمة كورونا في إيران أنظر: محمد محمد عبد ربه المغير، استمرار حصار إيران في ظل جائحة كورونا تهديد لعدالة الشرعية الدولية، مجلة مدارات إيرانية، العدد 8، المركز الديمقراطي العربي، برلين، يونيو 2020، ص38.

(2). للمزيد انظر: ميثاق مناحي العيسى وسعد محمد حسن، مصدر سبق ذكره، ص423.

(3). محمد حمدان، الحرب الناعمة، مركز الاتحاد للأبحاث الإعلامية، ط1، دار الولاء، 2010، بيروت، ص 78.

ضد النظام السياسي، لكن بالمجمل "وعلى ما يبدو" بأن هذا التوظيف ناجحاً لحد الآن، وهذا النجاح ربما تتوفر له حتى الآن عناصر أخرى "عناصر مغطاة" أو عناصر ضمنية، ربما قد تتلاشى تدريجياً، أو قد تتأكل شرعيتها مع كثرة الأزمات وتعدد أطرافها (الداخلية، الإقليمية، الدولية)، وضعف التماسك الاجتماعي، لاسيما في ظل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع الإيراني اليوم، والتحديات الإقليمية، وتمدد إيران السياسي والعسكري في بعض دول المنطقة. فضلاً عن ذلك، فأن مزاعم السلطة الدينية "انفة الذكر" لم تخفي بعض عيوب النظام السياسي الإيراني وضعف تماسكه الداخلي وتمدده الإقليمي وتطلعاته الخارجية، التي تتكشف مع كل أزمة، لكنها قد تكون منضبطة وتحت السيطرة، بقوة المؤسسة الأمنية والعسكرية، والتحالف بين المؤسستين (السياسية والدينية). إذ لا يبدو أنَّ سياسة الحكومة في التعاطي مع تفشي وباء كورونا، سوف تُسهم في محاصرته في المستقبل القريب، بل إن استئناف الأنشطة الاقتصادية محدودة المخاطر، سوف يؤدي إلى استمرار انتشار الفيروس، ولا سيما أن تلك الإجراءات كانت لضرورات اقتصادية ولمواجهة حالة ركود محتملة؛ بسبب حالة الإغلاق التي تشهدها إيران، لكن هذه السياسة نفسها التي لا تُعطي أولوية لمواجهة انتشار الفيروس، ربما هي التي ستقود إلى حالة الركود التي يخشاها النظام، إذا ما خرج انتشار الفيروس عن السيطرة. فالنظام يجد نفسه بعد كورونا في الزاوية، فالعقوبات الأمريكية مستمرة ولا مجال لتعليقها، وعدم اللجوء إلى إغلاق كامل وفرض حجر صحي واسع النطاق، يعني ترك الناس نهباً للفيروس، ومع زيادة انتشار كورونا في إيران، من المرجح أن تتفاقم شرعية النظام ويتزايد الغضب الشعبي، وهذا الغضب، ربما يكون مدفوعاً، بدوافع وجذوره سياسية واقتصادية واجتماعية. وفي حالة الحجر والإغلاق الكامل فمرجح الدخول في مرحلة ركود اقتصادي وتضخم واسع النطاق وإفلاس البلاد، وهذا حتماً سيقود إلى حالة غضب شعبي واسع النطاق واحتجاجات على غرار احتجاجات 2019 أو على غرار الاحتجاجات الحالية التي تجتاح بعض المدن الإيرانية؛ نتيجة الوضع الاقتصادي والمعاشي الذي وصل له المواطن الإيراني، وأن الخروج من هذا المأزق، قد يكون إما من خلال انكشاف أزمة كورونا عالمياً، وهذا بأي حالٍ لا يعني أن الأزمة بالنسبة لإيران انتهت، أو إعادة طهران النظر في تشددها من مسألة المفاوضات مع الولايات المتحدة، أو قد تتجه إيران لاتباع سياسة المقاومة وتحمّل تبعات الأزمة وتفاقمها لفترة محدودة في حالة عدم وجود تهديد داخلي لشرعية النظام، وهذا هو على الأغلب السيناريو المحتمل، وذلك حتى نوفمبر المقبل على أقل تقدير انتظارًا لنتائج الانتخابات الأمريكية.

كما أن استمرار الرهان على التوظيف السياسيّ لـ كوفيد-19 ليكون بمثابة ذريعة لتعليق العقوبات وتخفيف حدة الضغوط، مسألة غير مضمونة بأي حال من الأحوال، فعلى الرغم من استغلال إيران لتداعيات كورونا ومحاولة الضغط على الولايات المتحدة لسحب قواتها من العراق، فإن رد الفعل الأمريكي الحاسم، وإعادة تموضع القوات ونقل السفارة إلى مقر قاعدة عن الأسد أو تحصينها ببطاريات صواريخ باتريوت، بعث برسالة

قوية إلى إيران، الأمر الذي في الأغلب يدفعها نحو إعادة النظر في استغلال ظرف كورونا للضغط على الولايات المتحدة وحلفائها عبر التصعيد العسكري[1].

إن لجوء النخب الدينية والسياسية الإيرانية إلى أدلجة الأزمات ومحاولتها لتعظيم مكاسِبها الأيديولوجية والسياسية سواء لأزمة وباء كوفيد-19 او أزمة التظاهرات الإيرانية او غيرها من الأزمات، وغض النظر عن المشاكل الداخلية والإقليمية والدولية، من خلال ترويج نظرية المؤامرة ضدَّ إيران، واستهداف الثورة الإسلامية، والنموذج الإيراني، قد تكون محاولات مكشوفة ومستهلكة كثيراً، ولاسيما في ظل المصاعب الاقتصادية الحالية التي يعيشها المواطن الإيراني، والانهيار الكبير في عملته المحلية أمام الدولار الأمريكي. فهذا الخطاب، ربما يعطي للكثيرين مؤشرات سلبية اتجاه النظام السياسي الإيراني، وربما يحمل مشاعر اخفاق للنموذج الإيراني، على عكس الفكرة التي يسوّقها الولائيون داخل النظام الإيراني، بأن أزمة كورونا توحي إلى حالات الاخفاق النموذج الفلسفي الغربي بموازاة النموذج الإيراني بفشله في مواجهة أزمة كورونا.

الخاتمة

في النهاية يمكننا القول، إن مستقبل النموذج الإيراني لا يمكن أن يكون مرهوناً بمعطيات ونتائج فيروس كوفيد-19 فقط، وإنما يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار جميع المعطيات والتداعيات التي سيخلفها الوباء على كافة المستويات، ولاسيما فيما يتعلق بمستقبل العقوبات الامريكية وطبيعة تعاطي الإدارة الإيرانية مع الولايات المتحدة الأمريكية، سواء فيما يتعلق بمستقبل العقوبات الأمريكية الحالية والعلاقة بين البلدين، وهذا ربما يتوقف كثيراً على الانتخابات الأمريكية القادمة ومستقبل ترامب واستمراره في البيت الابيض من عدمه، وموقف الحزب الديمقراطي والإدارة الجديدة، إذا ما غادر ترامب كرسي الرئاسة، أو فيما يتعلق بطبيعة الوجود الأمريكي في المنطقة، ولاسيما في العراق، وموقف إيران وحلفائها في المنطقة والعراق من ذلك الوجود، فربما تصمد إيران بوجه الوباء والتحديات الأخرى، وتنتظر نتائج الانتخابات الأمريكية القادمة، ومستقبل الرئيس الحالي دونالد ترامب، لتحديد خياراتها التفاوضية والسياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية، أو قد تقاوم سياسة العقوبات المفروضة عليها بطريقة او بأخرى، أو قد تنجر رغماً عنها في الجلوس على طاولة المفاوضات مع الولايات المتحدة، ولاسيما اذا ما حدث أمراً ما يهدد نظامها السياسي الحالي أو نموذجها (السياسي والفلسفي)، سواء من خلال تفشي الوباء أو من خلال تصاعد الحراك الشعبي الساخط على النظام وسياساته الداخلية والخارجية.

مع كل ذلك، وبغض النظر عن كل السيناريوهات، أن سياسة التوظيف وادلجة الأزمات، اصبحت سياسة مكشوفة في الخطاب الإيراني (داخلياً وخارجياً)، ولا يمكن التعويل عليها في حماية النظام السياسي والنموذج الإيراني بشكل عام، ولاسيما في ظل المشاكل والتحديات السياسية الراهنة التي تطّوق النظام السياسي الإيراني، وتزيد من مشاكله وتحدياته الداخلية والإقليمية والدولية، فضلاً عن ذلك، فأن فكرة توظيف التاريخ والايديولوجيات الدينية والاساطير في حماية الانظمة السياسية، ربما تكون فكرة مستهلكة أو استهلكت على مدار العقود الماضية، ولاسيما مع حالات السخط الشعبي والجماهيري من الانظمة السياسية، والمشاكل التي

---

(1). محمد محمود ابو القاسم، مصدر سبق ذكره، صص16-18.

تسببها لهم على الصعيد (الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي)، وما له من تداعيات أخرى، على الرغم من نجاحها لحد الآن، بالإضافة إلى ذلك، إن استحضار فكرة الإمام المهدي في الخطاب الإيراني، ربما تعود بنتائج عكسية على النموذج الإيراني، وقد يضعفها بشكل كبير أمام الرأي العام.

المراجع والمصادر

المراجع

1. احمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد،ط1، بيروت،1998.
2. آية الله الخميني، الحكومة الإسلامية، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٧٩.
3. محمد محمد عبد ربه المغير، استمرار حصار إيران في ظل جائحة كورونا تهديد لعدالة الشرعية الدولية، مجلة مدارات إيرانية، العدد 8، المركز الديمقراطي العربي، برلين، يونيو 2020.
4. وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين: العثمانية والصفوية– القاجارية، ط٤، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٥.

المصادر

أولاً– الكتب:

1. محمد حمدان، الحرب الناعمة، مركز الاتحاد للأبحاث الإعلامية، ط1، دار الولاء، 2010، بيروت.

ثانياً– المجلات والدوريات:

2. أحسن خديم الله، تطور نظرية ولاية الفقيه في الفكر السياسي الشيعي، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، العدد٦، جامعة جيجل، قسم العلوم السياسية، الجزائر،٢٠١٨.
3. ميثاق مناحي العيسى وسعد محمد حسن، دور القوة الناعمة في إدارة الأزمة الدولية "الملف النووي الإيراني أنموذجاً، مجلة قضايا دولية، العدد53، جامعة النهرين، 2018.

ثالثاً– التقارير

1. رشيد يلوح، المهدوية في إيران المعاصرة: أحمدي نجاد والغمام الغائب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة، الدوحة، ٢٠١١.
2. سعيد أحمد السعودي، الأمن الصحي في إيران وامكانية مواجهة فيروس كورونا (كوفيد 19، مجلة مدارات إيرانية، العدد8، برلين،2020.
3. محمد السيد الصياد، الحوزة و «كورونا» سلوك النُّخَب الدينية الإيرانية مع الأزمة، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2020.
4. محمد محمود ابو القاسم، إيران وإدارة أزمة «كورونا»: النتائج والمآلات، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، مجلة الدراسات الإيرانية، 16أبريل 2020.
5. مهران كامرافا، وباء كورونا المستجد في إيران: واقع القطاع الصحي واستجابة الحكومة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تحليل سياسات، 12أبريل/ نيسان 2020، قطر.

رابعاً– المواقع العالمية:

4. بن عائشة محمد الأمين، القوة الناعمة الإيرانية و الدروس المستفادة من التجربة الإيرانية، المركز الديمقراطي العربي، شبكة معلومات دولية: http://democraticac.de/?p=17072

5. بين العلم و"الجهل المقدس" . كورونا يضع إيران أمام مأزق عقائدي، موقع DW، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/8N5V
6. جوناثان ماركوس، فيروس كورونا: هل يصلح الوباء بين الولايات المتحدة وإيران؟، موقع BBC، 19 مارس/ آذار 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/fDbc
7. سيقلل من تمويلها للإرهاب".. تأثير كورونا على إيران أقسى من العقوبات، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/PTaW
8. شاهندة أديب، تحذيرات من تأثير أضرار كورونا الاقتصادية على الأسر الفقيرة في إيران، موقع إيران إنترناشونال، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/JNDF
9. الشيخ محمد ملك زاده ، المجتمع الانساني بات يتفهم ضعف الحضارة الغربية، في حوار مع رسا، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/w6lL
10. فيروس كورونا.. هل سنشهد تغييرا في السياسة الإيرانية؟، موقع الجزيرة، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/Dh37
11. مانياري سينغ، تأثير فيروس كورونا على العلاقات الدبلوماسية: إيران والصين والخليج والهند، معهد واشنطن لساسة الشرق الأدنى، 21 أيار/مايو 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/u4RG
12. ماهر لطيف، تصاعد التوتر بين طهران وواشنطن في ظل تفشي فيروس كورونا وتداعياته على الساحة العراقية، المركز الديمقراطي العربي20. مايو 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/2qjT
13. المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2018، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/1rJd
14. ميثاق مناحي العيسى، أدلجة الأوبئة والأزمات في الفكر السياسي الإيراني بين واقع النظام ومزاعم المؤسسة الدينية، مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، 2020/7/13، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/B634
15. مهدي خلجي، الوباء قد يغيّر النموذج القائم على المرشد الأعلى في إيران إلى الأبد، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 17 نيسان/أبريل 2020، موقع المعهد، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/LbTh
16. مهدي خلجي، فيروس كورونا في إيران (الجزء الأول): عوامل متعلقة برجال الدين، معهد واشنطن لساسة الشرق الأدنى، 9 آذار/مارس 2020، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/AKds
17. موقع الجزيرة، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/Dh37
18. هذا ما سيتغيّر سياسيا في إيران بعد كورونا، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/J7yC
19. هذه التفاصيل القاسية تركها فيروس كورونا على إيران، شبكة معلومات دولية: https://0i.is/5ouM

الأزمة الإيرانية –الأمريكية بعد انسحاب ترامب من الاتفاق النووي: الرؤية الإيرانية لأسباب الأزمة وسبل الحل

The US – Iranian crisis post Trump's withdrawal from the nuclear deal: Iranian view to reasons and solution paths

الباحث: "محمد كاظم هاشم"

مكان العمل: مدرس دكتور في كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى

Mohammed Kadhim Hashim

Workplace: University of Diyala College of Law and Political Sciences

moh_alseed86@yahoo.com

الملخص:

توضح هذه الدراسة وتحلل طبيعة الرؤية الإيرانية لأسباب الأزمة مع الولايات المتحدة الأمريكية عقب انسحاب الأخيرة من الاتفاق النووي، وإعادة ثم تشديد العقوبات الاقتصادية على إيران، فضلا عن إنها تبحث وتحلل طبيعة الرؤية الإيرانية للحلول التي يمكن أن تؤدي إلى أنهاء الأزمة، وخفض التوتر، وإعادة الأمن والاستقرار إلى المنطقة، بعد أن شهدت سلسلة من الأحداث الأمنية والسياسية وازدياد التحشيد العسكري وارتفاع مستوى التهديد فيها. ولبيان ما تقدم ذكره، وعرض الرؤية الإيرانية لأسباب الأزمة وسبل الحل، سنستعرض الموقف الإيراني من تلك الأزمة منذ اليوم الأول لانسحاب الرئيس الأمريكي ترامب من الاتفاق النووي في 8/أيار مايو عام 2018، وإعادة العقوبات المفروضة على إيران قبل الاتفاق النووي وإلى نهاية عام 2019، مبينين مواقف القادة الإيرانيين من العقوبات الأمريكية، وطريقة ردودهم على عروض التفاوض التي قدمتها القيادة الأمريكية، كما سنتعرض اهم الخطوات الإيرانية التي اتخذتها كنوع من الرد على إعادة الحظر الأمريكي وتشديده. تأسيسا على ما سبق، تتمثل أسئلة هذه الدراسة بالسؤالين الآتيين، أولا: ماهي القراءة أو الرؤية الإيرانية لأسباب انسحاب ترامب من الاتفاق النووي؟ وثانيا: ماهي الحلول التي تطرحها ايران لخفض التصعيد الذي حصل وعودة الاستقرار للمنطقة؟.

الكلمات المفتاحية: إيران، الولايات المتحدة الأمريكية، ترامب، الاتفاق النووي، أسباب الأزمة، سبل الحل.

Abstract

The study is indicated and analyzed the essence of Iranian vision of the causes of crisis with the United States of America after the latter withdrew from the nuclear agreement, therefore, re-tightening economic sanctions on Iran, as well as it is considered and analyzed the essence of Iranian vision of resolutions which can contribute to ending the crisis, reducing tension, and restoring security and stability to the region, following a series of security and political incidents, as well as increasing in military escalation and level of threats. In view of the foregoing, and in order to present the Iranian vision of the causes of crisis and the means of resolution, the study will be reviewed the Iranian position on that crisis since the first day of President Trump's withdrawal from the nuclear agreement on May 8, 2018, and the restoration of sanctions imposed on Iran before the nuclear agreement and to the end of 2019, stating that Iranian leaders' positions on American sanctions, and the manner in which they respond to American leadership's negotiating offers will be presented with the most important Iranian steps taken as a response to the restoration and tightening of the American embargo. Accordingly, the questions with this study is to ask two questions: First: What is the Iranian reading or perception of the reasons for Trump's withdrawal from the nuclear agreement? Second: What are Iran's resolutions for reducing Iran the escalation which occurred and returning stability to the region? .

Key Words: Iran, the United States of America, Trump, The Nuclear Agreement, The Causes of Crisis, The Means of Resolution.

المقدمة

منذ قيام الثورة وتأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران عام 1979، تحولت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران إلى علاقة عداء وتنازع بعد أن كانت قبل هذا التأريخ علاقة صداقة وتحالف. وتقلب هذا العداء بين التصعيد الشديد وهو الغالب وبين التهدئة، إلا إنه بقي يشكل الصفة المميزة للعلاقة بين الدولتين، وكان السبب الرئيس لغلبة هذا النوع من العلاقة هو الاختلاف الأيديولوجي الذي يقوم عليه النظام في الدولتين، الذي فرض استمرار العداء من أجل تغذية كل نظام سياسي بمدخلات، أما تساعد في تعزيز فرص استمراره وديمومته كما هو الأمر في الحالة الإيرانية أو على فوز رئيس أو تبني استراتيجية وسياسة معينة كما هو الأمر في الحالة الأمريكية.

إن هذا العداء بين الدولتين أخذ بالتصاعد بشكل ملحوظ، بعد أن استأنفت إيران في أواخر ثمانينيات القرن الماضي العمل بمشروع الحصول على التقنية النووية "للأغراض السلمية"، التي بدأت العمل به في عهد الشاه "محمد رضا بهلوي" في أواسط ستينيات القرن الماضي، فواجه استئناف العمل في هذا المشروع اعتراض شديد من الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين، كما واجه اعتراض من لدن عدد من الدول الإقليمية؛ لأن هذه الدول أخذت في الحسبان إن هذا المشروع سيمكن إيران من الحصول على التكنلوجيا النووية، ومن ثم إنه سيمكنها من انتتاج سلاح نووي.

وبعد جدل وتهديد ومفاوضات وقرارات أمميه، أعلنت إيران قبولها توقيع البروتكول الإضافي الصادر عام 1997 الذي يسمح بتفتيش منشأتها النووية، شرط اعتراف الاتحاد الأوربي بحق إيران في امتلاك التكنولوجيا النووية السلمية، إلا إن واشنطن أعلنت امتلاك إيران برنامجا نوويا سريا يخفي وراءه طموح الحصول على السلاح النووي، وبهذا استطاعت أن تحول القضية الإيرانية إلى مجلس الأمن في عام 2006، الذي بدوره فرض عقوبات اقتصاديةً وتجاريةً على إيران، ومنع أي دولة من تسليم أو بيع معدات أو تجهيزات أو تكنلوجيا نووية لإيران. وبعد مفاوضات طويلة بين إيران والدولة الكبرى، تمخضت تلك المفاوضات عن توقيع اتفاق في 2015/7/14 في "فينا" النمساوية تحت عنوان "خطة العمل الشاملة المشتركة"، ومع صدور قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (2231) الداعم لهذا الاتفاق، أصبحت الأطراف جميعا ملزمة بالتعهدات المدرجة فيه. إلا إنه بعد تولي الرئيس "ترامب" رئاسة البيت الأبيض، وبما ينسجم مع تعهداتٍ سابقةٍ طرحها في برنامجه الانتخابي، اتخذ قراراً بالخروج من الاتفاق النووي، وأعلن عن تطبيق اشد العقوبات على إيران، داعيا إياها إلى إعادة التفاوض من اجل التوقيع على اتفاق جديد يمنع إيران – مطلقا – من الحصول على أسلحة نووية، مع ضرورة شمول الاتفاق الحد من برنامجها الصاروخي ودورها الإقليمي. وتزامننا مع انسحاب الولايات المتحدة من هذا الاتفاق دخلت المنطقة في توتر جديد، وكاد شبح الحرب يلوح في الأفق. وبناءً على ما تقدم كله، سنحاول في هذه المقالة تبيان وتحليل الأسباب التي أدت إلى انسحاب ترامب من الاتفاق النووي وفقا للرؤية الإيرانية، مع توضيح الطريقة الإيرانية التي ترى فيها سبيلا للخروج من هذه الأزمة.

إشكالية الدراسة:

تأسيسا على ما سبق، ولعدم وضوح الرؤية والموقف الإيرانيين في العالم العربي من أزمة انسحاب ترامب من الاتفاق النووي، ولعدم وجود دراسات تعتمد تحليل الرؤية الإيرانية من الداخل، وبالاعتماد على المصادر الفارسية. ولتوضح العوامل التي تتحكم في هذه الأزمة وسبل الخروج منها وفقا للرؤية الإيرانية ظهرت الحاجة إلى القيام بهذه الدراسة.

أسئلة الدراسة:

وتتمثل بطرح السؤالين الآتيين: 1-ماهي القراءة أو الرؤية الإيرانية لأسباب انسحاب ترامب رئيس الولايات المتحدة من الاتفاق النووي؟ 2-ماهي حلول إيران للخروج من الأزمة ولخفض التصعيد الذي حصل بعد ذلك لعودة الاستقرار للمنطقة؟

فرضية الدراسة:

وضعت الدراسة فرضية مفادها إن أسباب انسحاب الرئيس الأمريكي ترامب من الاتفاق النووي – من وجهة النظر الإيرانية – تتخطى بنود هذا الاتفاق، وهي تحمل في طياتها أولا: أسباب أيديولوجية تهدف إلى إضعاف ثم تغيير النظام السياسي في إيران، ثانيا: أسباب شخصية داخلية ترتبط بالصراع الشخصي بين "ترامب" وسابقه "أوباما"، وهو استمرار للصراع بين الحزبين الرئيسين في أمريكا، كما أن الرؤية الإيرانية للحل تتضمن عودة الولايات المتحدة إلى التزاماتها السابقة في الاتفاق النووي كمقدمة لأي حوار مستقبلي بين الدولتين.

منهجية الدراسة:

لجمع البيانات وتحليلها ومحاولة الوصول إلى النتائج المطلوبة، أعتمد في هذه الدراسة على نظرية تحليل الخطاب "لاكلائو وموف" ونظرية توازن التهديد "استيفان ولت" "Stephen M. Walt".

هيكلية الدراسة:

تتكون الدراسة من مطلبين: المطلب الأول: الرؤية الإيرانية لأسباب الأزمة مع أمريكا. والمطلب الثاني: الرؤية الإيرانية لسبل الخروج من الأزمة.

المطلب الأول: الرؤية الإيرانية لأسباب الأزمة مع أمريكا.

اتخذ "دونالد ترامب" في الثامن من أيار مايو عام 2018 قراراً بالخروج من الاتفاق النووي مع إيران، معلنا أن أسباب هذا الخروج هي: أولا، إن إيران تشكل عاملاً مزعزعاً للاستقرار في الشرق الأوسط، ثانياً، إن الاتفاق لم يمنع إيران من امتلاك سلاح نووي. ثم فصَّل ترامب تلك الأسباب في خطاب آخر حين ترأس جلسة مجلس الأمن الدولي في 2018/9/26 قائلاً: إن النظام الإيراني يصدر العنف والإرهاب والفوضى، وإنه الراعي الأكبر للإرهاب، ويشعل فتيل الصراعات في المنطقة، وإنه يمتلك أدلةً على قيام إيران بتطوير صواريخ بالستية ونشر هذه الصواريخ في عدد من دول الشرق الأوسط. ثم أضاف: لهذه الأسباب انسحبت الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني، واصفًا ذلك الاتفاق "بالمروع والمتحيز" الذي مكن إيران من الاستمرار في مسارها لامتلاك قنبلة نووية، وأعطى النظام الإيراني خطاً مادياً للحياة، على الرغم من أن

الإيرانيين كانوا يعانون من معضلةٍ كبيرةٍ؛ نظراً لحاجتهم إلى الأموال. وإن إيران قد استغلت الاتفاق في دعم الإرهابيين وبناء صواريخ قادرة على حمل رؤوس نووية وشكلت فوضى في المنطقة وختم قوله: (إنه لا يجب السماح لهذا النظام الإيراني بأن يستحوذ على أسلحة نووية)[1].

جاءت قراءة ترامب هذه للسياسة الإيرانية، أثر تمكن إيران بعد توقيع الاتفاق النووي من كسب مزايا وفرص مناسبة، سمحت لها سواء بصورة إرادية أم غير إرادية، بتعزيز وزيادة نفوذها وقدرتها في المنطقة، فقد مثل رفع العقوبات الاقتصادية عنها والموافقة الرسمية على حضورها في أزمات المنطقة مِثل أزمة سوريا وداعش في العراق، سبباً في تعزيز موقعها وقوتها في المنطقة. إذ مثلت هذه المسألة تهديد صريح لمنافسي وأعداء إيران الإقليميين وبالخصوص (السعودية وإسرائيل). فضلا عن إن اتخاذ هكذا موقع ونفوذ يمثل تهديداً مباشراً للنفوذ الأمريكي في المنطقة. ودليل هذا الأمر يتمثل في وعي هذه الدول في إن كسب منافسهم الإقليمي مزيداً من القدرة العسكرية والنفوذ الإقليمي سيمثل تهديدا جدياً لهم أولاً، ولنفوذهم وقدرتهم في المنطقة ثانياً. وعليه كان من الطبيعي أن تتخذ هذه الدول سياسات متقابلة لغرض إحباط والحد من النفوذ الإيراني، وكان انسب هذه السياسات هو الدفع بالحليف الدولي (الولايات المتحدة) لسحب الورقة الرابحة لإيران والمتمثلة بالخروج من الاتفاق النووي.

ويمكن الإشارة إلى سبب آخر لموقف ترامب "المتشدد" من الاتفاق النووي بالخصوص وإيران وسياستها بالعموم، وهو الإطار الفكري الذي يشكل المحور الأصلي لسياسة ترامب في الشرق الأوسط، والذي يدور حول مسألة فهمه ودراكه لعوامل ازدياد قوة إيران في المنطقة بعد الاتفاق النووي، وهو ذات المنهج والإطار الفكري الذي يحكم سياسة ورؤية حلفاء ترامب الإقليميين، بالشكل الذي يمكن الإذعان بأن السعودية وإسرائيل تصورتا إن الاتفاق النووي لا يمثل "مطلقا" عاملاً لتعزيز الاستقرار في المنطقة ويساعد في رفع خطر الحرب الإقليمية، بل هو يمثل معطىً أساسياً لزيادة قدرة إيران الإقليمية وزيادة التهديد الإيراني. وعلى وفق هذه الرؤية تشكل فهم مشترك بين السعودية وإسرائيل والولايات المتحدة على كون إيران تمثل تهديداً، وانه يجب الآخذ بنظر الاعتبار تفسير هذه الدول لدور الاتفاق النووي في تقوية النفوذ الإقليمي الإيراني، وإن تجاهل بنود الاتفاق لهذا الموضوع كان من العوامل الأساسية التي شكلت منطلقا لخروج أمريكا من الاتفاق النووي2.

على وفق ماتقدم ذكره، وبسبب خروج ترامب من الاتفاق النووي واتخاذه سياسة الضغوط القصوى على ايران، صدرت من القيادة السياسية فى ايران مجموعة من الخطابات وردود الافعال، وعند التمعن في هذه الخطابات وردود الأفعال وتفكيكها وتحليل نصوصها سيقف القارئ على الأسباب التي ترى القيادة الإيرانية فيها دافعاً حقيقيا لانسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من الاتفاق النووي وإعادة العقوبات وتشديد الأزمة معها، وسيجد القارئ إن هذه الأسباب تنقسم على قسمين رئيسين الأول: أيديولوجي عقائدي يرتبط بطبيعة الصراع بين الأيديولوجية الإسلامية التي يقوم عليها النظام السياسي في إيران وبين الغرب والأيديولوجية الليبرالية والكونية

[1] – كلمة ترامب في جلسة مجلس الآمن الدولي في 2018/9/26، https://www.france24.com/ar/20180926

[2] – محسن زماني، سيد امير نيكاكويي: واكاوي عوامل مؤثر بر خروج ايالات متحد أمريكا از برجام، فصلنامه مطالعات روابط بين المللي، سال دوازدهم ، شماره 45، بهار 1398، ص 106.

العالمية التي يسعى الغرب بقيادة الولايات المتحدة – كما يرى النظام السياسي الإيراني – إلى فرضها على العالم كله ومنه العالم الإسلامي. والآخر شخصي يرتبط بالصراع الداخلي بين "ترامب" وسابقه "أوباما" وبشكل أوسع بين الجمهوريين والديمقراطيين. وسنفصل هذين السببين فيما يلي: –

أولاً: الأسباب الأيديولوجية:

يصف المفكران المعاصران "ارنستو لاكلائو وشانتال موف" طبيعة العلاقات الجارية في العالم سواء أكانت على المستوى الداخلي أي داخل الدولة الواحدة أم على المستوى الخارجي بين الدول، بأنها علاقات يحكمها عامل الخصومة والصراعات، ويرى هذان المفكران إن هوية الخطابات تظهر بوساطة العدو دائما، وإن نظام المعاني والمقاصد يُنَّظم وفقاً لوجود العدو أو الخصم فقط. إذ لا يمكن أن يوجد نظام خطابي واحد متسلط يحكم المجتمع، ولا يمكن تتبع سير تحول خطاب أو نظام معاني إلا بعد وضعه مقابل عدو. فالعداوة والهيمنة والخصومة هي التي تعطي للخطابات هويتها، بعبارة أخرى إن الخصومة والمنازعة امر مهم وحياتي وتكمن أهميتها في موردين: الأول وجود رابطة الخصومة، بمعنى أن هناك عدو أو آخر، تكمن أهميته في المساهمة في تأسيس جزء من الحدود والهوية السياسية الذاتية. الثاني: وجود الخصومة يساهم في التثبيت المؤقت للهوية الاجتماعية والسياسية للفاعلين الاجتماعيين والسياسيين.

فضلا عن ذلك، فإن أصل هذه الخصومة هو الصراع من أجل الوصول إلى الهيمنة من طريق المشروع السياسي، وإن سلوك الهيمنة في العمل السياسي هو السلوك المحوري، وهنا وبشكل أكثر دقة يكون معنى الهيمنة: هو من يكون الأقوى؟ ومن هو الذي يستطيع أن يرسم للمجتمع حدوده؟ ويضع قوانينه ويحدد مسارات حركته؟. كما إن الساعي لتحقيق الهيمنة – دائما – ما يقرن الوصول إليها عن طريق استخدام القدرة والإكراه لأجل تحقيق الهدف وهو تحميل المعاني والمفاهيم على الآخرين. وفي إطار السعي للهيمنة يضع كل نظام خطابي أسطورة فكرية نظرية يحاول من خلالها تضعيف خصمه، وتجريده من عناصر قوته، لكي يتمكن هو بهذه الأسطورة من الوصول إلى الهيمنة أو البقاء والمحافظة عليها، وهي في حقيقتها أسطورة سياسية تحمل رغبة جامحة للوصول إلى الهيمنة عن طريق إزاحة الخصم الأيديولوجي[1].

انطلاقا من هذا التأسيس النظري، يمكن القول إن طبيعة الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين إيران هو صراع هيمنة وصراع تثبيت وتقوية هوية أيديولوجية بالنسبة لإيران، وصراع إزالة خصم أيديولوجي يهدد الهيمنة والمصالح بالنسبة لأمريكا، واستنادا الى ما تقدم ذكره فأنه عند تحليل خطابات القيادة السياسية في إيران، سنجد إن العامل الأيديولوجي حاضر بقوة في خطابها وفي قراءتها للسياسة الأمريكية ولأسباب الانسحاب من الاتفاق النووي. حيث قال مرشد الثورة الإسلامية في إيران "علي خامنئي" بعد يوم من قرار ترامب بالانسحاب من الاتفاق النووي ما نصه: ((كنا نقول إن القضية الأمريكية لا تتعلق بالطاقة النووية وهي مجرد عذر؛ وكانوا يقولون كلا! آلا ترون الآن أن الأمر كذلك؟ لقد قبلنا بالاتفاق النووي، لكن العداوة مع الجمهورية

[1] – ارنستو لاكلائو ، و شانتال موف: هژمونى واستراتژى سوسياليتى، ترجمه محمد علي رضايي ، چاب دوم، تهران ايران، نشر ثالث،1393 هجري شمسي (2014) ، ص 171 – 200.

الإسلامية لم تنته، والآن يناقشون وجودنا في المنطقة وقضية الصواريخ. وإذا وافقنا على هذا، فسوف يطرحون مسألة أخرى))[1]. ففي هذا النص يتبين: إن المرشد الإيراني يعتقد بما لا يقبل الشك إن الموقف الأمريكي هو موقف عداء متلازم ومتواصل، وإن القضية تتخطى الاتفاق وهو مجرد حجة لا أكثر للتغطية على العداء الأمريكي لإيران، وهو يوجه في هذا الخطاب أيضا تحذيرا للحكومة الإيرانية، مفاده عدم جواز الرضوخ للشروط الأمريكية؛ لأنها مقدمة لشروط أخرى، هي تعد جميعاً استمراراً للعداء مع إيران.

ويتضح صراع الهيمنة والهوية بشكل أكبر بين الدولتين من خلال ما بينه المرشد الإيراني حول أسباب العداء الأمريكي لإيران إذ قال: إن السبب في معارضة أمريكا للجمهورية الإسلامية هو أن الولايات المتحدة كانت تسيطر على المنطقة بالكامل وأن الثورة الإسلامية قصرت أيديهم[2].

واستناداً على ما تقدم يتبين إن هذا الصراع هو صراع أيديولوجي، وإن القراءة الإيرانية لأسباب انسحاب ترامب من الاتفاق النووي هي قراءة أيديولوجية، وإن علاقة الخصومة بين أمريكا وايران هي العلاقة السائدة بين الدولتين، وكذلك ما يؤكد إن مسألة الاتفاق النووي هي ليست المسألة الأصلية في الصراع بين الدولتين ما جاء في خطاب الانسحاب من الاتفاق النووي إذ قال "ترامب": ((إن الشعار المحبوب في ايران هو الموت لأمريكا والموت لإسرائيل))، ((الحرس الثوري يدعم الإرهاب))، ((ايران لأسباب واهية تضع مواطنينا في السجن وتشن باستمرار هجمات سايبيرية علينا))، ((إيران سبب الحرب في العراق واليمن وسوريا))، ((ايران الداعم الأول للإرهاب في العالم)).

فتحليل خطاب ترامب يبين أن هدفه هو الحصول على امتيازات أكثر من إيران، عن طريق التهديد والتخويف، وهو يريد من تكرار بعض الاصطلاحات إظهار قوته، وبتهديده لإيران وحرس الثورة الإيرانية والخروج من الاتفاق واعتبار الأمة الإيرانية أمة إرهابية تثبيت موقعه في السلطة. فسيناريو ترامب هو تخويف الإيرانيين، ومحاولة إيجاد مفاوضات بالقواعد التي يفرضها هو حتى يحقق الفائدة التي يرجوها[3].

وقد جاء الرد الإيراني على خطاب ترامب حاملاً الكثير من المفاهيم الأيديولوجية، ومبيناً إن حقيقة الصراع هو صراع فكري صراع قِيَم بين "عدو مستبد" و"شعب مقاوم"، إذ علق المرشد الإيراني على خطاب واتهامات ترامب قائلا: ((أمريكا خسرت نهائيا ايران الخانعة والمطيعة والدارة للمنفعة))، ((إن ما اغضب المستبدين والمتسلطين هو أن ايران أصبحت نموذج للشعوب))، ((إن الأمة الإيرانية أثبتت للعالم في الأربعين عاما الأخيرة انه بالإمكان عدم الخوف من القوى العظمى، ويمكن الوقوف بوجهها، وعلى الرغم من الحصار والضغوط يمكن الحصول على النمو والتقدم))، ((مع كل هذا يجب أن ننتبه جميعا إلى هذه المسألة المهمة،

---

[1] – روزنامه دنياي اقتصاد: نخستين واكنش رهبر انقلاب به خروج آمريكا از برجام، 1397/2/19

[2] – المصدر نفسه.

[3] – علي كريمي فيروز جايي، سميرا حبيبي: تحليل گفتمان ديدگاه هاى رهبران ايران وامريكا درباره ى برجام ، جستار هاي سياسي معاصر ، پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگى، سال نهم، شماره چهارم، زمستان 1397، ص150.

وهي ضرورة معرفة العدو؛ لأن أي أمة لا تعرف عدوها أو تعده صديقاً أو محايداً، ستكون معرضة للتهديد والخطر حتما))[1].

وتتضح هذه المسألة أكثر بتتبعنا للخطابات المتبادلة بين مسؤولي الدولتين، إذ قال الرئيس الأمريكي في الوقت الذي أخذت التوترات تتصاعد بين البلدين في مؤتمر صحفي في طوكيو ((نحن لا نسعى إلى تغيير النظام، بل نسعى إلى زوال الأسلحة النووية)). وأضاف: ((سنبرم اتفاقا مع طهران))[2].

أما المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران، فقد عدَّ المقترح الأمريكي للحوار مجرد خدعة، موضحا إن الأمة الإيرانية لن تتراجع ((أمام العقوبات الجائرة والإهانات الأمريكية)). وفي تعليق له عقب فرض الإدارة الأمريكية عقوبات عليه وعلى مسؤولين إيرانيين آخرين، قال المرشد الإيراني: ((إن أكثر المسؤولين شراسة في حكومة الولايات المتحدة يتهمون إيران ويوجهون الإهانات لها. إن الأمة الإيرانية لن تستسلم وتتراجع في مواجهة مثل هذه الإهانات... إن واشنطن تريد أن تحقق بالمفاوضات ما لم تتمكن من تحقيقه عبر الضغوط... إن الدعوة للمفاوضات مجرد خدعة أمريكية... إن أمريكا لا تجرؤ على مهاجمتنا طالما نمتلك السلاح، ودعواتها للتفاوض تهدف إلى تجريدنا من السلاح ومن ثم مهاجمتنا))[3] .

وفي السياق ذاته تظهر مسالة الصراع الأيديولوجي بشكل جلي في خطاب الرئيس الإيراني حسن روحاني أيضا، في أول رد له على خروج ترامب من الاتفاق النووي قائلا: ((يبدو لي قد ثبت مرة أخرى لشعبنا الليلة أن حكومة الولايات المتحدة هي دولة ضد شعوب المنطقة، الشعب الإيراني وبقية الشعوب المظلومة. وتريد دائمًا الاستمرار على هذا النهج. ومع ذلك، فإن الأمة الإيرانية ليست تلك الأمة التي يمكن أن تخضع مقابل ادعاءات غير صحيحة أو كلام مثير للفرقة أو أن يخمدها ديكتاتور بطريقة بغيضة)). وفي معرض رده على طرح ترامب بضرورة شمول الاتفاق مسألة التجارب الصاروخية الإيرانية والحد منه قال الرئيس الإيراني: لقد كانت أنشطتنا الدفاعية والصاروخية مهمة بالنسبة لنا دائمًا، واليوم أصبحت أكثر أهمية، لقد عملنا دائمًا على بناء الأسلحة التي نحتاجها، ومن الآن فصاعدًا نعمل بجد أكبر. هذه الأسلحة هي للدفاع عنا، ونحن نواصل الدفاع عن أنفسنا وتعزيز قدراتنا الدفاعية[4].

وفقا لما تقدم، يتبين أن القراءة الإيرانية لأسباب خروج ترامب من الاتفاق النووي هي قراءة أيديولوجية وانه يمكن القول إن هذه القراءة غلبت على العلاقات بين الدولتين وإن السياسة الخارجية الإيرانية تعتقد إن السياسة الأمريكية تستند إلى القوة والهيمنة دائما، وأن أي مرونة من جانب إيران يعني مواجهة المزيد من الضغوط من قبل أمريكا.

---

[1] – روزنامه دنياي اقتصاد :نخستين واكنش رهبر انقلاب به خروج آمريكا از برجام، 1397/2/19

[2] – قناة الحرة : https://www.alhurra.com/a/%D8%AA%D8%B1%D8%A7 2019/5/27

[3] – كانال BBC فارسي: واكنش رهبر ايران به تحريم‌هاى اخير آمريكا 5 تير، 1398، https://www.bbc.com/persian/iran-48776833

[4] – پايگاه خبرى آفتاب: واكنش روحانى به سخنان ترامپ: 21 مهر 1396 https://aftabnews.ir/fa/news/481976

ثانيا: الأسباب الشخصية:

ترى القيادة الإيرانية إن هناك أسباب أخرى غير الأسباب الأيديولوجية، فرضت على إدارة ترامب الانسحاب من الاتفاق النووي، وهذه الأسباب هي الأسباب الداخلية الأمريكية التي ترتبط بالصراع الحزبي بين الجمهوريين والديمقراطيين، والصراع الشخصي بين ترامب وسلفه أوباما، وهي ترتبط بطبيعة شخصية ترامب أيضا. إذ ترى إيران في هذه الشخصية إنها شخصية يغلب عليها التفكير الاقتصادي على التفكير السياسي والدبلوماسي، وتنظر إلى القضايا السياسية والدبلوماسية بميزان تحقيق اقصى فوائد اقتصادية، ولا تنظر إليها بميزان تحقيق الاستقرار السياسي وتخفيف التوترات والأزمات، بالتالي ينظرون إلى شخصيته على أنها ذات صفات جدلية، لا تحترم المواثيق والعهود الدولية، وتميل إلى التهديد من اجل تحقيق مكاسب اقتصادية وتجارية على حساب الالتزامات الدولية. ويبدو ذلك واضحا في الخطابات والتصريحات الإيرانية، وهذه الرؤية تستند –أيضا – إلى ما صرح به السفير البريطاني في واشنطن "كيم داروش"، إذ قال إنه: يعتقد إن ترامب انسحب من الصفقة النوويّة الموقّعة مع إيران لأنّها مرتبطة بسَلفه باراك أوباما.

ومن جملة هذه الخطابات ما قاله وزير الخارجية الإيراني ظريف في معرض إجابته عن الأسئلة الآتية: ماهي أسباب خروج ترامب من الصفقة النووية؟ وما هو ردكم على طرح ترامب ضرورة شمول الاتفاق النووي "برنامج الصواريخ الإيرانية" و"دور الجمهورية الإسلامية في المنطقة"؟ إذ قال وزير الخارجية الإيراني: إن هذه القضايا لا علاقة لها بالصفقة النووية. لقد توصلنا نحن إلى هذا الاتفاق من أجل الحصول على اتفاق شامل بشأن القضية النووية، وعليه يجب أن نحصر أنفسنا في هذه المسألة فقط. فلو كان قد تم إحراز تقدم في تنفيذ الاتفاق النووي؛ لكنا قادرين على التعامل مع باقي القضايا بسهولة أكبر. وفي جوابه عن السبب الحقيقي لخروج ترامب من الاتفاق النووي قال ظريف: ((ترامب لا يحب إرث أوباما، ولقد انسحب من الصفقة النووية لأسباب شخصية فقط، وليس لأسباب واضحة))[1].

فحكومة روحاني التي وقعت الاتفاق النووي وتعده إنجازا دبلوماسياً لها، ترى إن الاتفاق النووي كان يمثل مصدر قلق شخصي لدونالد ترامب، ودليلها على هذا الأمر هو إن ترامب وصف مرارًا وتكرارًا الاتفاق النووي بأنه أسوء اتفاقٍ في تاريخ أمريكا. وبناءً على ذلك كان يرى إن عليه الرد على هذا الاتفاق، وليس هناك قرار أفضل من مغادرة الاتفاق كي يعطي صورةً لأنصاره الداخليين وحلفاءه الدوليين بأنه ذو شخصيه قوية ولن يساوم على المصالح الأمريكية العليا.

فضلا عن ذلك ترى إيران إن العقلية الاقتصادية للرئيس الأمريكي وفريق إدارته الذين يوصفون بأنهم من الصقور ويحملون عداءً كبيراً لإيران، قد اتخذوا قراراً بالانسحاب، لتحقيق اقصى فوائد اقتصادية ممكنة عن طريق "إيران فوبيا" أو التخويف من إيران النووية ومن دورها الإقليمي. إذ يستخدم اسم إيران وبرنامجها الصاروخي والاتفاق النووي لغرض ابتزاز الدول الإقليمية، والحصول على عائدات مالية من خلال زيادة

[1] محمد جواد ظريف: ترامپ به دلایل شخصی از برجام خارج شد، خبر گزاری ایسنا، 8 شهریور 1398، https://www.isna.ir/news/98060804066

مبيعات الأسلحة الأمريكية، ومن اجل إجبار هذه الدول على دفع المزيد من الأموال للحصول على الحماية الأمريكية، كما هو الحال في تصريحات ترامب المتتالية حول ضرورة دفع السعودية والدول الخليجية المزيد من الأموال لأجل توفير الحماية لها.

المطلب الثاني: الرؤية الإيرانية لسبل الخروج من الأزمة

تعتقد إيران إن خروج ترامب من الاتفاق النووي هو انقلاب على الاتفاقات الدولية، وعدم التزام بالنتائج المترتبة على تلك الاتفاقات، وبالتالي ترى أن المسبب في هذه الأزمة هي الإدارة الأمريكية، ولكي يمكن القيام بخطوات للتخفيف من حدة هذه الأزمة، يتوجب على ترامب والولايات المتحدة أولا العودة إلى الاتفاق النووي، والالتزام به، ثم الحديث عن المسائل الأخرى.

فخروج الولايات المتحدة بشكل أُحادي من الاتفاق النووي خلف عدم ثقة كبيرة عند السياسيين الإيرانيين بأمريكا، فضلا عن ذلك فإنه جعل المسؤولين الإيرانيين في حالة أزمة شديدة وصعبة. فهذا الاتفاق – حسب الرؤية الإيرانية –كان نتيجة لاتفاق بين إيران والولايات المتحدة والقوى العالمية الكبرى، وافق عليه مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية، الذي يتضمن أكثر التدابير شمولاً لعدم انتشار الأسلحة النووية في التاريخ، وقبلت إيران أقصى التزامات الشفافية النووية إلى الحد الذي لم يسبق له مثيل قبل ذلك. وإن إيران بحسب تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية قد وفت بالتزاماتها المحددة في الاتفاق النووي.

بناءً على ما تقدم؛ ولاعتقاد الحكومة الإيرانية بأن الإدارة الأمريكية هي المقصرة في هذه الأزمة فإن ردود أفعالها على مقترح الجلوس حول طاولة المفاوضات التي يدعو لها ترامب وإدارته باستمرار كانت سلبية دائماً. فقد أكد المسؤولون الإيرانيون بشكلٍ مستمرٍ على عدم جدوى الجلوس مع الإدارة الأمريكية حول طاولة المفاوضات؛ لأنها لا تلتزم بمخرجاتها. ولعل جملة المرشد الإيراني المعروفة (لا تفاوض ولا حرب) تعد الطريق الذي رسمه للحكومة الإيرانية في تعاملها مع هذه الأزمة. وهذه الردود واضحة في خطاب رئيس الجمهورية الإيرانية الذي أعطى جواباً عن سؤال لماذا لا تتفاوضون مع ترامب؟ فقال: الشخص الذي يدعي ويقول إنه يريد التفاوض فإن للتفاوض أساسيات، أول هذه الأساسيات هو الصدق، أي يجب أن يكون لدى الطرفين اعتقاد بالصدق لتنجح المفاوضات، والشخص الذي يدعي إنه يريد التفاوض اليوم هو الشخص الذي خرج من دون مفاوضات من جميع الاتفاقات الدولية ومنها اتفاقية باريس وبقية الاتفاقات التجارية الدولية، وعليه فإن المخاطب في قضية المفاوضات ليس هي إيران، حتى يقال لماذا لا تجلس الحكومة الإيرانية حول طاولة المفاوضات. فلا يمكنهم مخاطبتنا في هذه المفاوضات لأنهم الذين خرجوا من طاولة المفاوضات وغادروها، والشخص الذي يدعي انه يريد التفاوض يجب عليه أولا أن يُظهر إنه يريد حل هذه المشكلة عن طريق التفاوض حقًا[1].

ومضى "روحاني" ليحدد مفاتيح الحل وملامح التخفيف من التوتر بالقول: لن يكون هناك أي تطور إيجابي في العلاقات مع أمريكا دون أن تتوقف أمريكا عن العقوبات، والطريق الخطأ الذي اختارته، فمفتاح التطورات

[1] – تجارت انيوز :مذاكره همزمان با تحريم معنايى ندارد. https://tejaratnews.com/ 15/مرداد/1397

الإيجابية بيد واشنطن، قائلا: إذا أرادوا أن يتمتعوا بمزيد من الأمن في منطقتنا واذا أرادوا أن يكون لهم علاقات افضل مع دول المنطقة بحسب زعمهم، واذا كانوا لا يريدون من إيران شيئا سوى أن لا تصنع قنبلة ذرية – بالتأكيد لم ولن نذهب وراء الأسلحة غير التقليدية – فإذا كانت هذه مخاوفهم فعليهم المضي في أول خطوة ومن دونها لن تفتح الأقفال المغلقة. وأضاف قائلا: تراجعوا عن هذه العقوبات، وجميع العقوبات التي فرضتموها على الشعب الإيراني، فإذا رفعت جميع العقوبات واحترموا الشعب الإيراني عندها ستتغير الظروف... وإذا عادوا الى تعهداتهم فإننا سنفي بتعهداتنا بالكامل، نحن نسعى لتسوية القضايا بطرق عقلانية ولا نسعى لالتقاط الصور، فليس ممكنا التقاط الصور إلا إذا كفوا عن العقوبات واحترموا حقوق الشعب الإيراني، عندها تتغير الظروف ويمكن التفكير بذلك[1].

وأضاف: إننا أردنا إجهاض هذا المخطط وهذه المؤامرة، وأن نقول للعالم كله بأنه لا مشكلة لدينا باللقاء، وليس الأمر كما تتصورون باننا لسنا جاهزين لإجراء اللقاء، إذ قلنا فلترفع أميركا الحظر، سنكون جاهزين بعد ساعة وليس بعد يوم أو أيام لإجراء اللقاء، إذ إن رؤساء دول مجموعة "5+1" متواجدون جميعهم لتنظيم اجتماع وإجراء النقاش[2].

ويمكن القول إن الاستراتيجية التي اتخذتها إيران لمواجهة هذه الأزمة هي استراتيجية "توازن التهديد" ومواجهة التصعيد بالتصعيد، مع ترك الباب مفتوحا للمبادرات الدبلوماسية، وهذا ما يتضح في سلسلة الخطوات التي اتخذتها إيران بدءاً من خفض التزاماتها الدولية المحددة في الاتفاق النووي، أو من خلال عمليات التصعيد الميداني في مياه الخليج ومضيق هرمز وبحر العرب، ويمكن أن نرى ملامح هذه السياسية في خطاب روحاني الذي قال: اخترنا المسار الصحيح في تقليص التزاماتنا وأكدنا على إن صبرنا له حدود، ولا يمكننا أن نلتزم بشكل كامل مقابل عدم التزام الطرف الآخر... وإن القوى الدولية تدرك إن الممرات المائية الدولية، لن تحظى بالأمن كما في السابق في حالة فرض حظر كامل على النفط الإيراني وتصفير تجارة النفط الإيراني...إن الضغوط الأحادية على ايران لا يمكنها أن تكون في صالحهم ولن توفر لهم الأمن في المنطقة والعالم[3].

إن الرئيس الإيراني "روحاني" باتخاذه هذه السياسة، لم ينسَ التأكيد على تماسك الجبهة الداخلية الإيرانية؛ لاعتقاده إن تماسك هذه الجبهة وانسجامها هي العامل الأساس في تخطي هذه الأزمة. ولم ينسَ إن المعركة هي معركة أيديولوجية ترتبط بإضعاف النظام وتنتهي بإسقاطه، ولهذا فان الرئيس الإيراني وبقية القادة الإيرانيين يشيدون دائما بصبر ومقاومة الشعب الإيراني في مواجهة الضغوط. ويصورون أمريكا للشعب الإيراني بانها دولة، تُعرف اليوم كناقضة للعهود على المستوى العالمي، فقد قال روحاني في مناسبات متعددة: إن أكبر خدعة وقع فيها ترامب كانت هي الانسحاب من الاتفاق النووي، وكان وراء هذه الخدعة الكيان الصهيوني والسعودية، مضيفاً، لقد قالوا لأميركا بانها لو خرجت من الاتفاق النووي وفرضت الحظر الشديد على إيران فإن النظام فيها حسب تعبيرهم سوف لن يستمر أكثر من عدة أشهر. كما أشار الرئيس الإيراني حسن روحاني

---

[1] – خبرگزاری تحلیلی ایران، https://www.khabaronline.ir/news/1293603 5 شهریور 1398

[2] – المصدر نفسه.

[3] – **قناة الكوثر الفضائية: روحاني: اخترنا المسار الصحيح في تقليص التزامات الاتفاق النووي، 2019/8/21**

الى انسحاب أمريكا من الاتفاق النووي باعتباره اتفاقا دوليا متعدد الأطراف وتخلي واشنطن عن التزاماتها قائلا: من وجهة نظرة الحكومة والبرلمان والشعب الإيراني فان التفاوض مع أمريكا في ظل الحظر المستمر لا معنى له[1].

كذلك نجد سياسة التحدي والتهديد فيما يتعلق بقضية الصواريخ الإيرانية وفي الرد على التهم التي وجهها ترامب لإيران فيما يرتبط بالبرنامج الصاروخي الإيراني فقد قال الرئيس الإيراني: إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية قد أعلنت مراراً إنها تؤكد على حقها القانوني في تعزيز القدرات الدفاعية لإيران كما تشدد على أنها ستواصل برنامجها الصاروخي الذي لا يتناقض مع تعهدات إيران الدولية والقرار (2231) بقوة واقتدار ووفق خطته وذلك من اجل الحفاظ على سيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية واستقلالها السياسي ووحدة ترابها[2].

إلا إن هذا التهديد والتحدي يمثل جزءاً من الاستراتيجية الإيرانية، أما الجزء الآخر فهو يرتبط بالتخفيف من حدة الأزمة عن طريق بث رسائل وخطابات التهدئة والاطمئنان للدول العالمية والإقليمية وفتح الباب الدبلوماسي لكل من يحاول أن يكون وسيطا فيها، وشملت هذه الرسائل أيضا أجوبه للتهم التي وجهها ترامب لإيران، ففيما يرتبط بسياق البرنامج الصاروخي الإيراني قال وزير الخارجية الإيراني (محمد جواد ظريف) مراراً في أكثر من مناسبة: إن الاعتراضات الأمريكية على برنامج إيران الصاروخي، و فرضها حظرا جديدا على طهران بسبب هذا البرنامج، "غريبة"، إذ إن البرنامج الصاروخي هو قضية دفاعية إيرانية داخلية، لافتاً الى إن السعودية تعيش وهم حذف ايران من معادلات المنطقة إلا أن الحرب معها "مستحيلة" [3].

كذلك تتضمن استراتيجية إيران مبادرات ورسائل إقليمية لغرض خفض التصعيد، وأهم هذه المبادرات هي المبادرة التي جاءت تحت اسم "مبادرة هرمز للسلام" التي طرحا الرئيس الإيراني في جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 2019، وأهم ما تضمنت هذه المبادرة على وفق ما طرحه الرئيس الإيراني: ((بناءً على مسؤولية بلادي التاريخية في الحفاظ على الأمن والسلام والاستقرار والتطور في منطقة الخليج الفارسي ومضيق هرمز، أدعو جميع الدول المتأثرة بالتطورات الحاصلة في الخليج الفارسي ومضيق هرمز، الى مبادرة هرمز للسلام. إن هدف تحالف الأمل هو تعزيز السلام والاستقرار والازدهار والرفاه لجميع سكان مضيق هرمز، والتفاهم المتبادل والعلاقات السلمية. تشمل المبادرة مختلف مجالات التعاون، مثل أمن الطاقة العام، وحرية الملاحة وحرية نقل النفط وغيرها من مصادر الطاقة من وإلى دول منطقة مضيق هرمز وخارجه)) [4].

إن هذا التحالف "تحالف الآمل" الذي دعا إليه الرئيس الإيراني يقوم على مبادئ مهمة: مثل الالتزام بأهداف ومبادئ الأمم المتحدة، والاحترام المتبادل والمصالح المتبادلة، والمكانة المتساوية لجميع الدول المعنية، والحوار والتفاهم واحترام السيادة والسلامة الإقليمية، وحرمة الحدود الدولية، والتسوية السلمية لجميع النزاعات. والأهم

[1] – وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2019/09/11

[2] – وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2017/05/18

[3] – وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2016/01/21

[4] – وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2019/09/30

من ذلك، هناك مبدآن أساسيان هما "عدم الاعتداء" و "عدم تدخل الدول في الشؤون الداخلية لبعضها البعض". فضلا عن ضرورة وجود الأمم المتحدة لإنشاء مظلة دولية لدعم هذا التحالف[1].

إن الغرض من طرح هذه المبادرة هو تحقيق هدفين، الأول: جعل حماية هذا الممر المائي بيد دول المنطقة فقط، وضمان الدور الإيراني في حماية الممرات المائية، والسعي –أيضا –إلى إبعاد أي تحالفات دولية تقودها أمريكا تسعى الى التواجد فيها، وهو ما يعني قربها من الحدود الإيرانية وتهديد لمصالحها، والهدف الأخر هو ضمان المصالح التجارية الإيرانية وضمان استمرار تدفق السلع والمنتجات الإيرانية دون وجود قوات أمريكية أو تحالفات تقودها أمريكا تسعى لمراقبة التجارة الإيرانية والحد منها وبالتحديد التجارة النفطية.

أما الرسالة الدبلوماسية الأخرى التي تؤكد عليها إيران باستمرار وتوجهها إلى الرأي العام العالمي و الأوربي بشكل خاص، تتمثل في إن البرنامج النووي هو للأغراض السلمية فقط، وإن إيران لا تسعى إلى الحصول على السلاح النووي مطلقا، وفضلا عن ذلك فإن تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية تؤكد ذلك، هناك ضمانة أخرى تطرحها إيران، وهي فتوى المرشد الإيراني التي أصدرها في عام 2003، التي تنص على تحريم انتاج كل أنواع أسلحة الدمار الشامل والتي نصها: ((نعتقد –إضافةً إلى السلاح النووي– إن سائر أنواع أسلحة الدمار الشامل كالأسلحة الكيمياوية والميكروبية تمثل خطراً حقيقياً على البشرية. والشعب الإيراني باعتباره ضحية لاستخدام السلاح الكيمياوي يشعر أكثر من غيره من الشعوب بخطر إنتاج وتخزين هذه الأنواع من الأسلحة، وهو على استعداد لوضع كافة إمكاناته في سبيل مواجهتها. إننا نعتبر استخدام هذه الأسلحة حراماً، وإنّ السعي لحماية أبناء البشر من هذا البلاء الكبير واجب على عاتق الجميع)).

وقد أعاد المرشد الإيراني تأكيد هذه الفتوى عام 2015 أي في ذات العام الذي عقد فيه الاتفاق النووي قائلا في إشارة إلى هذه الفتوى: ((لا يمكن لأي قوة الوقوف أمام إيران اذا أرادت صناعة قنبلة ذرية ولكن إيران لا تريد صناعتها وذلك لتعارضها مع الشرع و الإسلام)) وقال أيضا: ((لقد أصدرنا فتوى بحرمة إنتاج السلاح النووي قبل سنوات، وذلك لتعارضها مع الشرع والأخلاق، لكن الأمريكان رغم أنهم يعترفون أحياناً بأهمية هذه الفتوى، يكذبون و يهددون في إعلامهم و يزعمون أن تهديداتهم هي التي حالت دون إنتاج السلاح النووي الإيراني))[2].

الخاتمة والنتائج:

استناداً إلى الإشكالية والفرضية المطروحتين في هذه الدراسة، واعتماداً على نظريتي تحليل الخطاب السياسي "للاكلائو وموف"، ونظرية توازن التهديد "لستيفان والت"، وبناءً على الأدلة التي تم تقديمها في هذه الدراسة، يمكن القول إن القراءة الإيرانية لأسباب خروج ترامب من الاتفاق النووي يغلب عليها طابع الصراع الأيديولوجي، وهي امتداد لصراع الهوية والهيمنة والنفوذ بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية في عام 1979 إلى اليوم، وإن ايران ترى إن السبب الحقيقي لخروج ترامب من الاتفاق

[1] – المصدر نفسه.

[2] – قناة الكوثر الفضائية: http://www.alkawthartv.com/news/183785 2019/1/13

هو محاولة إضعاف النظام الإيراني ثم إسقاطه، وما القضايا التي يطرحها ومنها سعي إيران للحصول على السلاح النووي والدور الإقليمي وقضية الصواريخ إلا قضايا ثانوية تخفي وراءها حقيقة سعي الولايات المتحدة المستمر لإسقاط النظام الإيراني. وترى إيران أيضا إن شخصية ترامب وخلافه مع سلفه والديمقراطيين في الداخل الأمريكي هي التي دفعت به لتشديد الصراع وإعادته بقوة إلى الواجهة من جديد. وانطلاقا من هذه القراءة لأسباب خروج ترامب من الاتفاق النووي، وتشديد الأزمة الإقليمية فإن الرؤية الإيرانية للحل تشترط قبل كل شيء عودة الولايات المتحدة للالتزام الكامل بالاتفاق النووي كمقدمة لأي حوار مستقبلي بين الدولتين، وهذه الرؤية تسير باتجاهين الأول: هو الصبر الاستراتيجي والتحدي ومواجهة التهديد بالتهديد. والآخر هو المسار الدبلوماسي وإرسال رسائل ومبادرات الاطمئنان للأطراف الدولية والإقليمية، هذه الرسائل تتضمن تقديم تعهدات والتزامات حول القضايا الرئيسة المطروحة والمثيرة للجد، ومنها الملف النووي والدور الإقليمي والبرنامج الصاروخي.

المصادر:

أولا: الكتب والمجلات الفارسية:

1- ارنستو لاكلائو ، و شانتال موف : هژمونى واستراتژى سوسياليتى، ترجمه محمد علي رضايي ، چاب دوم، تهران ايران، نشر ثالث،1393 هجري شمسي (2014).

2- روزنامه دنياي اقتصاد: نخستين واكنش رهبر انقلاب به خروج آمريكا از برجام، 1397/2/19

3- علي كريمي فيروز جايي، سميرا حبيبي: تحليل گفتمان ديدگاه هاى رهبران ايران وامريكا درباره ى برجام ، جستار هاي سياسي معاصر ، پژوهشگاه علوم انسانى ومطالعات فرهنگى، سال نهم، شماره چهارم، زمستان 1397.

4- محسن زماني، سيد امير نيكاكويي: واكاوي عوامل مؤثر بر خروج ايالات متحد أمريكا از برجام، فصلنامه مطالعات روابط بين المللي، سال دوازدهم ، شماره 45، بهار 1398.

ثانيا: المواقع الإلكترونية

ألف: المواقع العربية:

1- قناة الحرة: 2019/5/27 https://www.alhurra.com/a/%D8%AA%D8%B1%D8

2- قناة الكوثر الفضائية: روحاني: اخترنا المسار الصحيح في تقليص التزامات الاتفاق النووي 2019/8/21 https://www.alkawthartv.com/news/210243

3- قناة الكوثر الفضائية: 2019/1/13 http://www.alkawthartv.com/news/183785

4- كلمة ترامب في جلسة مجلس الأمن الدولي في 2018/9/26، يمكن مشاهدتها على الرابط https://www.france24.com/ar/20180926

5- وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2019/09/11

6- وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2017/05/18

7- وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2016/01/21

8- وكالة تسنيم الدولية للأنباء https://www.tasnimnews.com/ar/news/2019/09/30

ب- **المواقع الفارسية:**

1- كانال BBC فارسي: واكنش رهبر ايران به تحريم‌هاى اخير آمريكا 5 تير، 1398،
https://www.bbc.com/persian/iran-48776833
2- پايگاه خبرى آفتاب: واكنش روحانى به سخنان ترامپ: 21 مهر 1396
https://aftabnews.ir/fa/news/481976
3- تجارت انيوز: مذاكره همزمان با تحريم معنايى ندارد. 15/مرداد/1397 https://tejaratnews.com/
4- خبرگزارى تحليلى ايران: 5 شهريور 1398 https://www.khabaronline.ir/news/1293603
5- محمد جواد ظريف: ترامپ به دلايل شخصى از برجام خارج شد، خبر گزارى ايسنا،8 شهريور 1398،
https://www.isna.ir/news/98060804066

العلاقات الإيرانية التركية في ظل العلاقات الدولية واثرها على التوازنات الإقليمية

Iranian-Turkish relations in light of international relations and their impact on regional balances

أ. عماد وصفي علي بني خالد
موظف إداري لدى الحكومة الأردنية، الاردن– المفرق
emad wasfe ali bani Khaled
On Administrative employee of the Jordanian government, Jordan- Mafraq
emadalkhaldee92@gmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة محاولة رسم ملامح واضحة للعلاقات الإيرانية التركية واعطاء فهم للسياسة الإيرانية التركية وفق قراءة معينة لتوضيح طبيعة السياسة الخارجية التي ينتهجها البلدين وذلك لاستكشاف المجالات التي يمكن من خلالها تعزيز تلك العلاقات مع دول المنطقة بما يخدم مصالحهما، ودارت مشكلة الدراسة حول التساؤل الرئيس المتعلق بكيفية انعكاس العلاقات الإيرانية التركية على واقع التوازنات الإقليمية في المنطقة ، وانطلقت الدراسة من فرضية رئيسة مفادها إن هناك عوامل بيئية ومحلية واقليمية ودولية ساهمت بتشكيل العلاقات الإيرانية التركية ، وجعلتها تأخذ طابع التعاون، بالرغم من عدم الاتفاق على العديد من الرؤى والأفكار فيما بينهما، وأظهرت نتائج الدراسة وجود مخططات إيرانية في المنطقة العربية على وجه التحديد منذ سبعينيات القرن الماضي وانفرادها على الساحة الإقليمية والتأثير على التوازن الإقليمي في وقت نأت تركيا بنفسها بعيداً عن المشهد الإقليمي حتى عادت بشكل واضح في مطلع العام 2003 ، أضف إلى ذلك أن كل من تركيا وإيران ركزت نفسها في المنقطة تبعاً لأهداف منها عسكرية وأمنية واقتصادية وعقائدية، كما بنت كل من الدولتين قواها بشكل ملحوظ حتى أصبحت كل منهما قوة إقليمية لديها قدرة التأثير على التوازنات الإقليمية.

الكلمات المفتاحية: إيران – تركيا – التوازنات الإقليمية – استشراف المستقبل

Abstract :

The study's aim is to clarify the features of the relationship between Iran and Turkey, while giving an understanding of Iranian-Turkish plfoergn policy according to an analysis that these countries pursue. A look is taken into the field that illustrate how to strengthen the relationship between countries of the region. The main problem is taking into consideration different factors that reflect on the Iranian- Turkish relationship in the region. The main hypothesis is that the factors that contribute to Iranian-Turkish relations are environmental, local, regional, and international. These factors made these two countries exhibit a nature of cooperation, although these two counties do not have an agreement on many visions and ideas between them. The results of this study showed the existence of Iranian plans in the Arab regions since the seventies. In the time that truly disabled itself from the regionals scene, Iran entered the arena and it left a mark on the regional balance. However, turkey reentered in 2003. In addition to this reentrance, both turkey and Iran established themselves in the region according to their military, security, economic, and ideological goals. The final result of this study is that both countries significantly built their forces until they both became regional powers with the ability to effect regional balance.

Key words: Iran – Turkey – Regional system - regional balance

المقدمة:

يتميز الشرق الأوسط بموقع جيوسياسي جعله عنوانًا للنفوذ العالمي ولا شك أن الفوضى السياسية المتزايدة التي تجتاح الشرق الأوسط، في القرن الحادي والعشرين هي نتاج طبيعي ومتوقع لأكثر من عقد ونصف من المتغيرات السياسية والتحولات الجيوسياسية، وكثافة وكم التدخلات الدولية التي شكلت الصورة الذهنية، والتي تمتلك الأهمية الجيوسياسية لكل مشاريع السلطة والقوة والنفوذ والهيمنة العالمية المستقبلية، وعلى اعتبار أن هذا الجزء من العالم يشكل مفتاح الولوج إلى مراكز السلطة والقوة والسيادة العالمية وتوازن القوى الدولية، مما يعمل على التأثير في التوازن الإقليمي حسب هذه التحالفات الدولية والتحالفات المضادة، فمؤشرات التوازن الدولي هي التي تتحكم في حركة الدخول والخروج من تلك التحالفات، وكذلك في الأسلوب الذي تتم به إعادة صياغتها وتكوينها بالكيفية التي تمكنها من تحقيق هدف التوازن بشكل فعال، مما ينعكس بشكل إيجابي أو سلبي على التوازنات الإقليمية، وفي هذا الإطار تشهد المنطقة صعوداً إيرانيًا– تركيًا أدى إلى إحداث حالة من الاختلال في التوازنات الإقليمية، وعند حديثنا عن العلاقات التي تجمع كلًا من الدولتين إيران وتركيا فإن العلاقة تعود إلى عهد الإمبراطورية العثمانية، والتي كانت تتميز بالتوتر والحروب بين الفرس والعثمانيين، واستمرت هكذا حتى تأسيس الجمهورية التركية عام (1923م)، حيث أصبحت العلاقة هادئة وجيدة ،ووصلت درجة الهدوء بين الدولتين إلى حد أن الاصلاحات التركية التي قام بها (أتاتورك) قد لفتت انتباه الشاه الإيراني (رضا البهلوي) وجعلته يحاول القيام بمثل هذه الإصلاحات ثم عادت العلاقات للانقطاع والجمود مرة أخرى بعد الثورة الإيرانية، وبقيت على حالها إلى أن جاء صعود حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم عام (2002م)، والغزو الأمريكي على العراق في عام (2003م)، والذي ساهم في تحسين العلاقة بين البلدين من جديد، فكانت إيران تعتبر تركيا جسر الاتصال مع الغرب، وكانت تركيا تعتبر إيران الممر الآمن لوسط وجنوب آسيا، وبناءً على ما تقدم سيتم تسليط الضوء في هذه الدراسة على العلاقات الإيرانية – التركية باعتبارها من أقوى الدول المحركة داخل الاقليم، ودراسة مدى تأثير هذه العلاقات على التوازنات الإقليمية.

أهمية الدراسة:

قراءة وتحليل واقع العلاقات الإيرانية التركية في ضل التوتر والمتغيرات المتسارعة الذي شهدته المنطقة، الوقوف على الواقع السياسي لطبيعة العلاقات الإيرانية التركية في ضل العلاقات الدولية، بيان أثر العلاقات الإيرانية التركية على التوازنات الاقليمية ومعرفة المجالات التي من شأنها تعزيز العلاقات بين البلدين، الاسهام بتوفير مادة علمية تفيد المتخصصين بالشئون الدولية.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة انطلاقاً من السؤال المحوري الاتي:

ما انعكاس العلاقات الإيرانية التركية على واقع التوازنات الاقليمية؟

فرضية الدراسة:

تقوم الدراسة من فرضية رئيسة مفادها:

هناك عوامل بيئية ومحلية واقليمية ودولية ساهمت بتشكيل العلاقات الإيرانية التركية وجعلتها تأخذ طابع التعاون.

متغيرات الدراسة:

يبرز في هذه الدراسة المتغيران التاليان:

المتغير المستقل: العلاقات الإيرانية التركية في ضل العلاقات الدولية

المتغير التابع: التوازنات الاقليمية

منهجية الدراسة:

استنادًا الى طبيعة الموضوع والمشكلة البحثية والسؤال المحوري استخدم الباحث **(منهج النظام الدولي)** ومن خلال المنهج سيتم الكشف عن علاقة الاعتماد المتبادل بين كل من إيران وتركيا واكتشاف الانماط المتكررة والكشف عن القواعد النظامية لهذه العلاقات وتطور النظام الدولي وكيفية تأثيره في السياسة الخارجية للبلدين كما استخدم الباحث **(نظرية الدور)** وذلك لإمكانية توقع الدور الذي يقوم به البلدين بناءً على تحليل المعطيات والعوامل والمحددات المتوفرة ومدى التغير في تلك الادوار وتمايز دور كل من البلدين وفقًا لاختلاف منظور كل منها للظواهر والاحداث السياسية .

المحور الاول: الدور الإيراني – التركي في الإقليم

إن كل الدول التي تبحث عن القوى الإقليمية تطالب صراحة، وبشكل متزايد، برغبتها في الزعامة الإقليمية في نصيب من الحكم العالمي أحيانا أو تعبر عن مطالبها بذلك، وبإسقاط ما سبق، على حالتي إيران وتركيا في الشرق الأوسط وهذا ما يدفع المتابع للأحداث العودة قليلا للوراء لحظة احتلال العراق، وذلك يتعلق بفترة جمهورية تركيا ومرحلة الجمهورية في إيران وقد كانت تركيا قد انسحبت كليا من قضايا الشرق الأوسط منذ تأسيس الجمهوريه عام 1923، أما إيران فمنذ الثوره عام 1979، فلم تدخر جهدًا من اجل المطالبة بأدوار إقليمية رائده في المنطقه، لذلك كان الشرق الأوسط ساحة للتفاعلات والمنافسات والعداوات الإيرانية مع القوى العربية وغير العربية والدولية،[1]أما بعد 2003 وتاريخ غزو العراق فقد تغيرت المعادلات فجأة، وغيرت معها الحاسبات بالنسبة لبعض القوى بالشرق الأوسط ومنها إيران وتركيا، فقد وضعت تركيا المفاهيم الجيوسياسية في تصوراتها، وسعت إلى استعادة قوتها وإحياء مكانتها، ولاسيما في المناطق التي تعتبرها أطرفا وهوامش للمركز التركي ولم يكن ذلك هدفا ضمنيا بل استراتجية معلنة وصريحة بالمطالبه بالنفوذ والأدوار، خاصة أن تركيا تمتلك موروثًا تاريخيًا وجغرافيًا يمكنها من التطلع إلى الأدوار الإقليمية والخروج من محيطها[2] ،أما إيران فهي تسعى أن تكون مركز الأمة الاسلامية، خاصة بعد ثورتها وتسعى إلى قيادة التنظيم السياسي والاقتصادي والأمني للمنطقة، إذ إن إيران تطور مشروعا توسعيا للاستيلاء على العالم العربي، واستبدلت مفهوم تصدير

[1] **بوجدري**، فيصل، **سياسة القوى غير العربية في منطقه الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثالثة: تركيا وإيران**، 2017، اطروحة دكتوراه، جامعه الجزائر ص 86

[2] **بوجدري**، فيصل، **سياسة القوى غير العربية في منطقه الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثالثة: تركيا وإيران**، 2017، اطروحة دكتوراه، جامعه الجزائر ص 87

الثورة بمفهوم الاحتلال السياسي، تماشيا مع متطلبات المرحلة، أما الفكر والرؤى الإيرانية فقد جسدت الثورة الاسلامية مبادئها، وخصوصية إيران بصوتها وثقافتها الفارسية ومذهبها الشيعي، التي تسعى مرتكزاتها الثقافية والدينية إلى سعي إيران الدائم للمحافظة على التميز في المحيط الذي يولد لديها نزعه للتوسع والسيطرة والهيمنة، مدفوعة بمنطق القومية [1]

المطلب الاول: الدور الإيراني

شكلت الثورة الاسلامية نقطه تحول ليس في تاريخ إيران وإنما في تاريخ النظام الشرق الأوسطي، وتعود أهميه الظروف التاريخية التي ظهرت فيها من تراجع للعمل القومي إلى ترسيخ تواجد اسرائيل في المنطقة، لهذا كان للظروف التاريخية الدور الأكبر لترعرع المشروع الإيراني الإقليمي، خاصة مع تراجع الفكر القومي الذي مهد الطريق لبروز الفكر الشيعي الراديكالي، كما استطاعت إيران فعلا أن تجمع بين التناقضات عند تحالفها مع سوريا، وحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية، وانقضاء فتره الخميني بوفاته، وقد تبين صعوبة تصدير مبادئ الثورة الإسلامية خاصة على المستوى المنظومة الخليجية، التي عززت أمنها الاقليمي بالتواجد العسكري الامريكي بعد حرب الخليج الثانية، وقد عرفت إيران بمرحلة البناء، خاصة بعد الحرب الإيرانية العراقية، كما أن تلك المرحلة شهدت إحياء إيران، وعلى المستوى الاقليمي كان لسقوط نظام طالبان ونظام صدام حسين الأثر البالغ في بروز الدور الإيراني الاقليمي باعتبار كلا الحدثين سمحا بإزالة العوائق أمام إيران، لممارسه نفوذها في أهم دولتين تدخلان مباشره تحت النفوذ الأمريكي، وعلى مستوى النزاع الاسرائيلي الفلسطيني دخلت إيران فيه إلى جانب المقاومة الاسلامية (حماس والجهاد الاسلامي) كحركتين راديكاليتين [2] كما ونجحت إيران في دعم الانقسام الفلسطيني بين فتح وحماس، والنقطة الجوهرية أن إيران اكتسبت العديد من أوراق المساومة مع إسرائيل بمحاصرتهم بحماس والجهاد الاسلامي وحزب الله في سوريا أما الدور الإيراني في العراق فقد تمثل بغياب الدور العربي الموحد تجاه القضية العراقية مما اعطى المساحة والنفوذ لإيران، وكان له الاثر الاكبر على التوازنات القائمة خاصه المنظومة الخليجية ،إن الانقسام العربي شجع إيران في امتداد نفوذها في الاقليم، إضافة إلى تحقيق بؤرة انقساميه اخرى في سوريا كدولة راديكالية ولهذا تزايد شدة المحور السوري الإيراني مع غياب الموقف العربي ، أما في ما يخص البرنامج النووي الإيراني فإن طموح إيران النووي له ابعاد إقليمية أقوى من اي بعد آخر، لإن امتلاك السلاح النووي يضرب انفراد إسرائيل النووي في الاقليم ويقلص من حجم القوه الاسرائيلية التي ستتحول إلى قوه ردعيه لا هجومية وفق الفكر الاستراتيجي النووي [3]
أما بخصوص الدور الإيراني في اليمن فهناك مصالح حيوية لإيران في الخليج واليمن، وقد تعاونت إيران مع الحوثيين ومع علي صالح، لكن الفقه السياسي الإيراني كان يدفع بالفوضى في اليمن وهو يرغب بدوله فاقدة

[1] بوجدري المرجع نفسه ص88-90

[2] **امنه**، عيساوي، **الدور الاقليمي الإيراني في النظام الشرق أوسطي بعد الحرب الباردة**، 2010، رساله علميه منشوره، جامعه الحاج الخضر، الجزائر ص 156

[3] امنه المرجع نفسه ص 157

للسيادة والمناعة، وبروز الميليشيات الحوثية المنظمة على خاصرة الخليج في فوضى طويله تؤثر في الامن الخليجي، فهو هدف استراتيجي إقليمي لإيران .[1]

المطلب الثاني: الدور التركي

انتهج حزب العدالة والتنمية منذ وصوله سدة الحكم في البلاد سياسة توسعية تهدف إلى تعظيم قدرات تركيا في إقليمها ودشن أحمد داود أوغلو نظرية العمل العميق الاستراتيجي، وتصفير المشكلات التي تهدف إلى تصفير مشكلاتها مع جيرانها، وبدأت تركيا في الفترة الأخيرة بكسر الحدود والقيود التي كانت تعيق تمددها في محيطها الإقليمي في اقطارها الاربعة وبدأت بالانتشار وتوسيع دورها كدولة مركزية إذ قامت بكسر الطوق الذي كان يحد من قوة تركيا الإقليمية[2]، ومنذ تولي حزب العدالة والتنمية السلطة عام 2002 أخذ الحزب يطبق سياسة احمد داوود أوغلو الخاصة بالعمق الاستراتيجي ففي الشرق الأوسط زادت تركيا من نفوذها في منطقه القوقاز ذات الغالبية المسلمة التي تطل على البحر الاسود، وعملت ايضا على تطبيع العلاقات مع أرمينيا والقضاء على عقود من العداء بين الدولتين وفي الشمال عضدت تركيا علاقتها بروسيا، حيث عقدت معها اتفاقيات شراكة في الاقتصاد وزيارات بين البلدين، أما الجنوب الذي يمثل العالم العربي عمقا استراتيجيا للدولة التركية فقد كانت هناك زيارات بين وزير الخارجية التركي ومسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان، واعرب عن الانفتاح التركي بخصوص القضية الكردية، كما أن أنقره ضاعفت جهودها تحت حكومة العدالة والتنمية بعد الغزو الامريكي للعراق مع جارتها الجنوبية العراق،[3] ويعود اهتمام تركيا بالعراق بصوره خاصة، لاحتوائها على أقلية تركمانية تعد جزءًا من إقليم كركوك ولهذا فقد تبلور الدور الإقليمي لتركيا مع زيارة رئيس الوزراء آنذاك رجب الطيب أردغان لفلسطين أثناء الصراع الاخير على غزه، وزياره الرئيس التركي قاده من مصر والأردن والسعودية وسوريا، وشارك المسؤولون الاتراك في محادثات وقف اطلاق النار في مصر وعلاوة على ذلك فقد استقبل حزب العدالة والتنمية قائد حركه حماس خالد مشعل مع المحافظة التركية مع علاقتها مع الرئيس محمود عباس،[4] كما ساعدت القوات التركية في عام 2006 في تدريب الجيش اللبناني واعادة اعمار لبنان، فتركيا لم تعد البلد الذي لا تصدر منه ردود فعل ازاء الازمات بفاعلية ، إذ أن تركيا تقوم بدور نشط ايضا في الشرق الأوسط بين اسرائيل والدول العربية وفي دول القوقاز المجاورة مع التأكيد على أن العلاقات مع الغرب ستبقى محور التركيز الرئيس لتركيا، ومع كل ما سبق يتضح إن تركيا تلعب دور اقليمي متزايد في المنطقة بعد تغيير قناعتها الإستراتيجية بفرض التمدد الإقليمي.

---

[1] **الحيدري**، نبيل، **الإمبراطورية الفارسية: صعود وسقوط**، 2016، ط1، مكتبه الكعيبان للنشر، الرياض، السعودية ص 243

[2] **الزواوي**، محمد، 2015، **بحر النار، تصاعد محفزات الصراع في الشرق المتوسط**، ط1، مجله البيان للنشر والتوزيع ص 100

[3] الزواوي المرجع نفسه ص 115

[4] الزواوي المرجع نفسه ص122-128

المحور الثاني: العلاقات الإيرانية التركية في ظل العلاقات الدولية وأثرها على التوازنات الإقليمية

يطلق على التوازن الإقليمي توازن القوى الرئيس أو التوازن المسيطر، وذلك لمقدرته على تنظيم القوى الرئيسة المسيطرة على السياسة العالمية داخل أطر جغرافية محدودة، حيث يجتمع عدد من الدول في علاقات تنافسية صراعية على النفوذ في هذه الأطر الجغرافية، وكمحصلة لهذا التنافس فإن دولاً محدودة تصل إلى مرحلة التعادل أو شبه التعادل في القوة، ويؤدي ذلك إلى توازن محلي يضبط سلوك الدول ،[1]ويلعب التوازن الإقليمي دورًا اساسيًا وفاعلًا في توازن القوى العالمي، حيث استطاعت القوى الكبرى مواجهة بعضها خارج أراضيها دون خسائر مباشرة في حروب قامت بها بالوكالة، تحاول كل منها فرض أجندتها وسيطرتها على الساحة الإقليمية.

المطلب الأول: التحالفات الإقليمية الدولية

تتسابق القوى العالمية لاستقطاب وتوظيف القوى الإقليمية في المنطقة وتعظيم أداء أي الأدوار أو الانخراط في شراكات مع تلك القوى، للحصول على أكبر قدر من المصالح وتهتم الدول العظمى بأن يكون تأثيرها ونفوذها موجودًا في المنطقة نظرا لأهميتها، وتدرك تلك القوى أهمية الفواعل المهمة في المنطقة ومن ذلك المنطلق فإن خارطة التحالفات والتكتلات الدولية والإقليمية في الشرق الأوسط تشمل عدة محاور وتحالفات وذلك، لإحداث حالة من التوازنات الإقليمية وهي كالآتي:

1 – المحور الروسي الصيني الإيراني : تبنت روسيا تحالفات دولية وإقليمية مع الصين وإيران وبعض القوى الإقليمية كحزب الله والفصائل الفلسطينية المسلحة، وتمتلك تلك القوى العامل المشترك في موقفها الرافض بالهيمنة الأمريكية للنظام الدولي، وتتشارك دول المحور القلق ذاته في الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط والتي تعمل على إسقاط حلفاء هذا المحور كسوريا والقوى في العراق ولبنان ويجمع المحور الروسي وحلفاؤه في المنطقة العديد من العوامل والمصالح المشتركة وتقوم تلك الشراكة الإستراتيجية بين دول المحور على هدف تقويض الهيمنة الأمريكية بشكل عام وفي الشرق الأوسط بشكل خاص، ويسعى المحور الروسي الإبقاء على النظام السوري باعتبار أشد الحلفاء لدول المحور ولهذا رفضت كل من روسيا والصين قرارات مجلس الامن الدولي بتغيير النظام في سوريا واستعمال حق النقض الفيتو في المجلس بوجه أي مشروع في سوريا، والاعتراض الصريح على أي عمل عسكري أو أممي ضد سوريا، والتأكيد على رفض أي قرار لمجلس الأمن يتجاوز الحسابات الإقليمية التي ترسمها روسيا وحلفاؤها في المنطقة والتأكيد على أن روسيا والصين في الوقت نفسه ضمان الدور الإقليمي لإيران ودعمه في المنطقة، وعلى عكس الموقف الروسي وحلفائه فقد ضمت الجماعات السورية المعارضة للنظام السوري بواسطة تركيا والولايات المتحدة، حيث دعمت هذه الجماعات في محاولة منها للحد من النفوذ الروسي وحلفائه، ولمجابهة هذا الوضع استحدثت إيران ما يسمى بقوات

[1] **عبد القادر**، رامي، **توازن القوى الدولية واثره على الازمة السورية**، 2014، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الأقصى، غزة فلسطين ص 23-24

الدفاع الوطني، وهي قاعدة في سوريا تحاكي نجاحات إيران في تنظيم حلفائها في العراق ولبنان واليمن وفلسطين.[1]

2- **المحور الأمريكي الأوروبي التركي:** تبقى تركيا حاضرة في السياسة الخارجية الأمريكية ولا سيما في المنطقة ويظهر أهمية الدور التركي سياسياً وأمنياً في المنطقة انطلاقًا من عضويتها في حلف الناتو واستمرار الشراكة الأمريكية التركية؛ إذ ترى أمريكا أن الوجود التركي ضروري لحل الصراعات في المنطقة، وتبقى الولايات المتحدة بحاجة لتركيا لتلعب دوراً مهماً في سلسلة الأدوار في المنطقة الإقليمية والعربية وذلك لعدة اعتبارات، منها جيوسياسية، ومنها أن الوجود التركي سيقوم بدور الموازن الإقليمي لإيران، ولا سيما بعد الأحداث وحالة الفراغ الإقليمي وشكل الدور التركي في ثورات الربيع العربي، خاصةً الأزمة السورية، في اتساع الهوة بين أمريكا وتركيا وذلك يعود لمواقف تركيا المعارضة لنظام الأسد ومواقف الولايات المتحدة التي ترى أن الأولوية لمحاربة تنظيم الدولة الاسلامية كذلك فضلاً عن الدعم الأمريكي للحزب الكردي الذي تعتبره تركيا تهديداً لأمنها إلا أن الموقف الامريكي عاد لدعم الحليف التركي في عملية (درع الفرات وعفرين) تمهيداً لإقامة مناطق آمنة شمال سوريا والاعتراف بالدور التركي الإقليمي.[2] ، ودعمت واشنطن الدور التركي في عملية تحرير الموصل من (داعش) في تشرين الأول من العام 2016م، وحرصت واشنطن على مشاركة تركيا في تحرير الرقة تأكيدا على الموقف الأمريكي لأهمية الدور التركي في المنطقة، حيث تبقى الولايات المتحدة بحاجة تركيا في ظل الأوضاع المتدهورة في المنطقة وعلى ما تمتلكه تركيا من مقومات فهي تمثل حليف لواشنطن وتجمعهما مصالح مشتركة[3] في ما يمثل الدور التركي في الشرق الأوسط تحدياً مركباً لتركيا والاتحاد الأوروبي، وتعتمد تركيا على القبول الأوروبي لدورها في المنطقة عن طريق عاملين وهما:

أ- قدرة تركيا على التعاطي مع المنطقة.

ب- قدرة تركيا على التأثير في المنطقة، خصوصاً موجات اللجوء التي تدفقت إلى اوروبا تكشف أهمية الدور التركي بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي في إيجاد حلول لمشكلة اللاجئين وسارعت الدول الاوروبية لمفاوضة تركيا والدور التركي في المنطقة لوقف تدفق اللاجئين، في الجانب الآخر تعتبر تركيا نقطة أوروبا للدفاع الصاروخي والنووي الأقرب للشرق، فتركيا تحتضن أكثر من قاعدة عسكرية للناتو، فضلاً عن قيمة الدور التركي الوسيط الذي تدعمه أوروبا بين نقاط التوتر في سوريا والعراق وإيران الذي ساهم في تفعيل أهمية الدور الأمني لتركيا من وجهات النظر الاوروبية.

3- المحور الأمريكي الإسرائيلي: تتمتع منطقة الشرق الأوسط باستراتيجية هامة تؤثر من جهة على الأمن القومي الامريكي ومن جهة أخرى على استقرار إسرائيل، وطبقاً لهذه النظرية فإن الولايات المتحدة

---

[1] **العلي**، علي، **مستقبل دوائر التوازن والصراع الدولي الاقليمي في الشرق الأوسط**، 2017، ط1، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ص 143-136

[2] **المرشد**، مي، **الدور الاقليمي لتركيا في الشرق الأوسط 2002:2016**، 2016، رسالة ماجستير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن ص 94-98

[3] المرشد المرجع نفسه ص 102

هي الحليف التي تستند عليه إسرائيل في دورها الإقليمي، وتمثل العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ركنًا من اركان الأهداف الإستراتيجية في المنطقة؛ فالعلاقات بين البلدين تعتمد على المصالح المشتركة لذلك، فضلاً عن المقومات الإسرائيلية انطلاقًا من امتلاكها للسلاح النووي كقوة ردعية والتقدم التكنولوجي والعلمي في كافة القطاعات والقدرات الاقتصادية في جميع القطاعات والقوة العسكرية وفي مقدمتها التفوق الجوي والامتداد التسلحي كل ذلك وفر لإسرائيل القيام بدور إقليمي فاعل ،في انكفائها تحت التحالف الأمريكي كما وتستند إسرائيل في دورها كقطب إقليمي فاعل عن طريق دعم الولايات المتحدة المباشر، وإذعان بعض الأنظمة العربية لها وحالة انعدام التوازن العربي الراهن والصراعات القائمة بين النطاقين العربي والإسلامي[1] ويمثل التفوق الإسرائيلي الاقليمي كماً ونوعاً أحد أهداف الولايات المتحدة الأمريكية، وتتسم النظرة الأمريكية بالازدواجية إزاء قضايا التسلح في الشرق الأوسط، في حين تجاهل القدرات النووية الإسرائيلية عند الحديث عن اسلحة الدمار الشامل باعتبارها عاملًا من عوامل عدم الاستقرار في المنطقة وفي النظام الدولي، وعلى الجانب الاخر تشن الحروب وتفرض أقصى العقوبات على الدول الأخرى بحجة امتلاكها للأسلحة النووية، ويمكن تحديد بنية العلاقات التي تجمع كل من الولايات المتحدة وإسرائيل على أسس عدة ومنها أن إسرائيل هي الشريك الإقليمي القادر على تحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة والتفوق العسكري الاسرائيلي في مواجهة أي تحالف في المنطقة ولهذا يستمر الالتزام الامريكي بدعم الدور الإسرائيلي سياساً واقتصادياً وعسكرياً وتأييدها في المحافل الدولية في سعي من الولايات المتحدة انطلاقًا من الاختلال الواضح في الإقليم إن يكون ميزان القوى لصالح إسرائيل.

وعليه فإن القوى الدولية تمتلك الدور الأساسي في تشكيل حالة التوازن الإقليمي في المنطقة، ولها الدور الأساس في حالة التفاعلات الإقليمية الراهنة التي تنتج عنها صراعات إقليمية، ومن أهم تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية، باعتبارها الدول الأكثر نفوذًا في المنطقة، ومع ذلك لا يمكن اعتبار القوى الأخرى غائبة عن المشهد الإقليمي، فالشرق الأوسط يمثل مصالح جميع الدول العظمى، كالصين والدول الأوروبية.[2]

المطلب الثاني: العلاقات الإيرانية التركية وتأثيرها في التوازنات الإقليمية

كان لغزو الولايات المتحدة للعراق عام 2003م وتدخل إدارة بوش الابن في الدول العربية ونظرته في أن نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في العراق سيؤدي إلى رضوخ وخضوع باقي دول المنطقة، وهذا ما حدث بالفعل بعد احتلال العراق، متجاهلة كل الاعتبارات التي سمحت لإيران أخذ زمام المبادرات في المنطقة، خاصة بعد التغيرات التي حصلت في بنية النظام العربي أعقاب ما سمي بثورة الربيع العربي التي أدخلت

[1] **العلي**، علي، **مستقبل دوائر التوازن والصراع الدولي الاقليمي في الشرق الأوسط**، 2017، ط1، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ص 179-175

[2] **السيد**، دلال، **التغيرات في توازن القوى الاقليمي** ، 2017، مجلة الدراسات واليحوث، جامعة القاهرة، مصر ص 174

المنطقة في نفق يعتمد على مخرجات التفاعلات الداخلية والإقليمية والدولية، للخروج منه وأصبحت التدخلات الإيرانية سمة غالبة بالمنطقة، عززت هيمنتها الإقليمية في ظل وعود أمريكا وتهديداتها الدائمة لردع ذلك الدور، غير أن الانسحاب الأمريكي من العراق في عام 2011م كان من مصلحة إيران في الدرجة الأولى والذي سمح لإيران ببلورة دورها في العراق والإمساك بمقاليد الحكم هناك[1]، وفي عام 2011م بدأت الأزمة السورية وتشكلت معها نقاط اشتباك النظم إقليمية مدخلاً لإعادة رسم تحالفات المنطقة وسرعان ما تحولت هذه الأزمة إلى صراعات إقليمية، وجاءت الأزمة السورية لتحمل في جوانبها أزمة بين إيران وتركيا على أرضية التنافس الإقليمي ولا سيما أن كل منهما تعتبران من أعمدة التوازن في المنطقة، وأن اختلاف مواقف البلدين تجاه أحداث المنطقة جعلت منهما محددين لبعضهما سلباً وايجاباً، نظراً إلى أنهما على خط تماس مباشر في هذه الأحداث، وانخرطت كل من إيران وتركيا في تنافس استقطابي لتوظيف سوريا في المشروع الإقليمي لكل منهما، وتجدر الإشارة إلى أن كلا البلدين كان لها التأثير بمجريات احداث المنطقة ليس فقط بتحكم كل منهما في الأحداث وإنما باستحضار أهم السياسات الخارجية لهما والتابعة لأطراف دولية فاعلة والتي أثرت في كثير من قرارات البلدين وبالذات في الازمة السورية[2] ،وبعد العام 2011م وأحداث الربيع العربي انعكست حالة شديدة من اختلال المصالح للقوى الإقليمية وأدى التغيير الحاصل لإعادة تعريف الأدوار الإقليمية وإعادة ترتيب الإقليم وفقاً لذلك، ونقطة البداية في رصد حالة التوازن الإقليمي بين تلك القوى الموجودة ،عززت إيران دورها الاقليمي كما سعت تركيا لتمدد رقعة هذا النفوذ كردياً عن طريق مشاريع اقتصادية في كردستان العراق، وتوغل القوات التركية في الأراضي العراقية، وفي خضم هذه الأجواء يظهر تنافس واضح بين تلك القوى على النفوذ في المنطقة ويظهر واضحاً بإن القوى الإقليمية (إيران–تركيا) قد دخلت في حالة تنافس على النفوذ في المنطقة[3]، وشخصت الثورة السورية واقعاً معقداً في الإقليم في التنافس الإيراني التركي الذي تعبر عنه كل منهما في سياستهما الخارجية وطموحاتهما في المناطق الحيوية لمصالحهما المباشرة، وتسعى كل من إيران وتركيا إلى بسط نفوذهما كشكل من التنافس إزاء التحولات التي تمر بها المنطقة خاصةً الجوار العربي، فمفهوم التنافس لم يؤدي إلى قطيعة أو نزاع بين البلدين فهناك الكثير من القضايا ذات المصير التي تجمع البلدين، كالمشكلات الأمنية واتسمت العلاقة الإيرانية التركية بالتنافس والبحث الدائم عن دور إقليمي[4]، وعلى الرغم من العلاقات التي تجمع كل من إيران وتركيا على نحو كبير إلا أن العلاقات بين البلدين مرت بتحولات مفاجئة والانتقال السريع إلى التماس المباشر وظهور التصدعات

---

[1] **ابداح**، أماني، **التقارب الامريكي الإيراني واثره على الشرق الأوسط 1991:2015**، 2015 رسالة ماجستير منشورة، جامعة ال البيت، الاردن ص 75–85

[2] **الاسطل**، عبد الكريم، **السياسة الخارجية للقوى الاقليمية تجاه الثورة السورية "تركيا وإيران "**، 2014، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الاقصى، غزة، فلسطين ص 165–175

[3] **مبيظين**، رشا، **التنافس بين القوى الاقليمية على النفوذ في المنطقة العربية**،2015، اطروحة دكتوراه منشوره، جامعة العلوم الاسلامية العالمية، عمان، الاردن ص 140–149

[4] **طباخ**، ابراهيم، **التحولات الجيوستراتيجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط 2003:2016**، 2017،رسالة ماجستير منشوره، جامعة اليرموك، الاردن ص 154

بينهما وزيادة الشكوك في ضوء طموحات كل منهما إلا أن تصبح قاعدة اقليمية[1] وتعد إيران قوة اقليمية رئيسة بفضل ما تمتلكه من مقومات وقدرات سياسية واقتصادية وعسكرية، لذا نجحت إيران في ممارسة أدوار متباينة في صياغة الترتيبات الإقليمية وقد برز الدور الإيراني خاصة مع سقوط النظام العراقي، الذي كان يمثل محورًا استراتيجيًا في النظام الإقليمي ويشكل عائقاً أمام صعود قوى اقليمية غير عربية، ومن ذلك الوقت سعت إيران إلى امتلاك دور ريادي في العالم الإسلامي والنظام الإقليمي تتركز جهوده على إعادة صياغة هذا النظام وجعله أكثر انسجاما مع مصالحها، وهذا الهدف يعني ضمنياً تضاؤل دور الولايات المتحدة والدول الغربية التان تعتبرهما إيران منافسين يمتلكان رؤية إقليمية مختلفة، وفي الوقت ذاته عادت تركيا وبقوة إلى معدلات الشرق الأوسط عبر سياسة إقليمية متوازنة وصاعدة وضعت بلادها في بؤرة الأحداث، وترى الرؤية الجديدة بأن تركيا تمتلك جميع المقومات بما يؤهلها إلى لعب دور إقليمي تحقيقاً لمصالحها[2] فيما سعت إيران إلى انتزاع دور إقليمي تراه حقاً لها من المحاور الدولية وتسعى للحصول على دور القوى الاقليمية دون أن تستظل طموحاتها بالقوى الغربية، لذلك ينظر قادة إيران إلى مشروعهم بجدية تامة، من اجل بناء دولتهم الاسلامية، ولبلوغ مشروعها استخدمت إيران القوة الصلبة بطريقة مباشرة وغير مباشرة تمثلت في دعم المعارضة والجماعات الشيعية مالياً وعسكريا، والسعي نحو امتلاك السلاح النووي كما وظفت إيران أدوات القوة الناعمة لخدمة مشروعها الإقليمي في الخطاب الايدلوجي حول مهاجمة إسرائيل وتعظيم شان فلسطين والدبلوماسية الشعبية تحديداً على المستوى الثقافي والتعريف بالقافة الإيرانية في الإعلام بكافة وسائله، ويهدف إلى توجيه الرأي العام للدفاع عن إيران كما استخدمت الدين كأداة، والزج بالشعارات الدينية، كاستخدام مصطلح الشهادة ونصرة الاسلام[3]

وركزت إيران على تغلغلها في المنطقة وتوسيع نطاق نفوذها وتأثيرها في كثير من الملفات العربية، وباتت تستخدم ذلك كأوراق للمساومات الدولية بما يتعلق بالمصالح الإيرانية، وتتخوف إيران بالوقت ذاته من تطور الموقف الأمريكي لشن عمل عسكري ضد النظام السوري، مما يعني حرمان إيران لعديد من الأوراق الإقليمية والتي في مقدمتها خط الإمداد والعمق الاستراتيجي لحزب الله اللبناني، ويبدو أن التنافس بين إيران وتركيا على العديد من الملفات في المنطقة العربية أصبح سمة أساسية للعلاقات بين البلدين[4] ، ويعكس المشهد الإقليمي الحالي بعض الإيجابيات لصالح إيران وحلفائها في المنطقة، وتحقيق تقدمٍ ملحوظٍ مع وجود الحروب الأهلية، إذ جاء التدخل الروسي في سوريا من صالحها، ومن ثم استنزاف السعودية في حربها مع الحوثيين في اليمن وتوسيع شبكة علاقتها الدولية، وتشير المؤشرات الإيرانية وقوتها الصلبة إلى التحسن أضافة لقوتها الناعمة التي تتمثل في تصدير الثورة واعتمادها على فكرة ولاية الفقيه ، وعلى الجانب الآخر يبرز المشروع

---

[1] **كمين**، فؤاد، **توجهات تركيا إيران في الشرق الأوسط سياسات ومصالح 1991:2015**، 2015، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

[2] **زيارة**، كوثر، **التنافس التركي الإيراني في الشرق الأوسط 2002:2015**، 2015، رسالة ماجستير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر ص 28-30

[3] زيارة المرجع نفسه ص 33-36

[4] **مبيظين**، رشا، **التنافس بين القوى الاقليمية على النفوذ في المنطقة العربية**،2015، اطروحة دكتوراه منشوره، جامعة العلوم الاسلامية العالمية، عمان، الاردن ص 149

التركي تجاه المنطقة عن طريق الدبلوماسية التركية التي شهدت تحركات مكثفة، فأصبحت تركيا تقيم توازناً دقيقا بين مختلف التيارات والمصالح والاهتمامات مع الدول الإقليمية والدولية، وذلك يعود لإقامة تركيا علاقات جيدة مع جيرانها الإقليمين ويمكن إجمال أهداف المشروع التركي في المنطقة بالعمل على تقديم النموذج التركي على أساس قائمة النظام الإقليمي الجديد ودعم المشاريع التنمية في تركيا انطلاقًا من تحقيق مصالح اقتصادية في المنطقة وإثبات أهمية دورها بالنسبة للدول الغربية إضافة إلى استخدام تركيا في مشروعها مجموعة من الأدوات الناعمة ومنها إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول العربية والتدخل في القضايا الإقليمية والوساطة لحل المشكلات الداخلية كاستضافة المعارضة السورية وقيام الإعلام بالتعريف بالثقافة التركية [1] غير أن موقف تركيا الغامض من أنشطة التنظيمات التكفيرية، وعلى الخصوص منها تنظيم داعش، اثار مخاوف الدول العربية المجاورة لتركيا التي سبق وأبدت تفاؤلها تجاه سياسة حسن الجوار وتصفير المشكلات التركية بما يجعلها عنصر توازن إقليمي في مواجهة التطرف الإيراني، لكن ذلك لم يحدث جراء فقدان هذه النظرة لتركيا بسبب مواقفها الداعمة لجماعة الإخوان المسلمين والتي تماشت مع النظرة والتطلعات التركية الهادفة لتبوء دور إقليمي متميز

ويمكن الاستنتاج من الوهلة الأولى أن تركيا هي أكثر القوى الإقليمية التي تعاني من ارتباك موقفها السياسي تجاه المتغيرات الإقليمية، فهناك تحولات جذرية في مواقفها من السورية والتنسيق مع السعودية إلى تحالفها مع روسيا وإيران والمناطق الآمنة في سوريا، غير التنسيق مع الولايات المتحدة والتحالف الدولي في عملية (درع الفرات) مما يعني وجود اختلاف رؤى بين روسيا وإيران من جهة وبين التحالف الدولي والسعودية من جهة، لتسوية الصراع في سوريا وتركيا وهي الدولة المشتركة في اختلاف هذه الرؤى إلا إن تركيا أدركت أن المنطقة العربية هي المنطقة الأولى باهتمامها في هذه المرحلة في تحقيق مصالحها، وفضلا عن تزايد أهميتها لدى القوى الغربية، فهي قوة سياسية تمثل أساس التوازن الإقليمي وتمثل قوة مضافة لحلفائها في المنطقة، خاصةً لما تملكه من عناصر القوة الصلبة[2] ويتركز الدور الإيراني في المنطقة أيضًا على التناقضات والأخطاء السياسية للإمساك بأكبر قدر من أوراق الضغط؛ لاستخدامها في علاقات إيران مع المجتمع الدولي، وتنظر إيران إلى الجناح الشرقي من العالم العربي على انه مسرح للدفاع عن أمنها ونفوذها الإقليمي، أما تركيا فتنظر إلى دورها عن طريق العمق الاستراتيجي مع الدول العربية وبالنظر إلى العلاقات الإيرانية التركية فإننا نجدها علاقات ايجابية بوجه عام؛ إلا إن الفرق بين التوجه الإيراني والتركي بالنسبة لدعم نفوذهما في المنطقة يكمن في أن إيران تدفعها طموحاتها بالهيمنة الإقليمية، بينما تركيا تسعى إلى التوازن الإقليمي، وتقع تركيا أمام خيار صعب عن طريق سياستها في تصفير المشكلات التي انتهجتها وعلاقتها مع دول الجوار، وفي الوقت نفسه المحافظة على علاقات متوازنة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والدول العربية، والاحتفاظ بعلاقات طيبة مع طهران، ويمكن الحديث بإن تركيا متروك لها الحرية في دورها وعلاقاتها بشرط

[1] **زيارة**، كوثر، **التنافس التركي الإيراني في الشرق الأوسط 2002:2015**، 2015، رسالة ماجستير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر ص38-40

[2] **السيد**، دلال، **التغيرات في توازن القوى الاقليمي** ، 2017، مجلة الدراسات والبحوث، جامعة القاهرة، مصر ص114

أن تكون هي الرقيب على نفسها وألا تتعارض سياستها مع مصالح الدول الكبرى[1] ،ويحتد التنافس الإيراني التركي إلى الخليج العربي الذي ترى إيران أن لها الحق في السيطرة على سائر الخليج، وخاصة السواحل الغربية التي تتبعها مستعمرات تابعة لها من قبل الاسلام، إذ يكمن الخطر الإيراني في الخليج العربي من خلال الاقليات الشيعية وهي بمثابة اذرع إيرانية تعمل على تأجيج حركة الاضطرابات عن طريق هذه الأقليات ومثال ذلك أحداث البحرين في العام 2011م، أما تركيا تنطلق بعلاقتها مع الخليج العربي من منطلقات سياسية واقتصادية وأمنية.

ويضاف إلى ذلك أنماط التحالفات الإقليمية التي زادت حدة التنافس بين البلدين، والتوتر والوصول إلى موازنة للأدوار الإقليمية القائمة، فعمدت إيران إلى التحالف مع النظام السوري والقوى الحاكمة والتورط في الأزمة اليمنية، وأقامت تركيا التحالفات مع مجلس التعاون آنذاك والمملكة العربية السعودية خاصةً [2]،وتشكل موازين القوى ونظام الأحلاف والمصالح المتبادلة في المنطقة حجر الزاوية إضافة إلى ما تعانيه المنطقة وأسهم بشكل مباشر في صعود دول إقليمية في محاولة فرض نفوذها وبالنظر للمنطقة نجد أنها تستوعب العديد من الأدوار الإقليمية والدولية؛ لكثرة تعقيداتها وارتباط تلك المشكلات بقضايا وسياسات دولية وإقليمية عديدة، ومثال ذلك تركيا بقيادة حزب العدالة والتنمية التي انفتحت على العالم العربي في ظل التنافس مع إيران على الادوار في الشرق الأوسط[3] وتعتبر كل من إيران وتركيا قوتين لا يستهان بهما، ومن الطبيعي أن يحدث بينهما تنافس على قيادة المنطقة، والجدير بالذكر أن تعاظم الدور التركي في المنطقة من أحد أسبابه التمدد والنفوذ الإيراني في المنطقة، وما نتج عنها من صراعات بين السنة والشيعة، وظهور سياسة المحاور في المنطقة فضلا عن ضعف الدور العربي الذي بلور وشكل عاملًا اساسيًا في قبول الدور التركي لموازنة الدور الإيراني والخطر الشيعي، وتسعى إيران السيطرة والهيمنة والنفوذ وإلى بناء مشروعها الفارسي، وفي المقابل تسعى تركيا للتمدد وفرض نفسها في المعادلة الإقليمية، ويبرز دور كل منهما في سوريا والعراق، وتشترك كل من إيران وتركيا بحدود جغرافية وعلاقات سياسية ومذهبية وعرقية معها، ويمثل العراق بالنسبة لإيران وتركيا محورا اقليما هاما، ولا سيما بعد الانسحاب الأمريكي منه مما أثر سلباً في الجانب الأمني للطرفين، وعند مقارنة النفوذ الإيراني التركي في العراق فإن إيران تتمتع بنفوذ واسع انطلاقًا من علاقتها بالنخب السياسية الشيعية أضافة لعلاقتها الجيدة مع أكراد العراق، أما تركيا فقد مارست دورها عن طريق دعمها للتركمان والعرب والسنة وحاوت تركيا نسج علاقات مع معظم مكونات العراق ومع إقليم كردستان، علماً بإن إقليم كردستان كان أهم الدوافع للعلاقات الإيرانية التركية، ولكن دافع أنقرة من هذه العلاقات يكمن في عدم قبول سياسة طهران الرامية للهيمنة على الحكم في بغداد، أضافة إلى التعاون التركي الخليجي في سوريا لكبح الاندفاعات الإيرانية والحيلولة دون عزل السنة، وقد حرصت تركيا على سياسة متوازنة جعلت منها لاعباً استراتيجيا ولا يمكنها أن تتساهل حيال أي محاولة للنيل من دورها في النظام الإقليمي والمساس بمصالحها

---

[1] **الجمال**، احمد، **الطموحات والتوازنات للدول غير العربية**،2010، ط1، دار الجهورية للصحافة، القاهرة مصر ص 180-184

[2] **المرشد**، مي، **الدور الاقليمي لتركيا في الشرق الأوسط 2002:2016**، 2016، رسالة ماجستير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن ص 91

[3] الجمال المرجع نفسه ص 45

وما يعكس مدى النفوذ الإيراني في العراق ردود الفعل والضجة التي أثيرت حول دخول قوات تركية في عام 2015م إلى أحد المعسكرات العراقية في (بعشيقة) وقد جوبهت الخطوة التركية بمواقف رافضة ومستنكرة من الأحزاب السياسية الشيعية، بحجة أنها لم تتخذ إذن الحكومة العراقية وانتهاك السيادة العراقية، ومع بداية معركة الموصل عام 2016م شهدت العلاقات الإيرانية التركية توتراً وصل إلى استدعاء إيران لسفيرها في تركيا احتجاجاً على التصريحات التركية التي قال فيها المتحدث باسم الحكومة التركية: "إن السياسة المذهبية لإيران هي سبب التوتر الحاصل في العراق" ومن الواضح أن هناك تناقض في المصالح الإيرانية التركية في العراق مما شكل توترًا دائمًا للبلدين، ولا سيما في أطماع طهران التوسعية[1] ، ومع وجود التناقض في كل من إيران وتركيا إلا أن كل منهما يحرص على زيادة مساحات التفاهم، ويقوم كل منهما على ضبط الاختلاف وتداخل المصالح في الدوائر نفسها بقدر الإمكان، ويمكن الاستنتاج إن البلدين تواصلان تحركهما لدعم مصالحهم وعدم تعويق اي بلد للأخر[2] .

حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على إعاقة أي تقدم استراتيجي بين القوتين الإقليميتين، لما له أثر واضح في تغيير الموازين الإقليمية ومع إعاقة العلاقات بين البلدين فإن واشنطن تسعى إلى الاحتفاظ بتفاهمات استراتيجية مع كل من إيران وتركيا وليس يخفى أهمية تركيا بالنسبة للولايات المتحدة في الاستراتيجية كحائط صد في مواجهة روسيا وتحجيم تطلعها في النفوذ في المنطقة، ويبدو جليا أهمية إيران للقوى الدولية لما لها أثر في إعادة ترتيبها والحفاظ على استقرارها.[3] ، وبعد التوترات التي شهدتها كل من إيران وتركيا ابتداء من في الملف العراقي والأزمة السورية والتي جاءت بثقلها على البلدين مع اختلاف موقف كل منهما ومصالحه ، عادت العلاقات بين البلدين للتقارب، وفي والواقع يمكن إرجاء هذا التقارب الجديد إلى عدة من الدوافع والاعتبارات وهي ما شهدته الأزمة السورية من أحداث متسارعة وتطورات متصاعدة وظهور التوافق الأمريكي الروسي والاتفاق على تفكيك ترسانة الأسلحة الكيماوية كبديل للخيار العسكري الأمريكي ، قيام إيران بتوقيع الاتفاق النووي مع الدول الكبرى في عام 2013م وتم إقرار دولي على دور إيران الاقليمي واعتبارها لاعبًا اساسيًا وله وزنه الإقليمي ،القبول بدور إيران ودورها في إيجاد حل للأزمة السورية ومطالبة تركيا مشاركة إيران انطلاقًا من الجهود الدولية لإرساء الاستقرار في المنطقة ،حرص أنقرة على إعادة جزء من التوازن بعلاقتها بالمنطقة والعزوف عن عزلتها الدبلوماسية، في وقت تتقارب طهران مع الغرب، وتسعى لزيادة نفوذها في المنطقة، إدراك أنقرة إن مجمل الأحداث كان انتصارًا للموقف الإيراني والتحديات التي تواجه البلدين في ضوء تنامي الجماعات الإرهابية المتطرفة ،تحمل البلدين أعباءً ثقيلة جراء الأزمة السورية ،عجز أنقرة عن تحجيم قوة ونفوذ الأحزاب الكردية السورية ، الإطاحة بنظام الإخوان المسلمين في المنطقة [4]، احتياج تركيا

---

[1] المرشد المرجع نفسه ص 88-90

[2] الجمال المرجع نفسه ص 184-187

[3] **عبد الفتاح**، بشير، **الدعم الامريكي للادوار القوى الاقليمية غير العربية وتداعياته على المنطقة**، 2015، عدد 161، مجلة شؤون عربية ص 56-57

[4] **بيبرس**، سامية، **الدعم الامريكي للادوار القوى الاقليمية غير العربية وتداعيات على المنطقة**، 2015، عدد 161، مجلة شؤون عربية، القاهره، مصر ص 8-11

لتفاهمات جادة مع روسيا وإيران على حد سواء لتتمكن من التحرك في الشمال السوري خاصة في محافظة إدلب ، انهيار النظام العربي وانفتاح مستقبل دوله المركزية على كثير من سيناريوهات التقسيم والتفتيت وضبابية الموقف في الخليج بل وسعي بعض وحداته السياسية إلى تدعيم النزعات الانفصالية لدى الأكراد انتقامًا من الموقف التركي الداعم والمساند لقطر ، وعليه أدركت تركيا أن إعادة تموضع العلاقات مع إيران بات يمثل أولوية ملحة لمواجهة جميع هذه التداعيات ، كما حمل استفتاء كردستان العراق الدولتين على إعادة تقييم علاقتهما خاصة على المستوى العسكري. [1]

المحور الثالث: الآفاق المستقبلية للعلاقات الإيرانية التركية

شهدت العلاقات الإيرانية التركية العديد من النزاعات والخلافات، ومع الكثير من الضربات والانتكاسات التي شهدتها العلاقات بين البلدين فقد تجنبتا منذ أكثر من قرن من الزمن الدخول في مواجهة عسكرية جديدة، واعتماد أسلوب الاعتدال والتوازن في علاقتهما، ومع نجاح البلدين في تحييد المشكلات إلا أن هذا لا يعني عدم وجود بعض الملفات المتأزمة في العلاقات الإيرانية التركية، التي يحكمها التنافس.

المطلب الأول: نقاط التقارب في العلاقات الإيرانية التركية

انطلاقًا من تتبع العلاقات التي تجمع البلدين يمكن تحديد أهم العوامل الفاعلة في العلاقة الإيرانية التركية، ومن عوامل التقارب التي تجمع البلدين التجارب السابقة، إذ تحظى العلاقات الثنائية برصيد مهم من التعاون والتنسيق السياسي والاقتصادي بدءاً بميثاق (سعد آباد) عام 1937 م ومن ثم حلف بغداد عام 1958م وحلف المعاهدة المركزية عام 1964م ومنظمة التعاون الاقتصادي عام 1985م، وأخيراً توسيع هذه المنظمة عام 1992م، لتشمل كل من أفغانستان وطاجيكستان وأوزباكستان وكازخستان وتركماستان وإذربيجان ويمثل الموقع الجيوسياسي للبلدين أهمية كبيرة، إذ تشترك الجارتان بحدود تقدر بحوالي 500 كم، وإلى جانب الحدود المشتركة فإن الجارتين يجمعها قواسم مشتركة، وتشكل المسارات الثقافية والتاريخية المتقاربة لشعوب المنطقة ارضية مناسبة في انصهار هذه الشعوب وثقافتها في بوتقة واحدة [2] ويتشارك البلدان في العديد من القضايا التي تشكل تحدياً، وربما تهديداً لسيادتهما ، وأولهما القضية الكردية، حيث يوجد في تركيا أكثر من 12 مليون كردي، وفي إيران أكثر من 7 ملايين كردي ومع أن المشكلة في إيران أقل منها في تركيا إلا أن النزعة الاستقلالية لأكراد المنطقة وانطلاقاً مما تحقق في العراق، يعزز من تلك النزعة هوا ما شكل حافزاً للتعاون بين دول المنطقة، ولا سيما إيران وتركيا وذلك من أجل تطويق النزعات الانفصالية وهذا التحدي شكل أهم عوامل التقارب بين البلدين بمعزل عن النظام السياسي لكلا البلدين، ويعد تنامي النزعة المذهبية في المنطقة خصوصاً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ودور واشنطن في إيقاظ هذه النزعة، والذي ترجمته المذابح في العراق وأفغانستان وباكستان وتوترات لبنان، ونظراً للطبيعة التعددية المذهبية في إيران وتركيا فإنهما يخشيان

---

[1] **العركي** ، سمير، 2017، **العلاقات التركية –الإيرانية: التطورات والانعكاسات**، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مصر ص 7-4

[2] **الناصر**، علي، **العلاقات التركية الإيرانية (1979-2010)**،2010،رسالة ماجستير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الاردن ص 53-54

سريان العدوى المذهبية إلى داخلهما، لذا يسعى كل منهما إلى مواجهة تلك النزعة وإبقاء العلاقات بينهما وهي أهم عوامل إخماد تلك النزعة، وأفضى ايضاً الاحتلال الامريكي للعراق إلى نشوء واقع جديد من التوتر والتطرف لدى مختلف الاطراف واستمرار الاضطراب الامني والسياسي هناك وتبقي الخاصرة العراقية مصدر تهديد واستقرار وامن لكل من إيران وتركيا[1]، ولأن هناك نقاط التقاء ومصادر واضحه بين الدول في إبقاء العراق موحد دون اي تغيير على حدوده الراهنة وأن هذا قد شجع استقرار وتطور العلاقات الإيرانية التركية وموقفها الموحد تجاه الاحتلال الامريكي للعراق، حيث يرى البلدين أن تجزئة العراق لا يضر بالعراق، بل يضر مستقبلا بالقوة الإقليمية المجاورة، فضلا عن ذلك معرفه إيران أن وجود الولايات المتحدة الأمريكية في العراق سوف يبقى مطولا، ما دفعها إلى التوجه إلى أقامه علاقات مع تركيا بشكل اكبر وبناء هذه الرؤية بخصوص هذا الوجود في تحسين علاقات مع تركيا، وأصبحت في صدد التنسيق المستمر لمواجهة التطورات المستقبلية[2]، وبعد الرياح التي عصفت في المنطقة من بعد ثورات الربيع العربي أدى التحول في العلاقات بين البلدين إلى توجه البلدين مرحلياً في طي صفحة الخلافات تأسيساً لمرحلة جديدة يبدو فيها النظام العربي قد وصل إلى مرحلة الموت السريري، بحيث بات عاجزاً عن لعب دور مؤثر وفشلت وحداته السياسية في بناء تحالفات إقليمية ناجعه، بل عمدت بغرابة شديدة إلى تقويض كل الفرص التي أتيحت لتجديد بنية النظام العربي، حيث عملت بجدٍ لإجهاض الربيع العربي، وسحق قواه الحية، لكنها تبدو عاجزةً عن ادراك حقيقة أن المنطقة العربية لن تعود سيرتها الأولى، وأن حل قضاياها بات رهناً بيد القوتين الأبرز إيران وتركيا وقد شهدت تلك الفترة أعلى مستويات التعاون والزيارات بين البلدين، وفي زيارة الرئيس التركي إلى طهران عام 2015م أعلن الرئيس الإيراني أن كلاً من البلدين متفقان على ضرورة وقف الاحداث الدائرة في اليمن، فضلاً عن أن الزيارة التي أجريت تعد انطلاقة جديدة في مسيرة العلاقات التعاونية بين البلدين في المجالات السياسية والاقتصادية، كما اتفق الجانبان عبر الاتفاق الذي أبرم بين وزيري خارجية البلدين على ضرورة مكافحة الارهاب ومن دخول الإرهابيين إلى أراضيهما، والعمل على تسوية الأمور الخلافية بين البلدين، وأبرما اتفاقية جديدة تتعهد في التعاون لإنهاء النزاع السوري ومما ساهم في تحسين العلاقات بين البلدين وتطورها التوسط التركي في أزمة إيران النووية مع دول الغرب وشهدت العلاقات الإيرانية التركية مستوى جيداً في تلك الفترة [3] فضلًا عن ذلك يعد العامل الاقتصادي أهم عوامل التقارب في علاقات البلدين خاصة بعد رفع العقوبات الدولية عن إيران وازدهار حركة التجارة والتبادل التجاري من 10 مليارات إلى 30 مليارات دولار، ومن الواضح أن العلاقات الاقتصادية كانت وما زالت في تطور مستمر، إذ إن الواقع قد فرض على البلدين وخصوصا الموقع الجغرافي لكل من إيران وتركيا والحدود المشتركة، والبوابة التركية بالنسبة لإيران لتصدير مواردها إلى

---

[1] **المصحبين**، ضيف الله، **العلاقات التركية الإيرانية واثرها على امن الخليج 2002-2011**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الاردن ص 57

[2] **حميد**، محمد،2017، **السياسة الخارجية التركية واثرها على الامن العربي**، ط1، القاهرة العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر

[3] **الجبوري**، عمران، 2016، **العلاقات التركية الإيرانية والمتغيرات في المنطقة العربية**، 2011، العدد 53، رسالة علمية منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق ص 274-275

أوروبا ، وفي الوقت ذاته تعتبر إيران البوابة التركية إلى آسيا، غير أن كل من البلدين بحاجة إلى السوق الاستهلاكية لتصدير واستيراد السلع والخدمات فضلا عن أن الموقع الجغرافي الذي يقلل التكلفة المادية لمرور هذه الموارد والسلع، ولهذا تطورت العلاقة وشهدت توقيع العديد من الاتفاقيات وتبادل الزيارات، واتجهت العلاقات إلى الانفتاح الداخلي خصوصا في التبادل التجاري[1]. وتنعكس أهم نقاط التقارب الإيراني التركي في زيارة رئيس الاركان الإيراني إلى انقره في اغسطس/اب 2017م على رأس وفد عسكري وسياسي رفيع المستوى، وذلك في زيارة هي الأولى من نوعها منذ الثورة الإيرانية، وأشارت الرضا عن الزيارة ومخرجاتها تبدت في الاتفاقات الموقعة بين الطرفين في المجالين العسكري والأمني وذلك في مقابل تجاوب تركي ، وانبثق عن هذه الاتفاقيات ضمان أمن الحدود المشتركة ومنع المرور غير الشرعي عبرها، خصوصا أن الزيارة تأتي بعد ايام فقط من بدء مشروع بناء جدار عليها بطول(144 كم) وهو ما اعتبر موقفا إيرانيا متقدما في مكافحه حزب العمال الكردستاني ، تطوير التعاون في مواجهة المنظمات المصنفة على قوائم الإرهاب، وفي مقدمتها الحزب الكردستاني ، بلورة موقف موحد من استفتاء إقليم شمال (كردستان) العراق وذلك لاعتباره منعطفًا على طريق استقلال الإقليم وما له من انعكاسات سلبيه على الملف الكردي في كلا البلدين، مواجهة المشروع السياسي الكردي في سوريا ،رسم آفاق لحل الازمه السورية والخيارات المطروحة بخصوص إدلب، ولاسيما بعد سيطرة هيئة تحرير الشام وتركيز واشنطن عليها مؤخرا ، خطة تركيا للتدخل عسكريا في منطقه عفرين (أو غيرها) لمواجهة حزب الاتحاد الديمقراطي على غرار عمليه درع الفرات ولتأمين المناطق الامنة في الشمال السوري [2]

المطلب الثاني: نقاط الاختلاف العلاقات الإيرانية التركية

عانت السياسة الإقليمية التركية في العراق من مأزق حقيقي بسبب تزايد الثقل الإقليمي الإيراني هناك وكما عدلت طهران نتيجة السباق بينها وبين أنقرة ومع توقيع البلدين للاتفاق الامني المشترك في ايلول عام 1992م، إلا أنه لم تحقق الثقة الكاملة بشأن المسائل الأمنية وذلك لاتهام تركيا لطهران بدعمها المستمر للمنظمات الإرهابية خاصة في الميليشيات الإيرانية في العراق؛ فالنظام التركي ينظر بجدية إلى إيران كلاعب إقليمي منافس له بصرف النظر عن نقاط التقاء المصالح المشتركة بينهما، إذ حصل تباين في موقف كل من البلدين حيال الأزمة السورية عام 2011 م، حيث كانت إيران تدعم النظام السوري، وتركيا تدافع عن الحراك الشعبي السوري، فضلاً عن احتضانها للمعارضة السورية، وقد تضررت العلاقات الإيرانية التركية بعد توجيه طهران عدة رسائل وتحذيرات إلى الجانب التركي تطالبه بعدم الاقتراب من سوريا مطالباً إياها بعدم الرضوخ لضغوط الولايات المتحدة الأمريكية وعدم السماح للأخيرة باستخدام قواعدها الموجودة على الأراضي التركية، ويحمل التنازع الإيراني التركي أبعادًا متناقضة حول ما سيؤول إليه الوضع في سوريا، وتدرك الدولتان أن مصالحهما باتت متوقفة على كيفية إنهاء الأزمة السورية برمتها، ونشبت الخلافات أيضاً بين إيران وتركيا على خلفية

[1] **وحيد**، مروة، **قراءة في مساحة البناء التقارب التركي الإيرانية**، 2016، مركز المزمات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، الأمارات

[2] **الحاج**، سعيد، 2017، **إيران تركيا الانتقال إلى ساحه التعاون وتنسيق المواقف**، تقرير، مركز الجزيرة للدراسات ص 3

الدعم التركي لتحالف عاصفة الحزم ضد الحوثيين في اليمن والمدعومين من إيران، لتعود الدولتان بعد ذلك لممارسة سياسة دبلوماسية تحييد الخلافات[1] ،وبعد عام 2011م وأحداث الربيع العربي أدى التغيير الحاصل لإعادة تعريف الادوار الإقليمية في المنطقة وإعادة ترتيب الإقليم وفقاً لذلك، ونقطة البداية في رصد حالة التوازن الإقليمي بين تلك القوى الموجودة عززت دور إيران الإقليمي كما وسعت تركيا لتمدد رقعة هذا النفوذ كردياً انطلاقًا من خلال مشاريع اقتصادية في كردستان العراق، وتوغل القوات التركية في الأراضي العراقية، وفي خضم هذه الاجواء يظهر تنافس وتباعد واضح بين تلك القوى على النفوذ في المنطقة، ويظهر واضحاً أن القوى الإقليمية (إيران–تركيا) قد دخلت في حالة اختلاف وتباعد في الرؤى التي تجمع البلدين[2]ويحتد التنافس الإيراني التركي إلى الخليج العربي الذي ترى إيران أن لها الحق في السيطرة على سائر الخليج، وخاصة السواحل الغربية التي تعتبرها مستعمرات تابعة لها عن طريق الاسلام، إذ يكمن الخطر الإيراني في الخليج العربي بوساطة الأقليات الشيعية وهي بمثابة أذرع إيرانية تعمل على تأجيج حركة الاضطرابات عن طريق الأقليات ومثال على ذلك أحداث البحرين في العام 2011م، أما تركيا فتنطلق بعلاقتها مع الخليج العربي من منطلقات سياسية واقتصادية وامنية، ويضاف إلى ذلك أنماط التحالفات الإقليمية التي زادت حدة التنافس بين البلدين والتوتر والوصول إلى موازنة للأدوار الإقليمية القائمة، فعمدت إيران إلى التحالف مع النظام السوري والقوى الحاكمة والتورط في الأزمة اليمنية، وأقامت تركيا التحالفات مع مجلس التعاون آنذاك والمملكة العربية السعودية خاصةً وركزت إيران على تغلغلها في المنطقة وتوسيع نطاق نفوذها وتأثيرها في كثير من الملفات العربية، وباتت تستخدم ذلك كأوراق للمساومات الدولية بما يتعلق بالمصالح الإيرانية، وتتخوف إيران بالوقت ذاته من تطور الموقف الامريكي لشن عمل عسكري ضد النظام السوري مما يعني حرمان إيران لعديد من الأوراق الإقليمية والتي في مقدمتها خط الإمداد والعمق الإستراتيجي لحزب الله البناني ويبدو التنافس بين إيران وتركيا على العديد من الملفات في المنطقة العربية أصبح سمة أساسية لتباعد العلاقات بين البلدين[3] ،ويمكن الاستنتاج من الوهلة الأولى أن تركيا هي أكثر القوى الإقليمية التي تعاني من ارتباك موقفها السياسي تجاه المتغيرات الإقليمية، فهناك تحولات جذرية في مواقفها من السوريا والتنسيق مع السعودية لتحالفها مع روسيا وإيران والمناطق الآمنة في سوريا، من غير التنسيق مع الولايات المتحدة والتحالف الدولي في عملية درع الفرات، مما يعني وجود اختلاف رؤى بين روسيا وإيران من جهة وبين التحالف الدولي والسعودية من جهة، لتسوية الصراع في سوريا وتركيا هي الدولة المشتركة في اختلاف هذه الرؤى إلا أن تركيا أدركت أن المنطقة العربية هي المنطقة الأولى باهتمامها في هذه المرحلة في تحقيق مصالحها، وفضلاً عن تزايد أهميتها لدى القوى الغربية التي تعد قوة سياسية تمثل أساس التوازن الإقليمي وتمثل قوة مضافة

---

[1] **الجبوري**، عمران، 2016، **العلاقات التركية الإيرانية والمتغيرات في المنطقة العربية**، 2011، العدد 53، رساله علميه منشوره، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق ص 276–277

[2] **مبيظين**، رشا، **التنافس بين القوى الاقليمية على النفوذ في المنطقة العربية**،2015، اطروحة دكتوراه منشوره، جامعة العلوم الاسلامية العالمية، عمان، الاردن ص 140–149

[3] مبيظين المرجع نفسه ص 4

لحلفائها في المنطقة خاصةً لما تملكه من عناصر القوة الصلبة، ويتركز الدور الإيراني في المنطقة على التناقضات والأخطاء السياسية للإمساك بأكبر قدر من أوراق الضغط، لاستخدامها في علاقات إيران مع المجتمع الدولي، أما الدور التركي يتركز على التعاون والعلاقات البناءة، وتنظر إيران إلى الجناح الشرقي من العالم العربي على أنه مسرح للدفاع عن أمنها ونفوذها الإقليمي أما تركيا فتنظر إلى دورها عن طريق العمق الاستراتيجي مع الدول العربية ومن ثم إلى العلاقات الإيرانية التركية والتي تعد بانها علاقات إيجابية بوجه عام، إلا أن الفرق بين التوجه الإيراني والتركي بالنسبة لدعم نفوذهما في المنطقة يتمثل في أن إيران تدفعها طموحاتها إلى الهيمنة الإقليمية، بينما تركيا تسعى إلى التوازن الإقليمي، ولأن الدولتين تسيران نحو مصالحهما فإنه لابد من وجود نقاط تتعارض فيها المصالح وتحتاج إلى وسيلة وحنكة لمنع الاصطدام الذي يمكن أن يلحق الضرر بالبلدين ، وتقع تركيا أمام خيار صعب عن طريق سياستها في تصفير المشكلات التي انتهجتها وعلاقتها مع دول الجوار، وفي الوقت نفسه المحافظة على علاقات متوازنة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والدول العربية والاحتفاظ بعلاقات طيبة مع طهران، ويمكن الحديث بإن تركيا متروك لها الحرية في دورها وعلاقاتها بشرط أن تكون هي الرقيب على نفسها وألا تتعارض سياستها مع مصالح الدول الكبرى.[1]

وترى تركيا أن النفوذ الإيراني في العراق يؤثر سلباً على المصالح التركية وما يعكس مدى النفوذ الإيراني في العراق ردود الفعل والضجة التي أثيرت حول دخول قوات تركية في عام 2015م إلى أحد المعسكرات العراقية في بعشيقة وقد جوبهت الخطوة التركية بمواقف رافضة ومستنكرة من الأحزاب السياسية الشيعية بحجة أنها لم تتخذ إذن الحكومة العراقية وانتهاك السيادة العراقية ،ومع بداية معركة الموصل عام 2016م شهدت العلاقات الإيرانية التركية توتراً وصل إلى استدعاء إيران لسفيرها في تركيا احتجاجاً على التصريحات التركية التي قال فيها المتحدث باسم الحكومة التركية: إن السياسة المذهبية لإيران هي سبب التوتر الحاصل في العراق ومن الواضح إن هناك تناقض في المصالح الإيرانية التركية في العراق مما شكل توتر دائم للبلدين ولا سيما في اطماع طهران التوسعية.[2]

المطلب الثالث: السيناريوهات المستقبلية للعلاقات الإيرانية التركية

السيناريو الأول: بقاء التنافس وفق سياقات منضبطة:

ويشير هذا السيناريو إلى أن العلاقات الإيرانية التركية ستبقى مستقبلاً؛ تسير وفق معادلة حساسة ومعقدة كما هي عليه الأن يحكمها التنافس الاقليمي من جهة، والحرص على المصالح الضخمة التي تجمع البلدين واستمرار العلاقات، حيث التوترات السياسية على وقع الأزمات الإقليمية الحادة، خاصة الأزمة السورية والعراقية وتمثيل دبلوماسي بين البلدين ومن جهة أخرى، وفي الحالة الأولى يأخذ التنافس مظهر الاشتباك على قضايا المنطقة جراء التنافس الحاد في مواقف كلا البلدين، أما الحالة الثانية يسعى الطرفان إلى تحييد

[1] **الجمال**، احمد، **الطموحات والتوازنات للدول غير العربية**،2010، ط1، دار الجهورية للصحافة، القاهرة مصر ص 180-184

[2] **المرشد**، مي، **الدور الاقليمي لتركيا في الشرق الأوسط 2002:2016**، 2016، رسالة ماجستير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن ص88-90

المصالح الاقتصادية والأمنية من تداعيات ذلك الاشتباك ومع وجود نقاط الاختلاف بين البلدين إلا أنهما يلتقيان في مجال النفط والغاز والتنسيق العسكري تجاه حزب العمال الكردستاني الذي يشكل تهديدًا مشتركًا للبلدين والمواقف الخاصة تجاه الملف النووي الإيراني، ومن هنا يعمل البلدان على ضبط خلافتها بتوافق الضرورة التي تجمعهما المصالح الاقتصادية المشتركة سوف يدفع كل من إيران وتركيا إلى العمل على ضبط حدود الخلاف في ما بينهما حول ازمات المنطقة[1]

السيناريو الثاني: تحول العلاقات التنافسية إلى التنازع

وهو السيناريو الذي يمكن أن يحدث في حال سقوط نظام الأسد واتجاه تركيا إلى دول الخليج على حساب إيران، ومن تلك الناحية تتخوف طهران من أن الحرب ضد التنظيمات الإرهابية ما هو إلا غطاء للولايات المتحدة للقيام بأعمال عسكرية في سوريا بدون موافقة مجلس الأمن والقوى الإقليمية والدولية، ما يعطي الفرصة للتعامل مع نظام الأسد عسكرياً وإسقاطه على غرار ما حدث مع نظام القذافي في ليبيا، وهو ما يفقد إيران حليفاً استراتيجيًا ويحل محله نظام سني مدعوم من السعودية المنافس الإقليمي لإيران، وتشكيل تحالف تركي سعودي مما يعيد للأذهان المنافسة التاريخية بين طهران وأنقرة، ومما يرجح ايضاً هذا التحول تخوف تركيا من تداعيات الاتفاق النووي على ترتيبات المنطقة والتخوف من تقسيم سوريا إلى مناطق متعددة احداها في الشمال السوري يسيطر عليها الاكراد، وهو ما يمثل تهديدً مباشرًا للجنوب الشرقي التركي، ومن ناحية أخرى فإن إيران تتخوف من الاتجاه التركي نحو الخليج العربي وتشكيل تحالف سني معها مضاد لإيران، وقد يحدث نتيجة تقارب آراء تركيا ودول الخليج العربي حول القضايا الهامة في المنطقة ومنها الأزمة السورية ، ويمكن ترجيح هذا السيناريو أيضاً لاحتدام الصراع بين البلدين على مناطق النفوذ في المنطقة، فيعد نشر الدرع الصاروخي الأطلسي في الاراضي التركية استهدافاً بالدرجة الأولى لإيران وروسيا وهو ما زاد احتقان العلاقات بين البلدين وبناء على ما سبق يمكن ترجيح هذا السيناريو ويمكن حدوث تصادم مباشر بين البلدين يعيد للأذهان ما كان بينهما منذ خمسة قرون واتجاه النظام التركي إلى زيادة استثماراته في الخليج العربي وتفعيل مذكرات التفاهم والاتفاقيات التي وقعتها مع دول الخليج مقابل اعتماد الخليج عليها باعتبارها فاعلًا سنيًا هامًا لمواجهة تصاعد النفوذ الإيراني [2]

السيناريو الثالث: تحول العلاقات التنافسية إلى علاقات تعاونية

مع أن هذا السيناريو الاقل احتمالا نظراً لتعارض مواقف البلدين في ما يخص الأزمة السورية، كما أنه من شأن هذا التحالف أن يؤثر سلبًا على علاقة تركيا بدول الخليج العربي ولكن هناك ما يجعل هذا السيناريو ممكنا، مثل وجود مبدأ هام في السياسة التركية تجاه المنطقة يتمثل في التعددية الثقافية والحفاظ على التعددية العراقية والمذهبية كشرط أول لاستقرار المنطقة، وهذا المبدأ يمكن أن يمتد للوصول إلى التعاون مع إيران،

---

[1] **زيارة**، كوثر، **التنافس التركي الإيراني في الشرق الأوسط 2002:2015**، 2015، رسالة ماجستير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر
دياب، طارق، **تركيا وإيران 2017: المسارات المحتملة** ، 2017، المعهد المصري للدراسات القاهرة، مصر
سعيد، احمد، **رؤية استشرافية لمستقبل العلاقات الإيرانية التركية في ضوء الازمة السورية**، 2017). www.sasapost.com.

[2] زيارة، اديب، سعيد المرجع نفسه

وفضلا عن ذلك يمكن أن يحدث تعاون في العلاقات السياسية بين البلدين نتيجة الاتفاق على أزمات المنطقة لتلاشي التوتر السياسي بين البلدين، ويعقب ذلك التعاون الاقتصادي والأمني، خاصة في الملف الكردي ويشير هذا السيناريو إلى احتمال توجه العلاقات الإيرانية التركية من الحالة التنافسية السياسية إلى الحالة التعاونية التي تكون ضمن مرحله جديده مفعمة بالمصالح المشتركة في الجوانب الاقتصادية والأمنية فاقتصاديا تجد تركيا في إيران سوقا وممراً لسلعها، وتجد إيران تركيا ممرا لطاقاتها من الغاز والبترول لأوروبا، أما أمنياً فسيرقى التنسيق بين البلدين خاصةً في الأزمة الكردية التي تشكل لهما هاجساً مشتركاً على خلفية الطموحات الكردية بإقامة دولة مستقلة، ويمكن أن تكون هناك محاولات من جانب البلدين لإيجاد وجهة نظر مشتركة لإنهاء الأزمة السورية [1]

الخاتمة:

بالكشف عن انماط العلاقات بين كل من إيران –تركيا نجد أن العلاقة أتسمت بنوع من المرونة حيث أنها تضمنت عدة منحيات، منها ما اتخذ طابعاً تعاونياً وصداقة بين البلدين واخر اتخذ طابعاً عدوانيا وصراعياً، فكل التغيرات في مجرى العلاقة بين التقارب والتباعد مبني اساساً على المصالح التي تحاول كل بلد ان تصل اليها وتحقيقها انطلاقًا من الظواهر والاحداث السياسية، فالعلاقات بين البلدين لم تتخذ طابع الاختلاف الذي يفضي إلى اشكال التصادم المباشر والسبب في ذلك حاجة كل منهما للأخر أضافة إلى القوة المتعادلة بين الطرفين والنظرة البرجماتية التي تحكم العلاقات بمعزل عن طبيعة النظام السياسي القائم، ما احدث نوعاً من التوازن في العلاقات على مبادئ غير صدامية، وتسود العلاقات حسابات عقلانية تحقق مصالح محدده لكل منهما لتحقيق التوازن الاقليمي ، ويمكن التحدث في الوقت الراهن عن نضوج الخلافات الإيرانية التركية ، ويعرف الدور الإقليمي لكل من إيران وتركيا انطلاقاً من احداث البيئة الإقليمية الذي بدوره اتاح لإيران في زيادة نفوذها الإقليمي ومن ناحية اخرى اتاح لتركيا إعادة عمقها الاستراتيجي، خاصةً وأن الثابت الوحيد في المشهد الإقليمي الدولي يتمثل في أن الدول العربية تقع خارج الحراك الإقليمي لجهة عدم التأثير، ولم ترقى إلى صياغة موازنة اقليمية، ,وبالنظر إلى متغيرات الدراسة نجد أن العلاقات الإيرانية التركية تلعب دوراً اساسياً وفاعلاً في التوازن الإقليمي ،وذلك يعود إلى امتلاك كل من البلدين المقومات المناسبة للقيام بهذا الدور، فقد شهدت العلاقات بين البلدين انفراجا بعد عاصفة الاضطرابات التي اجتاحت المنطقة الذي من شأنه عودة كل منهما بمغانم استراتيجية ويزيد مناعة كل من البلدين ضد التدخلات الخارجية، الا أن هذه العلاقات وتأثيرها الإقليمي يبقى رهناً لعدة اعتبارات ومنها : مدى قبول القوى الدولية لتأثير هذه العلاقات في التوازن الإقليمي خاصةً أن الدول العظمى تعتبر المنطقة مراكز الولوج للسلطة والنفوذ ، تعارض مصالح كل إيران وتركيا في المنطقة فالعلاقة بين البلدين مرت بكثير من التحولات تاريخياً وهي قائمة في الأصل على المصالح المشتركة، ضهور قوى جديدة على الساحة الإقليمية خاصةً ان هنالك دول لها وزنها على المستوى الإقليمي تشترك في احلاف دولية مع القوى العظمى ، ومع كل ما تم ذكره سابقاً يبقى السيناريو الاقرب لأبعاد هذه العلاقة وأثرها

[1] زيارة ، اديب ، سعيد المرجع نفسه

على التوازن الاقليمي هو استمرار العلاقات بين البلدين وفق سياقات منضبطة يضمن لكل من البلدين الدور الإقليمي المأمول وذلك استناداً لعدة مؤشرات ومنها :

أ–المؤشرات السياسية:

الأزمة السورية ومساعي الحل الروسي الإيراني التركي ومع تنازل تركيا عن الملف السوري وتقاربها مع المحور الروسي فالتقارب التركي الروسي، الأخير ظهر في الملف السوري، وتقديم روسيا للتنازلات كان سبباً للتوتر الإيراني التركي، الخلافات بين كل من روسيا وإيران وتركيا على النفوذ في المنطقة ،الأزمة العراقية ومشاركة تركيا في معركة تحرير الموصل؛ فقد شهدت العراق والموصل صراعا حادا بين البلدين، خاصة بعد تخوف تركيا من إقدام إيران بأحداث تغيير ديمغرافي في الموصل ذات الأغلبية السنية ، يمثل وصول الرئيس ترامب للسلطة وتبني سياسته العدائية ضد إيران دافعاً للتوتر السياسي بين إيران وتركيا باعتبار تركيا حليفًا استراتيجيًا للولايات المتحدة الأمريكية .

ب – المؤشرات الاقتصادية:

بلغت قيمة التبادل التجاري بين كل من إيران وتركيا نحو (8،4) مليارات دولار وذلك عن الشهور العشرة الأولى من العام 2016م، ويسعى البلدان لزيادة التبادل التجاري؛ ليصل (30)مليارات دولار، مع كل التوترات السياسية التي عصفت بين البلدين فإن الاقتصاد كان حجر الزاوية في تلك العلاقات وضرورة الحاجة الاقتصادية المتبادلة لكلا البلدين، ومع فرض الولايات المتحدة العقوبات على إيران بسبب برنامجها النووي قامت تركيا برفض الالتزام بتلك العقوبات وانصياعها لعقوبات مجلس الأمن الدولي فقط ، مع أن كلا من إيران وتركيا لها مشروعها السياسي إلا أن البلدين يعتبر كل منهما بوابة للآخر في المجال الاقتصادي، فضلاً عن التقارب الجغرافي الذي يخفض نفقات النقل، إلغاء الرئيس الامريكي ترامب الاتفاق النووي الإيراني، ووضع إيران ضمن أولوياته وعودة فرض العقوبات الاقتصادية على إيران، وهذا ما يجعلها بحاجة إلى تركيا.

النتائج

بناءً على ما جاء في الدراسة الحالية من دراسة نظرية وعملية تفصيلية، وبتطبيق المنهجية العلمية واسقاطها على الدراسة فقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1– مع اختلاف الرؤى والأفكار والاستراتيجيات لكل من الدولة الإيرانية والتركية، وعمليات التجاذب والتنافر على مر التاريخ، إلا أن العلاقات بين الدولتين كانت متقاربة في غالب الأحيان، وجاء ذلك التقارب نتيجة مصالح مشتركة بين الدولتين ومع وجود الطرق التي تسلكها كل دولة في تحقيق أهدافها الشخصية.

2–شهدت السنوات منذ سبعينيات القرن الماضي تطورا ملحوظاً في العلاقات الإيرانية التركية على عدة مستويات، منها الاقتصادية والسياسية والعسكرية؛ إذ سعت كل منهما إلى تطوير قدراتها التنموية في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

3– على الرغم من أن دولة تركيا نأت بنفسها بعيداً عن قضايا الشرق الأوسط منذ تأسيسها كجمهورية، إلا أن العام 2003 شهد حضورًا ملحوظاً للدولة التركية إبان احتلال العراق ومنه إلى المتغيرات التي

تمثلت بثورات الربيع العربي؛ لتصبح تركيا عنصراً فاعلاً في تشكيل وتغيير التوازنات الإقليمية برفقة إيران التي لم تتوان عن التدخل منذ سبعينيات القرن الماضي.

4- لكل من دولة إيران وكذلك تركيا مشاريع حيوية في المنطقة العربية والإقليم بشكل عام، تسعى كل من الدولتين لتنفيذ مشاريعها الخاصة سواءً على المستوى العقائدي والسياسي والتاريخي والعسكري وغير ذلك، والجدير بالذكر أن هذه المشاريع تتطلب من كلتا الدولتين فرض نفسيهما على الساحة الإقليمية، الأمر الذي غير وسيغير مجريات الحياة السياسية والحيوية في التوازنات الإقليمية.

5-هناك انعكاس للعلاقات الإيرانية التركية على واقع التوازنات الإقليمية تمثل فيما يأتي:

أ- قيام إيران بالاستناد إلى الفكر المذهبي الشيعي كحركة إسلامية تستميل عن طريقها العديد من الشعوب العربية الإسلامية، كالحركة الإسلامية الفلسطينية واللبنانية (حزب الله اللبناني) وغيرها من الجماعات والأحزاب الإسلامية العربية، بالإضافة إلى بناء علاقات مع دولة سوريا وإنعاش الفصائل والحركات الشيعية في المنطقة العربية التي عادت بالولاء إلى الدولة الإيرانية، وأثرت بشكل ملحوظ في مجريات الأحداث السياسية في عدد من الدول العربية، وخير دليل على ذلك النزاعات الدائرة بين السنة والشيعة في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن، والجدير بالذكر أن انقضاء حكم حزب البعث العراقي وحركة طالبان في أفغانستان كان له أثر كبير في بروز إيران كمحرك أساسي في التوازنات الإقليمية والتدخلات المختلفة في الشؤون العربية، وأبرزها دول الخليج العربي، حتى أصبح للوجود الإيراني أثر واضح في قلب الموازين الإقليمية، وخصوصاً في الشأن العربي.

ب - أما في ما يخص انعكاس الدور التركي على واقع التوازنات الإقليمية، فقد تمثل هذا الدور في النظرة التوسعية لدولة تركيا أحياناً لتاريخها التي تحاول استعادته أو ما تبقى منه، حيث قامت تركيا برئاسة أحمد داود أوغلو، وتلاه الرئيس رجب طيب أردغان ببناء علاقات ودية وعميقة في عديد من الأقطار العربية خصوصاً والإقليمية عموماً، حيث بنت تركيا الحديثة علاقات تجارية بين العديد من الدول، أهمها قطر وروسيا وأرمينيا، وفرض نفسها بشكل كبير على الأحداث العربية، وأهم تلك الأحداث الأزمة السورية، وتوطيد العلاقات مع السودان بعيداً، والعراق على حدودها، حتى أصبح لتركيا كلمة من كلمات الفصل في عديد من الأحداث الإقليمية، لتصبح عنصراً مؤثراً في التوازنات الإقليمية والشؤون العربية.

6-أن حدود النفوذ الإيراني التركي في المنطقة وتأثيره في التوازنات الاقليمية يبقى رهناً بمدى قبول القوى الدولية بتلك الأدوار.

7-يبدو أن آفاق مستقبل العلاقات بين تركيا وإيران أصبح أكثر وضوحاً تجاه قضايا الإقليم والمتغيرات الدولية، ذلك أن كل من الدولتين لا تحظى بعلاقات ودية بين عدد من الدول العظمى كأمريكا ودول أوروبية بالنظر إلى دولة إسرائيل التي تمثل العدو التاريخي للعرب والمسلمين على اختلاف مذاهبهم؛ لذا فإن هذه العلاقات ستستمر في حال وجود تهديد إقليمي أو دولي لكلتا الدولتين أو لأنصارهما.

السيناريوهات المستقبلية تبين نقاط الاقتراب التي كان أهما: الاقتصاد والأمن المشترك للبلدين، والتطرق أيضاً إلى نقاط الاختلاف على الملفات الإقليمية خاصةً في الأزمة السورية، وبعد رسم السيناريوهات المتوقعة للعلاقات بين البلدين رجح الباحث بقاء العلاقات ضمن سياقات منضبطة وذلك لعدة اعتبارات سياسية واقتصادية وأمنية مشتركة.

المصادر والمراجع

الكتب:

1-(**الحيدري**، نبيل، **الإمبراطورية الفارسية: صعود وسقوط**، 2016، ط1، مكتبه الكعيبان للنشر، الرياض، السعودية)

2_(**الجمال**، احمد، **الطموحات والتوازنات للدول غير العربية**،2010، ط1، دار الجهورية للصحافة، القاهرة مصر)

3-(**العركي** ، سمير، 2017، **العلاقات التركية –الإيرانية: التطورات والانعكاسات**، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مصر)

4_(**العلي**، علي، **مستقبل دوائر التوازن والصراع الدولي الاقليمي في الشرق الأوسط**،2017،ط1،دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن)

5-(**الزواوي**، محمد، 2015، **بحر النار، تصاعد محفزات الصراع في الشرق المتوسط**، ط1، مجله البيان للنشر والتوزيع)

6- (**حميد**،محمد،2017،**السياسه الخارجية التركية واثرها على الامن العربي**، ط1، القاهرة العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر)

7_(**كمين**، فؤاد، **توجهات تركيا إيران في الشرق الأوسط سياسات ومصالح 1991:2015**، 2015، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية)

الدراسات:

1_(**ابداح**، أماني، **التقارب الامريكي الإيراني واثره على الشرق الأوسط 1991:2015**، 2015 رسالة ماجستير منشورة، جامعة ال البيت، الاردن)

2_(**الاسطل**، عبد الكريم، **السياسة الخارجية للقوى الاقليمية تجاه الثورة السورية "تركيا وإيران** "، 2014، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الاقصى، غزة، فلسطين)

3- (**الجبوري**، عمران، 2016، **العلاقات التركية الإيرانية والمتغيرات في المنطقة العربية**، 2011، العدد 53، رساله علميه منشوره، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق)

4-(**الناصر**،علي، **العلاقات التركية الإيرانية (1979-2010)**،2010،رسالة ماجستير منشورة،جامعة مؤتة، الكرك، الاردن)

5_(**المرشد**، مي، **الدور الاقليمي لتركيا في الشرق الأوسط 2002:2016**، 2016، رسالة ماجستير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن)

6- (**المصحبين**،ضيف الله، **العلاقات التركية الإيرانية واثرها على امن الخليج 2002-2011**، رسالة ماجستير منشورة،جامعة مؤتة،الكرك، الاردن)

7_(**امنه**، عيساوي، **الدور الاقليمي الإيراني في النظام الشرق أوسطي بعد الحرب البارده**، 2010، رساله علميه منشوره، جامعه الحاج الخضر، الجزائر)

8_(**بوجدري**، فيصل، **سياسة القوى غير العربية في منطقه الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثالثه: تركيا وإيران**، 2017، اطروحه دكتوراة، جامعه الجزائر)

9_(**طباخ**، ابراهيم، **التحولات الجيوستراتيجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط 2003:2016**، 2017،رسالة ماجستير منشوره، جامعة اليرموك، الاردن)

10_(**عبد القادر**، رامي، **توازن القوى الدولية واثره على الازمة السورية**، 2014، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الاقصى، غزة فلسطين)

11_(**مبيظين**، رشا، **التنافس بين القوى الاقليمية على النفوذ في المنطقة العربية**،2015، اطروحة دكتوراه منشوره، جامعة العلوم الاسلامية العالمية، عمان، الاردن)

12_(**زيارة**، كوثر، **التنافس التركي الإيراني في الشرق الأوسط 2002:2015**، 2015، رسالة ماجستير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر)

الدوريات:

1-(**الحاج**، سعيد، 2017، **إيران تركيا الانتقال إلى ساحه التعاون وتنسيق المواقف**، تقرير، مركز الجزيرة للدراسات)

2-(**السيد**، دلال، **التغيرات في توازن القوى الاقليمي** ، 2017، مجلة الدراسات والبحوث، جامعة القاهرة، مصر)

3-(**بيبرس**، سامية، **الدعم الامريكي للأدوار القوى الاقليمية غير العربية وتداعيات على المنطقة**، 2015، عدد 161، مجلة شؤون عربية، القاهرة، مصر)

4-(**عبد الفتاح**، بشير، **الدعم الامريكي للأدوار القوى الاقليمية غير العربية وتداعياته على المنطقة**، 2015، عدد 161، مجلة شؤون عربية)

5-(**عبد الفتاح**، بشير، **التطورات الاقليمية والدولية وتداعياتها على ديناميكية الوضع العربي**،2015، شؤون عربية العدد 162، القاهرة، مصر)

6- (**وحيد**، مروة، **قراءة في مساحة البناء التقارب التركي الإيرانية**، 2016، مركز المزمات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، الأمارات)

7-(**دياب**، طارق، **تركيا وإيران 2017: المسارات المحتملة** ، 2017، المعهد المصري للدراسات القاهرة، مصر)

مواقع انترنت :

1- (**سعيد**، احمد، **رؤية استشرافية لمستقبل العلاقات الإيرانية التركية في ضوء الازمة السورية**، 2017). www.sasapost.com.

دور الدين في مواجهة جائحة فيروس كورونا في مجتمعات دول الشرق الأوسط / إيران أنموذجًا.

The Role of Religion in Confronting the COVID-19 Pandemic in the Societies of Middle Eastern Countries / Iran as a Model.

هاني الظليفي – الأردن
Hani Alduleifi
الباحث في سلك الدكتوراه من جامعة بابيش بولياي / كلوج نابوكا رومانيا
Prepared by PhD candidate University of Babes Bolyai / Cluj-Napoca, Romania
binduleifi@gmail.com

الملخص:

تخلص الدراسة الى أن رجال الدين في ايران قد لعبوا دورا بارزا في التقارير المبكرة عن جائحة فيروس كورونا، وغالبًا ما كان هذا الدور سلبيا لجهة التسبب في انتشار الجائحة الفيروسية بسبب عدم تعاون رجال الدين و تفهمهم لطبيعة تفشي المرض، وصعوبة تكيفهم مع تدابير الصحة العامة لمكافحة انتشار الجائحة، واصرارهم على التمسك بالتقاليد الدينية والاعتقادات والشعائر الطائفية، لكن بفضل تحرك السلطات الرسمية بسرعة للحد من التجمعات الكبيرة بما فيها الدينية وحضر ممارسة الطقوس في أماكن العبادة، والتفاعل الإيجابي مع توجيهات منظمة الصحة العالمية واشراك العديد من المجتمعات الدينية في مجهود مكافحة انتشار الفايروس وفق توجيهات محددة تراعي الصحة والسلامة العامة، حيث ثبت أن الزعماء الدينين يلعبون دوراً فعالاً في نقل الرسائل خلال أوقات الأزمات. لذلك من الاجدى عدم تهميش الدين ومؤسساته وقياداته والتعامل معه بإيجابية لان المجتمعات الدينية ستدعم بالتالي الانتعاش، وستكون أيضًا جزءًا من المناقشات السياسية حول الأولويات والإصلاحات التي تنشأ من الوباء، مع الكثير من المساهمة خاصة فيما يتعلق بعدم المساواة الصحية ونقاط الضعف في أنظمة الصحة العامة. يمكن بالتالي للأصوات الدينية بل ويجب عليها أن تلعب أدوارًا مركزية، ومن المتوقع أن يكون هناك تغيرات مستقبلية في طبيعة دور وفهم المؤسسات والزعماء الدينيين لدورها في رسم وتنفيذ السياسات العامة الصحية في أغلب دول المنطقة.

كلمة مفتاحية: أزمة وباء فايروس كورونا، إيران، الدين، السياسة الصحية العامة، الإسلام السياسي، منظمة الصحة العالمية.

Abstract :

The study concludes that clerics in Iran played a prominent role in early reports of the COVID-19 pandemic, and this role was often negative in terms of causing the spread of the viral pandemic due to the lack of cooperation and understanding of the clergy of the nature of the outbreak, and the difficulty of their adaptation to official health measures to combat the spread of the pandemic, and their insistence on adhering to religious traditions, beliefs and sectarian rituals, but thanks to the official authorities' swift action to limit large gatherings, including religious ones, attended the practice of rituals in places of worship, and positive interaction with the directives of the World Health Organization and the involvement of many religious communities In the effort to combat the spread of the virus according to specific directives that take into account health and public safety, as it has been proven that religious leaders could play an effective role in transmitting messages during times of crisis. Therefore, it is more beneficial not to marginalize religion and its institutions and leaders and to deal with it positively because religious communities will thus support the recovery, and it will also be part of the political discussions about priorities and reforms that arise from the epidemic, with a lot of contribution, especially

with regard to health inequality and weaknesses in health systems. the public. Thus, religious voices can and should play central roles, and it is expected that there will be future changes in the nature of the role and understanding of religious institutions and leaders of their role in formulating and implementing health public policies in most countries of the region.
Key Word: Covid-19 Pandemic, Iran, Religion, Public Health Policy, Political Islam,WHO.

مقدمة

منهج الدراسة: تقوم الدراسة على تقصي دور رجال الدين و الدولة في ايران في مواجهة أزمة مرض فايروس كورونا منذ لحظة ظهوره في ايران باعتماد مصادر إعلامية عن طريق مطالعة ورصد ما نشرته وسائل الاعلام العالمية والعربية والإيرانية خلال فترة تفشي الوباء ولغاية شهر أب أغسطس الحالي اعتمادا على المنهج الوصفي ثم تعمد الى تحليل المعلومات المستقاة من الاخبار على ضوء المنهج التحليلي لتصل الى نتيجة فيما يخص تساؤلات الدراسة التي تعنى بدور الدين من حيث المعتقدات والممارسات ودور أراء وسلوك رجال الدين الإيرانيين في مواجهة ازمة فايروس كورونا، ونظرا لكون الدراسة في مجال السياسة العامة فإنني اتبنى نموذج النخبة السياسية في دراسة اثر رجال الدين الذين يمثلون مرشد الدولة الإيرانية، وأعضاء المجالس الاستشارية التابعة له، وأعضاء البرلمان الإيراني وشيوخ و خطباء المساجد في ايران الذين لهم الدور في رسم السياسات العامة في ايران الجمهورية الإسلامية التي يلعب الدين الدور الأبرز في تسيير سياساتها الرسمية وقولبة الرأي العام الشعبي فيها.

أهمية الدراسة:

قلة من الابحاث السياسية تعنى بدراسة اثر العامل الديني في رسم وتنفيذ السياسات العامة وخصوصا السياسات الصحية، مع أن الدين وخصوصا في مناطق العالم الإسلامي له دور شامل ومتغلغل في حياة الناس ويؤثر كثيرا في السياسة العامة للدول، لكن لا يزال تركيز الباحثين منصبا على الصراع السياسي والحركات الإسلامية والإرهاب وغير ذلك من المباحث السياسية، لذلك تهدف الدراسة الى زيادة الوعي العلمي الاجتماعي بعلاقة السلوك الديني في إدارة الازمات ورسم السياسات العامة، ولفت انظار الباحثين الاجتماعيين الى مجالات بحث جديدة في الوقت الذي يمثل فيه مثل وباء فايروس كورونا تحديا علميا قائما ومستمرًا ومشكلة عالمية اثرت على كل نواحي الحياة في العالم، وتهديدا جسيما ليس فقط للصحة العالمية بل وللاقتصاد والحياة الاجتماعية والتعليم وسببت الخسائر الفادحة في الأرواح والإصابات، واعاقت الإنتاج، حملت الأمم والأشخاص أعباء مالية وإدارية ونفسية ضخمة وعرقلت مسيرة الحياة الطبيعية، في هذه الدراسة نبحث في تأثير الدين على ممارسات رجال الدين والسياسة في بلد إسلامي يحكمه رجال الدين ويصنعون سياساته سواء أكانوا في السلطة التنفيذية أو التشريعية أو خطباء ومؤثرين أو قادة مجتمعيين، لذلك تأتي الدراسة كنموذج تحليل لصنع وتنفيذ وتقييم للسياسة العامة، ولبيان أثر العامل الديني في إدارة الازمات، وبالوقت ذاته تأثر السلوك الديني بالأزمات حتى لا يصبح التدين عاملا سلبيا والاستفادة من تجارب الشعوب والأمم في تمتين الجبهة الداخلية وزيادة الاستجابة للطوارئ والازمات .

دراسات سابقة:

قلة من الأبحاث التي تناولت اثر الدين على مواجهة ازمة فايروس كورونا، لكن تم الاستعانة بعدة مقالات مثل مقال لكاثرين مارشال مديرة مركز بيركلي للدين والسلام والشؤون العالمية، بجامعة جورج تاون استعرضت فيه جهود الفاتيكان وبعض الكنائس الامريكية اثناء الازمة الحالية للوباء، ومقال لجينسي ميللر[1] تناولت فيه موضوع استجابة الجماعات الدينية المسيحية في أمريكا لوباء فايروس كورونا، وكيف تكيفت الكنائس مع الوباء، ومقالة مايكل ريس تناول فيه جدلية العلم والايمان في التعامل مع الأوبئة[2]، إضافة الى استطلاعات للراي العام كالتي أجرتها الواشنطن بوست[3]، عن اثر الجائحة على الايمان الديني ومركز بيو الأمريكي للأبحاث[4]، كما تناول كالي روبنسون في مقال استجابة الأديان الرئيسية للجائحة ، ودراسة لأنا جيكوبس[5]، من مركز بروووكينز للأبحاث عن التوترات الدينية اثناء ازمة فايروس تناولت فيه استجابة السعودية لازمة فايروس كورونا فيما يتعلق بعزل محافظة القطيف ذات الأغلبية الشيعية دونا عن غيرها من المحافظات الأخرى. لكن معظم الدراسات التي اطلع عليها الباحث تناولت بشكل عام تعاطي الجماعات الدينية مع الجائحة ولم تركز أي منها على بلد معين، في هذه الدراسة نركز على بلد محدد واحد هو ايران، من منطلق أن بقية الدول بما فيها السعودية ليست أنظمة سياسية دينية كما هو الحال في ايران لذلك تتجلى في ايران العقلية الدينية في تناول الوباء على عدة مستويات: النخب الحاكمة، الإدارة العامة، الجماعة المؤمنة والمتدينين من عامة الناس.

إشكالية الدراسة:

من خلال تتبع الاخبار في وسائل الاعلام العالمية والمقالات الصحفية يلاحظ أن المجتمعات الدينية في مختلف بلدان العالم كانت حاضرة بقوة في أزمة جائحة كورونا، وعلى صعيد منطقة الشرق الأوسط كانت بلدان مثل ايران والعراق وبدرجة أقل مصر والجزائر والعربية السعودية وهي دولة اكثر تدينا، وتلعب العقيدة الدينية دورا كبيرا في تحديد سياستها العامة وهي الأكثر تناولا في الاخبار، من حيث كثرة اعداد الوفيات والإصابات وتعقيد الازمة الصحية المتعلقة بجائحة وباء فايروس كورونا، وهنا تأتي إشكالية الدراسة في بيان العلاقة بين دور العقيدة الدينية وبين مدى انتشار الجائحة الفيروسية وكذلك دور المؤسسة الدينية في رسم السياسة الصحية العامة للاستجابة للوباء.

تساؤلات الدراسة:

- كيف يمكن للجهات الدينية الفاعلة مساعدة ومشاركة الجهود الأممية والحكومية في مكافحة أزمة فيروس كورونا؟

---

[1] https://news.usc.edu/168381/religious-groups-coronavirus-pandemic-religion-passover-easter/

[2] https://theconversation.com/beating-coronavirus-requires-faith-leaders-to-bridge-gap-between-religion-and-science-135388

[3] https://www.washingtonpost.com/religion/2020/04/30/coronavirus-deepening-more-religious-black-protestants/

[4] https://www.pewresearch.org/fact-tank/2020/04/30/few-americans-say-their-house-of-worship-is-open-but-a-quarter-say-their-religious-faith-has-grown-amid-pandemic/

[5] https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2020/04/15/هل تؤجّج قيود فيروس كورونا المستجدّ التوتّرات الدينية؟

- ما دور المؤسسات والمعتقدات الدينية في إطار مواجهة الوباء العالمي الحالي؟
- كيف أثر الوباء على الجماعات الدينية وممارساتها للطقوس الدينية؟ وما هي ردود أفعال الزعماء الدينيين وأثر ذلك على الصحة العامة ومدى تفشي وانتشار العدوى الفيروسي؟
- مدى اهمية الممارسات والتوجيهات الدينية الصادرة عن المؤسسات الدينية والزعماء الدينيين والروحيين في رسم وتنفيذ السياسات الصحية العامة في دول منطقة الشرق الأوسط وماهي العبر والتوصيات المستفادة من هذه الممارسات.

منظور الوباء في التراث الديني

واجه العالم عبر التاريخ الإنساني أوبئة خطيرة منها الطاعون والكوليرا والسل و مؤخرا فيروس إيبولا، سارس (من عائلة فيروس كورونا)، فيروس ميرس (من فصيلة كورونا)، وحمى الجبال الصخرية. ولكن منذ حوالي القرن، لم تختبر البشرية وباءً أشاع هذا المستوى من الهلع حول العالم، فقد تسبّبت أوبئة سابقة بعدد أكبر من الضحايا إلّا أنها بقيت محصورة في مجتمعات طرفية محددة، ولم تتحول إلى ظاهرة عالمية. ومن أبرز الأسئلة التي يثيرها وباء فايروس كورونا هو سؤال الدين، فالأوبئة بما تستجلبه من موت وآلام ومخاوف وتساؤلات عقائدية ووجودية تستدرج الدين مباشرة للتفاعل معها.[1]

يكشف تاريخ الأوبئة والأديان عن علاقة متشابكة ومثيرة بينهما، فكلاهما ساهم في تشكيل الآخر في أكثر من مرحلة تاريخية، وهو تفاعل أكثر تعقيداً من التعميمات التبسيطية، إذ ساهمت الأديان حيناً في احتواء الأوبئة ومآسيها وحيناً آخر حصل العكس، كما أدّت الأوبئة أحياناً إلى ازدهار الإيمان و/أو المؤسّسات الدينية، وأحياناً أخرى أدت إلى تقويضهما. مع الإشارة إلى أن الصلة الأشد للأوبئة هي مع الديانة المسيحية، نظراً إلى أنّ نطاقها الجغرافي تاريخياً، ولأسباب طبيعية، أكثر عرضة لتفشّي الأوبئة بالتحديد في أوروبا.

مع كل محطات الأوبئة، والحروب، والجوائح المناخيّة، وانتشار المجاعات، وغيرها من التحديات التي كانت تواجه المجتمع البشري كانت الأديان جميعها تتأثر بتداعيات تلك الأزمات دون استثناء، ولو أخذنا أزمة فيروس كورونا الحالي الذي ظهر في وقتٍ اعتقد فيه العالم أنه وصل لقمة مجده التكنولوجي وتقدمه العلمي، ومع ذلك وبحسب تقرير موقع " قنطرة" الإلكتروني المنشور بتاريخ 17 مارس 2020، ها هو البابا فرنسيس الأول يبدو في مشهد مثير، وكأنه معلق على أسوار الفاتيكان وهو يحتفل بالقداس الكاثوليكي الرسمي الوحيد في كل إيطاليا.

لقد أثر و باء فايروس الكورونا COVID-19 على الدين بطرق مختلفة، بما في ذلك إلغاء خدمات العبادة لمختلف الأديان، وإغلاق مدارس الأحد، وكذلك إلغاء المهرجانات والاحتفالات واعمال الحج الى المزارات الدينية التابعة لمختلف الأديان والطوائف.[2] كما تأثرت الطوائف المسيحية حول العالم من فيروس كورونا. وتضررت الكاثوليكية بشكل خاص، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى انتشار الفيروس عبر إيطاليا. وأصبحت

[1] حسام مطر ، الدين و الوباء ، 16 نيسان 2020 ، منشور على الموقع الالكتروني https://al-akhbar.com/Community/287222
[2] https://www.bbc.com/arabic/world-51866282

الفاتيكان مدينة أشباح قريبة، مع عناوين البث المباشر للبابا فرانسيس على الشاشات في ساحة القديس بطرس، على أمل أن تكون الحشود أصغر بدون حضورها الفيزيائي. وأوقفت روما جميع الجمهرة الكاثوليكية في المدينة وهي المرة الأولى منذ عام 1155 خلال التمرد ضد البابوية[1].

كما قدمت العديد من الكنائس والكنس اليهودية والمساجد والمعابد الهندوسية والبوذية والمحافل الدينية الأخرى شعائر العبادة من خلال البث المباشر وسط الوباء.[2]

اما المملكة العربية السعودية التي تضم الحرمين الشريفين، أقدس الماكن الدينية للمسلمين في العالم، مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد نظمت موسم الحج بعدد "محدود جدا" من الحجاج من مختلف الجنسيات من المقيمين فيها بسبب تواصل تفشي وباء مرض كوفيد-19 في المملكة والعالم.[3] وجاء القرار بعدما كانت السعودية علّقت أداء العمرة في آذار/مارس بسبب المخاوف من انتشار الفيروس في أقدس المدن الإسلامية. إلى جانب تراجع إيراداتها النفطية، تخسر المملكة مليارات الدولارات التي عادة ما تجنيها سنويًا من السياحة الدينية. وقد سافر حوالى 2,5 مليون شخص إلى السعودية من جميع أنحاء العالم في 2019 للحج، الفريضة التي يتوجب على جميع المسلمين أداءها مرة واحدة على الأقل في حياتهم إذا كانوا قادرين على ذلك. وغالبا ما يمثّل هذا الحدث تحديًا لوجستيًا ضخمًا حيث تكتظ الحشود الضخمة في الأماكن المقدسة الصغيرة نسبيًا ما يجعل الحاضرين عرضة للعدوى. والسياحة الدينية حيوية بالنسبة لجهود السعودية في وقف الارتهان للنفط وتطوير مصادر دخل بديلة، كونها تساهم في ضخ 12 مليار دولار في الاقتصاد كل عام، وفقا لأرقام حكومية[4].

كان وقع الصور المتداولة لخلو صحن الكعبة المشرفة في الحرم المكي، حزينًا، ومدهشًا، بل ومفاجئًا لكثيرٍ من المسلمين في أصقاع الأرض المختلفة الذين اعتادوا رؤية الحرم ممتلئًا بزوّاره من المجاورين، والزائرين، ومؤدي الفروض اليومية فيه، ولم يكن لأحدٍ – ربما – أن يتوقع منظرًا كهذا، وربما لم يدر في خاطر كثيرين منهم أن يكون الحرم قد تعرض يومًا ما للإغلاق، أو أن شعائر الحج والعمرة التي ارتبطت به قد توقفت.

الإسلام والاوبئة

في تاريخ الإسلام، دفع تفشي الطاعون والأوبئة في عصر الدولة الأموية ودولة المماليك المسلمين إلى اتباع وسائل وقاية متعددة، سرّع بعض الأوبئة بفتوح الإسلام الأولى وسقوط الدولة الأموية [5]، وهو ما ذكره أكثر

---

[1] https://arabic.rt.com/society/1094961؟كيف تتعامل الأديان مع أزمة كورونا الحالية

[2] https://alghad.com/%فيروس كورونا اختبار للأديان.. ومستقبل الإيمان

[3] https://www.france24.com/ar/20200622 السعودية تعلن إقامة الحج بأعداد "محدودة جدا" من المقيمين في المملكة خوفا من تفشي فيروس كورونا

[4] https://www.dw.com/ar/%السعودية على مفترق طرق – خيار الحج إزاء مخاطر كورونا

[5] 31/3/2020عبد القدوس الهاشمي ، ابرز الطواعين و الأوبئة في تاريخ الإسلام منشور على موقع الجزيرة نت بتاريخ https://www.aljazeera.net/turath/2020/3/31/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%86-%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D9%81%D9%8A

من 70 مؤلفاً كتبوا عن الأوبئة والأمراض في التاريخ الإسلامي، منذ القرن الحادي عشر الهجري وما قبله، اشهرها كتاب "الطواعين" لابن أبي الدنيا.

وقد انتشر وباء الطاعون في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في فارس سنة 6هـ، وسُمّي باسم ملكها شيرويه، ثم وقع طاعون "عمواس"، سنة 18هـ، وقال بشأنه "الطبري" في كتابه "تاريخ الطبري" إنه كان فناء للناس، إذ مات بسببه 25 ألفاً، وكان من بينهم الصحابي أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ومعاذ بن جبل.

وكان قرار عمر بن الخطاب عدم الدخول إلى الشام، "فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف، كما جاء في صحيح مسلم.

ولا شك أن النظافة الشخصية من الأساسيات التي تحدّ انتشار أي وباء، وهي ما أوصى به منظمة الصحة العالمية من أجل التخلص من فيروس كورونا، والحد من العدوى، لكن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أوصى بالنظافة من قبل، وجعلها أساساً للطهارة وأداء العبادات، فلا يجوز أن تصلي دون وضوء.

أزمة فيروس كورونا

تعد فيروسات كورونا سلالة واسعة من فيروسات RNA ذات الصلة التي تسبب أمراضًا في الثدييات ومن بينها الانسان والطيور، تصيب هذه الفيروسات البشر وتسبب التهابات الجهاز التنفسي التي يمكن أن تتراوح من خفيفة إلى مميتة، حيث تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس).[1] وهي ذات جزيئات كروية كبيرة تقريبًا لها إسقاطات بصليّة منتفخة وبروزات تشبه الدبابيس. يبلغ متوسط قطر جزيئات الفيروس حوالي 125 نانومتر (125 ميكرومتر). تم اكتشاف فيروسات كورونا لأول مرة في ثلاثينيات القرن الماضي عندما تبين أن عدوى الجهاز التنفسي الحادة في الدجاج المستأنسة ناجمة عن فيروس التهاب الشعب الهوائية المعدي (IBV) ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض كوفيد-19، وهو مرض معد يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر 2019. ويشتبه على نطاق واسع في أنه نشأ من الخفافيش وانتقل إلى البشر، ويتعافى معظم الناس (نحو 80%) من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص. ولكن الأعراض تشتد لدى شخص واحد تقريباً من بين كل 5 أشخاص مصابين بمرض كوفيد-19 فيعاني من صعوبة في التنفس. وتزداد مخاطر الإصابة بمضاعفات وخيمة بين المسنين والأشخاص المصابين بمشاكل صحية أخرى مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب والرئة أو السكري أو السرطان.[2]

---

[1] https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus

[2] فيكتوريا غيل ، فيروس كورونا: كيف انتقل إلى الانسان؟ ، منشور بتاريخ 2020/5/7 على موقع بي بي سي https://www.bbc.com/arabic/world-52564572

أعلنت منظمة الصحة العالمية رسميًا في 30 كانون ثاني يناير 2020 أن تفشي الفيروس يُشكل حالة طوارئ صحية عامة تبعث على القلق الدولي، وأكدت تحول الفاشية إلى جائحة يوم 11 اذار مارس. اعتبارًا من 6 أغسطس 2020، تحوّل مرض فايروس كورونا كوفيد-19 إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم. حيث كان هناك ما لا يقل عن 731,349 حالة وفاة مؤكدة، وأكثر من 19,862,599 حالة إصابة مؤكدة في جائحة فايروس كورونا.[1] وقد أدى هذا الوباء إلى قيود السفر وحالات الإغلاق على الصعيد الوطني في العديد من البلدان.[2]

السياسات الصحية العامة التي اتخذتها الدول لمواجهة الوباء فعالية:

على اثر اندلاع الازمة في مقاطعة ووهان الصينية عدّت جائحة وباء فيروس كورونا المستجدّ أزمة عالمية تؤثر بالفعل على الصحة العالمية عملت منظمة الصحة العالمية عن كثب مع الخبراء العالميين والحكومات والشركاء للإسراع في توسيع نطاق المعارف العلمية عن هذا الفيروس الجديد، وتتبع خطى انتشاره وفوعته، وإسداء المشورة إلى البلدان والأفراد بشأن التدابير المتخذة لحماية الصحة والحيلولة دون انتشار هذه الفاشية.

1. الاختبارات، تتفق منظمة الصحة العالمية والخبراء، على أن التشخيص المبكر عامل أساسي في احتواء انتشار الوباء. لا تقوم الاختبارات بعزل المرضى، ومنع الفيروس من الانتشار فحسب، بل تساعد أيضا في اكتشاف الحالات الجديدة المحتملة، التي قد تكون في المراحل المبكرة.
2. عزل المصابين: حيث يتم إرسال الأشخاص الذين يعانون من ارتفاع في درجة الحرارة إلى عيادات الحمى، واختبار إصابتهم بالفايروس كورونا أو كوفيد 19. إذا كانت نتائج اختبارهم إيجابية للفيروس، فسيتم عزلهم في ما يطلق عليه فنادق الحجر الصحي، لتجنب إصابة عائلاتهم.
3. الاستعداد والتصرف السريع: حيث أنشأت بعض الدول مركزا للتحكم وإدارة الازمات للسيطرة على انتشار الأوبئة، في وقت مبكر.
4. التباعد الاجتماعي: حيث تطلب السلطات من الناس العمل من المنزل، وأغلقت المدارس و الجامعات وأماكن العبادة و التسوق وألغت جميع المناسبات الاجتماعية، والمناسبات الرياضية والفنية.. بحلول أواخر يناير/ كانون الثاني الماضي.
5. تعزيز تدابير النظافة الشخصية: تقول منظمة الصحة العالمية إن غسل اليدين بانتظام، والنظافة الشخصية أمران ضروريان لتجنب العدوى. حيث اوجدت السلطات محطات بها معقمات مضادة للبكتيريا في الشوارع، كما فرضت الاستخدام المنتظم لأقنعة الوجه على نطاق واسع. وعلى الرغم من أن أقنعة الوجه قد لا تكون دائما فعالة، في وقاية مرتديها من الإصابة بالمرض، إلا أنها تقلل من خطر انتقال العدوى، من خلال السعال والعطس.

[1] https://gisanddata.maps.arcgis.com/apps/opsdashboard/index.html#/bda7594740fd40299423467b48e9ecf6
[2] https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-media-briefing-on-covid-19---27-july-2020

دور المؤسسات والمعتقدات الدينية في إيران في اطار مواجهة الوباء العالمي الحالي

تعتبر ايران بلدا نموذجيا لدراسة اثر الدين على مواجهة الوباء الفيروسي نظرًا لكون ايران منذ انشاء نظام الجمهورية الإسلامية على يد اية الله الخميني[1] عام 1979، هي الثيوقراطية الدستورية الأولى والوحيدة في العالم التي تحكم من قبل رجال الدين المسلمين الشيعة، وفق مبدأ ديني ابتكره الخميني في الطائفة الإسلامية الشيعية هو ولاية الفقيه، إضافة الى تقليد جماهير الناس للمراجع الدينية في الحوزات الدينية منذ اقدم العصور. المرشد الأعلى، آية الله على خامنئي، هو صاحب القول الفصل. حيث يُستمد تبرير حكم رجال الدين من مكانة رجال الدين كمترجمين للقانون الإلهي ومرشدين للمجتمع الديني أثناء غيبة الإمام الثاني عشر للشيعة. تكمن القوة المطلقة في يد الفقيه الذي يمتلك حق النقض على جميع جوانب النظام السياسي. يجب أن تكون جميع التشريعات ومشاريع القوانين متوافقة مع الإسلام الشيعي وأن تخضع لحق النقض من قبل مجلس صيانة الدستور.[2] في نظر حكام الجمهورية الإسلامية، الطاعة السياسية "واجب ديني". تستلزم الطاعة السياسية الولاء المطلق لولاية الفقيه والمشاركة في الأحداث التي يرعاها النظام (على سبيل المثال، التصويت في الانتخابات).[3] يتحكم رجال الدين بموارد المحسوبية الهائلة، ويتمتعون بالسيطرة الحصرية على وسائل الإكراه، وسلطة النقض على الممثلين المنتخبين شعبياً.[4]

أن طبيعة التدين الإسلامي الإيراني تبدو أكثر فارسية من ذاك الإسلام العربي، ربما هذا السبب تحديدًا من الأسباب المهمة التي جعلت إيران أرضًا خصبة لانتشار التشيع والتصوف، كما يبدو أن حتى إيران المسلمة لم تستطع تقبل فكرة التبعية لدولة عربية، لهذا كان لا بد من وجود نمط ديني جديد مثل التشيع يكون للدولة الفارسية شديدة الاعتزاز بقوميتها دور الريادة فيه.

يُلاحظ أنّ موقف التيارات الرئيسية الدينية حول العالم، تراوحت بين نوعين من السلوكيات النوع الأول اتّسم بنزعة إيجابية تجاه العلم بمنحه الأفضلية في قيادة مواجهة «كورونا» والتأكيد على الالتزام، ولو بشكل متأخّر أحياناً، والنوع الثاني كان استجابة سلبية، وهنا نناقش هذين الصنفين من الاستجابات الدينية للوباء:

1. **إغلاق دور العبادة أو فرض قيود شديدة عليها** (تقليص المراسم والتباعد والتعقيم، لأنّ هذا الحضور في أماكن العبادة يعزّز التضامن والبعد الروحي والدعم النفسي في مواجهة المرض، ويعزّز من السعي لمساعدة الآخرين، وهذه المنافع تستحق قدراً من المخاطرة المحسوبة، تحدثت الباحثة في مؤسّسة الدراسات الأسرية في مجلة «فورين بوليسي»، 13 آذار 2020 لايمان ستون، عن التحوّل إلى «العبادة

[1] كان الخميني (1909 1989) م مرجعا دينيا في الشيعة الامامية الإثنا عشرية، وهو مجتهد أو فقيه ومؤلف أكثر من 40 كتابا، لكنه معروف في المقام الأول لأنشطته السياسية. أمضى أكثر من 15 عاما في المنفى لمعارضته للشاه الأخير. في كتاباته ووعظه وسع نظرية ولاية الفقيه، لتشمل الحكم السياسي الثيوقراطي من قبل الفقهاء الإسلاميين. هذا الأصل (وإن لم يكن معروفا للجمهور الأوسع قبل الثورة) تم إلحاقه بالدستور الإيراني الجديد بعد طرحه للاستفتاء.

[2] Buchta, W. 2001. Who rules Iran? The structure of power in the Islamic Republic. Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy.

[3] Güneş Murat Tezcür Taghi Azadarmaki, Religiosity and Islamic Rule in Iran, JSSR,Volume47, Issue2,June 2008,Pages 211-224.

[4] Chehabi, H. E. 2001. The political regime of the Islamic Republic of Iran in comparative perspective. Government and Opposition 36:48–70.

الرقمية» عبر الإنترنت ، انه بحسب مسح لمؤسّسة «بيو»، 57% من الأميركيين ممّن يرتادون الكنائس عادة ، قد تحوّلوا إلى العبادة عبر التلفاز أو الإنترنت. وشمل الإغلاق المراكز الدينية الأهم في العالم، مثل الفاتيكان، ومكة المكرمة، والمقامات الشيعية في مدينة مشهد الإيرانية.

2. من جهة أخرى **تمرّدت جماعات هامشية على هذا الاتّجاه، وهي غالبا من خارج المؤسسات الدينية الرسمية** (منها ما زال يرفض حملات التلقيح ويشبّهها بالهولوكوست)، وهم غالبا اتباع الجماعات الدينية المنافسة والمناوئة للمؤسسات الدينية، التي تؤمن بنظرية المؤامرة، حيث راح اتباعها يقيمون صلوات الجمعة في الشوارع، أو حاولوا دخول المراقد الدينية بالقوة (مدينة مشهد مثلاً)، أو مكابرة بعض الكنائس الصغيرة (مثلاً أصرّ الكاهن رودني هووارد براوني من فلوريدا على تحدّي القيود، متحجّاً بأنّ كنيسته «مفتوحة لأننا نربي إحيائيين وليس مخنثين»)[1] أو تعنّت بعض جماعات الحريديم نتيجة اعتقاداتهم الدينية التي تؤدي إلى إفشال مكافحة فيروس كورونا المستجد، برفضهم التعليمات الصحية، ما حول المدن التي يقطنونها إلى بؤر للفيروس، وأجبر الحكومة الإسرائيلية على اتخاذ إجراءات مشددة بحق أحيائهم لإصرارهم على تعاليم دينية صارمة، مثل تأدية الصلاة جماعة، وإقامة حفلات الزواج.. ويكفي أن وزير الصحة «الحاخام الحريدي» (يعقوب ليتسمان) القائل بأن «فيروس كورونا عقاب ضد المخنثين»، أصيب وزوجته بالفيروس بعد مخالفته تعليمات الطوارئ الاحترازية، التي كانت وزارته مسؤولة عنها وتقود تنفيذها، وفي هذا الموضوع تقول الكاتبة الإسرائيلية «جيسكا آبل»: إن «السكان الذين لا يعرفون أي علم، ليسوا مؤهلين لفهم خطر الفيروس، والشخص الذي لم يتعلم أبداً الرياضيات لا يمكن أن نتوقع منه فهم الرسوم البيانية التي توضح تصاعد عدد الإصابات»، وأضافت: «عندما يُقال للسكان الذين يعتبرون قادتهم الدينيين معصومين من الخطأ، وأن التوراة ستحميهم، وأن مبادئ تطبيق القانون العلمانية نازية ومعادية للسامية.[2] سيكون من السهل عليهم عدم الامتثال للأوامر والاستهانة بخطر الفيروس». وفي تقرير نشرته صحيفة «هآرتس»، يقول الكاتب «آرون رابينوفيتش»: «لعل إسرائيل تعتمد على التكنولوجيا بالدرجة الأولى في مكافحة انتشار المرض، والهواتف الذكية التي من شأنها مساعدة السلطات في تحديد أماكن المصابين، تواجه وزارة الصحة صعوبة في تحديد الحالات المحتملة للفيروس التي تتطلب العزل في المدن المتطرفة، نظراً لمعتقداتهم الدينية حول استخدام الهواتف الذكية، ووصول الأمر إلى تحريمها»[3]، وفي تقريره الذي نشره موقع "ديلي بيست" الأميركي، قال الكاتب دونالد كيرك إن إحدى الكنائس في كوريا الجنوبية –التي يقول مؤسسها إنه يمثل النزول الثاني للمسيح على الأرض، ولديه رؤى فريدة حول الوحي الإلهي– تلقت الكثير من اللوم على تزايد انتشار فيروس كورونا المميت في كوريا، كونها تفرض الحضور للعبادة أثناء المرض الذي تعتبره خطيئة. وقد زعم

[1] https://al-akhbar.com/Community/287222.
[2] https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-israel-s-ultra-orthodox-jews-face-coronavirus-devastation-they-need-face-masks-1.8728283
[3] https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-first-coronavirus-wave-hit-jerusalem-s-ultra-orthodox-second-wave-hit-whole-city-1.8988917

مان - هي زعيم الطائفة المسيحية الباطنية أنّ انتشار المرض هو «صنيعة الشيطان في سعي لإيقاف الانتشار السريع لكنيسته[1].»

تحيل أثر الوباء على الجماعات الدينية في إيران

نود أن نحلل استجابة الدين بمؤسساته الرسمية والشعبية في منطقة العالم الإسلامي، لنقف على حقيقة دور الدين في الأوبئة وسنركز على الدول الأكثر تدينا أي التي يمثل الدين جزءا من طبقتها الحاكمة التي لها تماس مباشر مع عملية صنع القرار السياسي، وستكون دول مثل إيران والعراق والسعودية ومصر وإسرائيل كحكومات وطوائف دينية هي محور التحليل.

تعد دول ذات اغلبية مسلمة مثل ايران و العراق من ابرز الدول تأثرا بجائحة فايروس كورونا لما تتمتع به جمهورية ايران الإسلامية من خصوصية كونها جمهورية ثيوقراطية يحكمها رجال الدين من الطائفة الشيعية الإسلامية، ويعتبر رجال الدين في إيران هم أصحاب القول الفصل ويشاركون في جميع شؤون الدولة، وحيث للطقوس الدينية المتعلقة باعتقادات الطائفة أهمية بارزة في الحياة اليومية للمواطنين، وتلقى اهتماما من الدولة كونها تمثل تعزيزا لشرعية النظام السياسي، وبالتالي بالعراق كونه حاليا يقع تحت نفوذ مباشر، وقوي للنظام الإيراني، حيث تحكمه شبكة أحزاب دينية، وميليشيات مرتبطة بالحكم ونمط التدين الإيراني، وتشهد العلاقات السياسية والدينية بين البلدين نشاطا مؤثرا له اثر واضح في على مجريات الحياة في البلدين.

1. الوضع الخاص بجائحة فيروس كورونا في إيران 2020

بلغ عدد حالات الإصابة بفايروس كورونا لغاية 10 أب أغسطس: 326,712 حالة إصابة، بينما بلغت عدد حالات الوفاة 18,427، اما عدد حالات الشفاء المسجلة فتجاوزت 270,228 وذلك حسب الإحصاءات العالمية، علما أن ايران متهمة بعدم إعطاء احصائيات دقيقة لاسباب سياسية.

وباستعراض السيرة الوبائية لمرض فايروس كورنا في ايران نستنتج انه تم تأكيد جائحة فيروس كورونا في إيران في 19 فبراير 2020 في مدينة قم المقدسة[2]. التي تعتبر المدينة الدينية الثانية في ايران، و يبلغ عدد سكانها 1.2 مليون نسمة، و تعتبر محج ديني شيعي بارز، وفي 12 مارس 2020 بحسب السلطات الصحية الإيرانية، كان هناك 429 حالة وفاة بمرض فيروس كورونا 2019 في إيران وأكثر من 10 الاف إصابة مؤكدة. حتى نفس التاريخ، كانت إيران الثالثة عالميا في أكبر عدد وفيات بالفيروس بعد بر الصين الرئيسي وإيطاليا.

---

[1] https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2020/2/259 \ كوريا الجنوبية كيف تسببت عبادة دينية

[2] تبعد مدينة قم المقدسة عن العاصمة الايرانية طهران 135 كم، وتعتبر المدينة المقدسة الثانية بعد مدينة مشهد المقدس حيث مزار تبعد مدينة قم المقدسة عن العاصمة الايرانية طهران 135 كم، وتعتبر المدينة المقدسة الثانية بعد مدينة مشهد ، و تحتضن العتبة الفاطمية ، و هو مرقد فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم سابع الأئمة الاثنا عشر وأخت الإمام علي بن موسى الرضا. و يعتبر محج شيعي بارز و تتضمن المدينة عدة قبور شيعية اخري يتم زيارتها للتبرك بها و أداء النذور و تقديم التبرعات العينية طلبا للمغفرة و الشفاء و تحقيق الرغبات عن طريق التواصل الروحي مع أرواح الاولياء من ال البيت النبوي و إقامة مجالس عزاء حسب المعتقد الشيعي .

من اللافت انه لم تكن العاصمة طهران أو المراكز السياحية هي نقطة تفشي الفيروس في إيران، بل مدينة قم غير جذابة للكثير من الناس نظراً لموقعها في وسط الصحراء، وبيئتها الاجتماعية المتشددة. وكانت الصفة الدينية التي تتمتع بها المدينة –عش آل محمد ومأوى شيعتهم" – تهدف إلى طمأنة المؤمنين في جميع أنحاء العالم بأنها محصنة ضد الأوبئة وغيرها من الكوارث. وبالفعل، يبدو أن اقتناع الشيعة بمناعة قم ضدّ الكارثة راسخاً بقدر إيمان المسلمين الأوسع بمكة المكرمة والمدينة المنورة. صحيح، ان مدينة قم كانت قد تعرضت للدمار مراراً وتكراراً وتمّ إخلاؤها على مرّ القرون بسبب الصراعات البشرية والكوارث الطبيعية على حد سواء. على سبيل المثال، تسببت المجاعة الفارسية الكبرى في الفترة 1870–1872 بتراجع عدد سكانها بنسبة 30 في المائة.[1] غير أن قدرتها على الصمود والنهوض من جديد لم تسهم سوى في ترسيخ صورتها الأسطورية في أذهان المؤمنين –وهي قناعة لا تنبع أصولها من تفاني المصلّين الفرديين فحسب، بل من شبكة معقدة من الثيولوجيا والمؤسسات الاجتماعية والموارد المالية وكذلك علاقات القوة السياسية التي يعيشون فيها. وبدى أن مكانة قم بصفتها العاصمة الإيديولوجية للثورة الإسلامية قد ساهمت في جعلها مركز انتقال العدوى إلى سائر المناطق الإيرانية وسبع دول أخرى على الأقل.

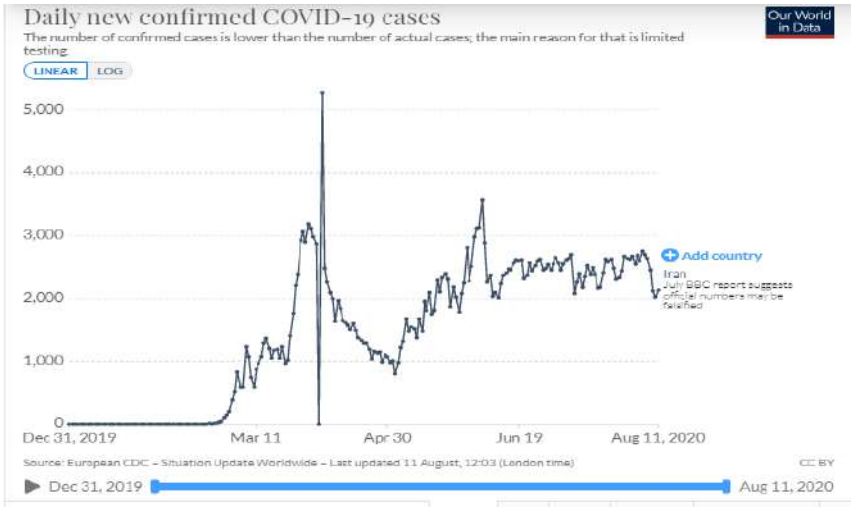

مخطط عدد حالات الإصابة بمرض فايروس كورونا في إيران، المصدر: المركز الأوروبي للوقاية من الامراض.

استجابة المؤسسات الدينية الموازية

وبتتبع استجابة المؤسسات الدينية الموازية التي تمثل التدين الشعبي نلاحظ على سبيل المثال تصريح إمام في مدينة قم الإيرانية، في إحدى خطب الجمعة، هو عباس موسوي مطلق، بإن كورونا هو "فيروس علماني"، وإنه "يسعى بآثاره المدمرة (..) لقيادة البلدان المتدينة إلى الضلال ونحو الإلحاد"، محذرا من أن تتأثر احتفالات شهر محرم القادمة بسبب الفيروس، مؤكدا أنه من الواجب على الناس اتباع تعليمات "الخبراء الدينيين فقط" في إقامة مراسم محرم[2]. ولفت امام أخر هو علي رضا بناهيان، المقرب من المرشد الأعلى علي خامنئي، في تصريحات لوكالة أنباء تسنيم الإيرانية إلى أنه "وفق الروايات ظهور الامراض والأوبئة ومنها كورونا هو

[1] MELVILLE, CHARLES (1988-12). "The Persian Famine of 1870-1872: Prices and Politics". *Disasters*. **12** (4): 309–325

[2] https://www.alhurra.com/iran/2020/07/25/ "فيروس علماني".. آخر تصريحات رجال الدين في إيران عن كورونا

مقدمة لظهور الإمام المهدي"، ودعا الإيرانيين إلى نشر الفيروس بين الناس، لأن ذلك سيعجل بظهور المهدي، على حد تعبيره. وقال آنذاك إنه "من أهم فلسفات كارثة ظهور فيروس كورونا قبل ظهور المهدي، هو أن يفهم البشر ضرورة وجود شخصية لإدارة هذا العالم." وأشار الى أن "العالم يعاني من مخاوف واسعة النطاق والعديد من المشاكل الاقتصادية والوفيات، وسيحتاج الناس إلى حكومة دينية يقودها الإمام المهدي[1]. "وقد سبق أن صرح رجال دين مسؤولون في النظام الإيراني عن افتراضات غريبة حول الوباء، اذ قال رجل الدين المتشدد، "آية الله محمد سعيدي"، في مارس/ آذار الماضي: إن "المبالغة في تقدير خطر الوباء هو مؤامرة من قبل الأعداء". مشيراً إلى أن "كورونا هو جزء من صراع الحضارات الذي تحرض عليه القوى الغربية ضد الإسلام والمسلمين[2]."

و من منطلق عقائدي و سياسي شارك في هذه التصريحات الغريبة راس النظام الإيراني و مرشد الثورة الإيرانية "علي خامنئي"، الذي اتهم الإدارة الامريكية التي تمارس ضغوطات كبيرة على نظامه و تفرض حصارا اقتصاديا منذ شهور، اتهمها صراحة في كلمة بثها التلفزيون الإيراني في مارس/ آذار بـ "صناعة" فيروس كورونا وذلك "بشكل يتناسب مع جينات الإيرانيين"، رافضا العرض الأميركي لمساعدة طهران في مكافحة المرض. كما أعلن المرشد الأعلى للبلاد آية الله علي خامنئي في خطبته بمناسبة العام الإيراني الجديد، في 22 آذار / مارس، أن "الأعداء البشريين" وكذلك الجن أو "الأرواح الشريرة" هم المسؤولون عن تفشي الوباء. وقال للأمة "لدينا قوى الجن والبشر تعمل معا".

وذكر الباحث ميسم بهرافيش، في تقرير نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية أنه قبل أربعة أيام من إعلان إيران رسمياً عن أولى حالات كورونا، عقد المرشد الأعلى الإيراني آية الله على خامنئي اجتماعاً معتاداً يوم 15 شباط فبراير مع مجموعة من رجال الدين لم يسمح رجال الأمن بالاقتراب من المرشد وتقبيل يده كما هو معتاد. ولفت التقرير إلى تصريح محمد حسين بحريني رئيس جامعة مشهد للعلوم الطبية في مقابلة مع وكالة أنباء الطلبة الإيرانية التي تديرها الدولة، بأن وجود 700 طالب صيني يدرسون الفقه في معهد قم كان سبباً في تمهيد الطريق لنشر فيروس كورونا في جميع أنحاء إيران.[3] بينما صرح مهدي طائب، رئيس مقر عمار الإيراني: "الولايات المتحدة هي التي صنعت كورونا؛ وذلك لقطع خط البصيرة الدينية والإرشاد الإلهي، بعدما رأت أن إيران أصبحت شعلة لإرشاد العالم".[4]

ويتضح الخطاب الديني الشعبوي من إطلاق العنان لنظريات مؤامرة مفادها أن الفيروس كان سلاحًا بيولوجيًا، بل إنه كان جزءًا من الجهود المبذولة لتقويض انتخابات برلمانية انتصر فيها المتشددون وابراز مفهوم بأن "أيادي العدو الخفية" كانت وراء التوصيات الصحية الطارئة الصادرة عن مجلس الوزراء.[5] وقد حاولت الحكومة الإيرانية استغلال تفشي الوباء لتصعد من ضغوطها الدبلوماسية والإعلامية على واشنطن لرفع العقوبات

[1] https://russiarab.com/archives/49401/" خطيب إيراني: فيروس كورونا "علماني
[2] https://www.alarabiya.net/ar/iran/2020/07/25 خطيب-ايراني-يفجر-فضيحة-كورونا-فيروس-علماني-
[3] https://foreignpolicy.com/2020/03/24/how-iran-botched-coronavirus-pandemic-response/
[4] https://www.almarjie-paris.com/14972
[5] https://www.ft.com/content/8e9b50bb-ebf7-4702-9894-1f2081ae869a

الاقتصادية المفروضة عليها منذ أغسطس 2018، عبر اتهام الولايات المتحدة بأنها تعرقل الحرب العالمية ضد فيروس كورونا المستجد، وهو ما ردده وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، والرئيس حسن روحاني مرارًا. [1]وكما ذكر سعيدي في خطاب ألقاه في 22 شباط/فبراير، "لا أحد يسمح للعدو بتصوير قم على أنها مدينة غير آمنة؛ هزيمة قم هي حلم ترامب الخائن ومرتزقته المحليين، لكن هذا الحلم لن يتحقق حتى في قبرهم ... والآن أصبح واضحاً أن هذا الرجل الخبيث والقذر والشيطاني [ترامب] استهدف قم كونها حرم آل محمد ومهد الثورة الإسلامية وملاذ شيعة العالم ... [و] موطن أولئك الشجعان والأبطال والمخلصين للمرشد الأعلى. [ترامب] يريد أن يجعل من فيروس كورونا ذريعة لضرب مكانة قم الثقافية".

لقد كانت القرارات الاولية غير المسؤولة بشكل خطير التي اتخذتها السلطات بشأن التدابير الوقائية في قم توفّر نافذة إلى توجه النظام نحو تصديق الأساطير من الناحية الدينية. وقد عارض كل من المرشد الأعلى علي خامنئي والمؤسسة الدينية التي يديرها التوصيات الطبية التي قدمتها لهما وزارة الصحة، بما فيها دعوات لإقامة محاجر صحية في قم. ويميلان إلى تبرير مقاومتهما بالإشادة بالمناعة الإلهية للمدينة، حتى أنهما ذهبا إلى حدّ تشجيع الناس على زيارة حرم فاطمة المعصومة المحلي والصلاة لشفاء المرضى بأعجوبة. وعندما أصرّ مسؤولو الصحة على فرض حجر صحي على الحرم نفسه، انضم محمد سعيدي –متولي عتبة السيدة فاطمة وأبرز ممثل ديني لخامنئي في قم –إلى السلطات الدينية الأخرى في رفض القرار، مما أدى إلى تأخير كبير في تطبيق التدابير الوقائية الضرورية للغاية.[2] في حين عرقل رجال الدين المسؤولون عن هذه المقامات السيطرة على الفيروس وقاوموا حتى قرارات مجلس أمن المحافظة ومجموعة العمل لاحتواء كورونا. وتشير تقديرات بعض المصادر غير الإيرانية –الحكومية إلى أن عدد الإصابات والوفيات بالفيروس أعلى بكثير من البيانات الرسمية. كما اتُهمت الحكومة الإيرانية بالتستر والرقابة وسوء الإدارة.[3] في حين تم تشخيص إصابة عدد من كبار المسؤولين الإيرانيين بفيروس كورونا، منهم: نائب وزير الصحة إيراج حريرجي، ونائبة رئيس شؤون المرأة والأسرة معصومة ابتكار، ورئيس لجنة الأمن القومي والشؤون الخارجية في البرلمان مجتبى زنونور، ورئيس خدمات الطوارئ الطبية بيرهوسين كوليفاند، والنائب الأول للرئيس إسحاق جهانغيري، ووزير التراث الثقافي علي أصغر منيسان، ووزير الصناعة رضا رحماني، وعضو مجمع تشخيص مصلحة النظام علي أكبر ولايتي.[4] وتم الإبلاغ عن إصابة 23 عضوًا في البرلمان الإيراني، 8 ٪ من مجموع النواب، تم تأكيد إصابتهم في 3 مارس 2020.[5] توفي أيضًا أول سفير لإيران لدى الفاتيكان، هادي خسروشاهي،[6]

[1] https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2020/05/07/% دبلوماسية الكورونا في إيران جهود إدارة روحاني الخاطئة من أجل رفع العقوبات

[2] https://kitabat.com/news/% دعم مالي للحوزة .. بعد إنهيار السياحة الدينية في إيران !

[3] https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed559f9b4d0a03c2a782d4d

[4] https://www.bbc.com/arabic/middleeast-51637891.

[5] https://aawsat.com/home/article/2160736/ « إصابة 23 نائباً في البرلمان الإيراني بـ«كورونا

[6] https://www.i24news.tv/ar/% إيران: وفاة رئيس الدبلوماسية الأسبق بفيروس كورونا

وعضو مجمع تشخيص مصلحة النظام محمد مير محمدي[1]، والدبلوماسي حسين شيخ الإسلام، والنائبين السابقين فاطمة رهبر ومحمد رضا رحشماني. والقائد الأعلى للحرس الثوري ناصر شعباني. وكان وزير الخارجية السابق علي أكبر ولايتي أعلن الأسبوع الماضي أنه أصيب بالفيروس التاجي، وممن توفي متأثرا بإصابته بالفيروس العالم الإيراني مصطفى خرمدل.

اجتهد رجال دين ايرانيون في ابتكار ادوية شعبية من الأعشاب و الزيوت و بذور الاعشاب مستوحاة من الطب النبوي لعلاج مرضى فايروس كورونا[2]. حيث اثار رجل الدين الإيراني عباس تبريزيان، الذي يعرف في إيران باسم "أب الطب الإسلامي"، يثير مرة أخرى ضجة بنصائحه الطبية التي يرى بموجبها أن ارتداء الكمامات للوقاية من فيروس كورونا ينبغي أن يقتصر على النساء دون الرجال لأسباب صحية، على حد زعمه. وكتب آية الله عباس تبريزيان على قناته التي يتواصل بها مع جمهوره من المؤمنين على تطبيق تلغرام للتراسل يقول: "إن الرجال بسبب وجوب نفقة الأسرة عليهم أن يخرجوا من البيت ليقوموا بأنشطة كثيرة خارج البيت، لذا في حال ألزموا بتغطية وجوههم لفترات طويلة سيؤدي ذلك إلى الإصابة بالأضرار والأمراض، نتيجة لتراكم غاز ثاني أوكسيد الكربون خلف الكمامة، بعبارة أخرى لربما أن يكون هذا الإجراء يؤدي إلى الإضرار أكثر من الفوائد، لذا يعتبر مكروها من الناحية الشرعية[3]."

وفي أيار مايو، أفادت وسائل إعلام إيرانية بهروب رجل دين إيراني أثار ضجة في البلاد، وعلى مواقع التواصل بعد أن ظهر في مقاطع مصورة متنقلاً بين المصابين بفيروس كورونا، مشجعاً إياهم على استنشاق زيت معطر زاعماً أنه "زيت من النبي" يشفي المصابين. وكان كوهنسال الذي ادعى أن لديه "علاجًا معجزة" أطلق عليه "عطر النبي"، أعطى لأحد الشبان المرضى علاجه هذا قبل أن يتوفى الأخير بعد ذلك بثلاثة أيام[4]. اما المرجع الديني الإيراني ناصر مكارم شيرازي، فقد أصدر فتوى استخدام دواء محتمل قد تطوره إسرائيل لشفاء المصابين بفايروس كورونا المستجد، قائلا إن ذلك يجوز بشرط واحد هو ألا يكون هناك بديل عن هذا العلاج. لكن شيرازي يعتقد أن هناك علاجا أفضل أوصى به الناس في وقت سابق هو "الإكثار من قراءة دعاء زيارة عاشوراء وحديث الكساء" للوقاية من كورونا[5].

وفضلاً عن تفاقم مشاعر الناس بالهلع والغضب، فمن المؤكد أن تؤدي هذه التطورات إلى توسيع الفجوة الثقافية بين المؤسسة الدينية وسكان المدن المثقفين من الطبقتين الوسطى والمتوسطة العليا في إيران. وفي السنوات الأخيرة، ساهمت المشاحنات القائمة منذ وقت طويل بين رجال الدين الشيعة والطاقم الطبي في تغذية منحى كان سابقاً هامشياً، ألا وهو: رفض الطب الحديث من دون مساومة والترويج لـ "الطب الإسلامي" باعتباره العِلْم الحقيقي المستلهم من المعرفة الإلهية. وقام مسؤولو النظام بالترويج لـ "الطب الإسلامي" بشكل

---

[1] https://www.aa.com.tr/ar/% وفاة مسؤول إيراني بفيروس كورونا

[2] https://www.alhurra.com/iran/2020/07/25/

[3] https://www.elwehda.com/Akhbar-Al-Alm/5027883/% رجل دين إيراني: كمامة كورونا للنساء فقط وليست للرجال

[4] http://www.innlebanon.com/news/article/856929/

[5] https://alarab.news/%فتاوى-كورونا-عقيدة-رجال-الدين-لاستغفال-العامة

منهجي بالتوازي مع الرعاية الطبية الحديثة، رغم أن العبارة لم تستحدث منذ وقت بعيد وتفتقر إلى أي تقليد تاريخي أو شرعية تاريخية عميقة.

استجابة الحكومة الإيرانية لازمة وباء فايروس كورونا

على الرغم من تصريحات خامنئي و بقية رجال الدين المجنحة في الدوغما الدينية والسياسية، فقد أخذت الحكومة بعد ذلك الاعتبارات البراغماتية في الاعتبار عند تنفيذ إجراءات ضد الفيروس، وفعلت ذلك بحزم، مع إيلاء القليل من الاهتمام للحساسيات الدينية لمواطنيها. وكاستجابة أولية للجائحة أعلنت وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني إلغاء جميع الحفلات الموسيقية وغيرها من الفعاليات الثقافية لمدة أسبوع.[1] كما أعلنت وزارة الصحة والتعليم الطبي عن إغلاق الجامعات ومؤسسات التعليم العالي والمدارس في عدة مدن ومحافظات.[2] كما اتخذت وزارة الرياضة والشباب خطوات لإلغاء الأحداث الرياضية، بما في ذلك مباريات كرة القدم. وأنشأت وزارة الدفاع والخدمات اللوجستية للقوات المسلحة أول مجموعة اختبار مرض فيروس كورونا 2019 في 23 فبراير. كما أعلنت منظمة الإدارة والتخطيط أن الحكومة خصصت 5 تريليون لمكافحة الفيروس. وأمر الرئيس حسن روحاني وزارة الطرق والتنمية الحضرية باتخاذ قرارات بشأن التنقل العام، ووزارة الصناعة والمناجم والتجارة لبناء المعدات الطبية المطلوبة.

وفي 26 شباط فبراير 2020 قال الرئيس روحاني في أنه لا توجد خطط لحجر المناطق المتضررة من تفشي المرض، وسيتم فقط الحجر الصحي على الأفراد. بينما اكدت وزارة الصحة الإيرانية تعليق صلاة الجمعة في طهران والمناطق المتضررة من تفشي الوباء في ذلك الأسبوع.[3] كما أفرجت السلطات عن اعداد من السجناء من الأقل خطرا لتخفيف اكتظاظ السجون. وأعلنت السلطات، في 16 آذار / مارس، أنها ستغلق مرقد الإمام الرضا الثامن في مدينة مشهد، وضريح شقيقته فاطمة بنت موسى، في مدينة قم المقدسة للحج، للحد من انتشار المرض كما أصيب العديد من رجال الدين هناك.[4] وعقب الإعلان، تجمع المتظاهرون الغاضبون أمام الحرمين وحاولوا اقتحام البوابات المؤدية إلى الحرمين. انتشرت مقاطع الفيديو الخاصة بالمظاهرات بسرعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.[5] وفي سياق الرقابة المفروضة على الاعلام أعلنت شرطة الإنترنت الإيرانية عن إصدار إشعارات لـ 118 شخصًا، واعتقال 24 آخرين لوقف نشر الصور ومقاطع الفيديو التي اعتبرتها غير الصحيحة ومزيفة حول وضع انتشار الوباء في ايران، اعتبرت هذه الاتهامات كمحاولة من الحكومة للسيطرة على تدفق المعلومات.

كان أعلى مستوى سابق للإصابات هو 3,186 حالة في 30 مارس/آذار، خلال التفشي الأول للمرض، الذي أصبحت فيه إيران أحد أكثر البلدان تضررا بتفشي الفيروس بعد الصين. وفي ذلك الوقت، أُنتقدت السلطات الإيرانية لترددها في إغلاق المساجد والأماكن الدينية الرئيسية في مدينة قم، وعدم مسارعتها إلى تقييد الحركة

[1] https://www.alayyam.info/news/842OKVMV-9OD4ON-8B27
[2] https://www.rferl.org/a/coronavirus-iran-closes-schools-other-measures/30470194.html
[3] https://arabic.cnn.com/health/article/2020/02/27/iran-cancel-friday-prayers-week-says-health-minister
[4] https://english.alarabiya.net/en/News/middle-east/2020/03/07/Two-Iranian-religious-figures-latest-to-die-of-coronavirus-in-Iran
[5] https://www.dw.com/en/how-the-coronavirus-has-altered-iranians-view-of-faith/a-53215872

وإعلان حالة الإغلاق العام. لكن ما لبث أن أعلن رئيس إيران، حسن روحاني، إعادة فتح المزارات الدينية والثقافية والمواقع الأثرية في البلاد ابتداء من يوم الأحد، وذلك في إطار تخفيف القيود المفروضة لاحتواء وباء فيروس كورونا المستجد[1]. وكان ذلك بالتزامن مع حلول عيد الفطر. لكن الرئيس الإيراني حث زوار المراقد على تجنب التجمعات الحاشدة والالتزام بالتباعد الاجتماعي. وتم الزام زوار مرقد الشاه عبد العظيم في طهران بوضع كمامات الوجه، والسير عبر نفق للتطهير وفحص درجة حرارتهم ولم يسمح لهم بالدخول الى داخل الضريح، واكتفى المصلون بأداء صلواتهم والدعاء في باحة الضريح، مع التزام تدابير التباعد الاجتماعي.

في وقت لاحق من الأسبوع، أعلنت السلطات عن قرار إعادة فتح المساجد والمقامات في جميع أنحاء البلاد[2]. وهكذا كانت تم فتح المزارات الدينية، التي كان بعضها بؤرا لانتشار الفيروس في إيران، بالتدريج حيث فتحت الاضرحة للزوار ثلاث ساعات في الصباح وثلاث ساعات بعد الظهر. مع فرض قيود على دخول العديد من "العتبات المقدسة"، خصوصاً المتواجدة في قم المدينة التي تعتبر بؤرة تفشي الوباء، والحضرة الرضوية في مشهد شمال شرقي البلاد وثاني أكبر مدن إيران والمزار الكبير، العاصمة الروحية للشيعة في إيران ويزورها أيضا أبناء الطائفة الشيعية من مختلف الدول الإسلامية. حيث لا يسمح بدخول الزوار إلى أماكن العبادة هذه إلا بعد تزويدهم بـ "سائل مطهر لليدين، والمعلومات المناسبة بشأن المرض، وأقنعة واقية، وبضرورة التحرك المستمر أي عدم التجمع، فقط يؤدون صلواتهم ويغادرون، بحسب الوزير.

من ذلك، يرى خبراء أن تعامل الحكومة الإيرانية مع جائحة كورونا يتميز بالتناقض، فبيانات رجال الدين تذكر الجانب الروحي بينما تصرفاتهم تمتاز بالبراغماتية، وبالرغم من هذه التصريحات إلا أن تصرفات الحكومة في التعامل مع الفيروس تميزت بالبراغماتية الشديدة، بل ولم تبد اهتماماً كبيراً بالجانب الديني. حيث اتخذت السلطات قرار غلق المزارات والمراقد الدينية، الذي لم يتفق الكثير من الإيرانيين معه، حيث تجمع حشد من المحتجين الغاضبين أمام الضريحين محاولين كسر الأبواب للدخول، وانتشرت العديد من مقاطع الفيديو تظهر هذه المحاولات وغيرها من ردود الفعل الغاضبة على وسائل التواصل الاجتماعية. لكن هذه التصرفات ممن اعتبرهم البعض "متشددين" لاقت رفضاً واسعاً سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي. فعضو البرلمان ورجل الدين الإيراني "أحمد مازني" الذي يحسب في صفوف المعتدلين، وصف هذه الأفعال بـ"الجهل المقدس[3]."

وكانت وزارة الصحة الإيرانية قد صرحت إن ما يقدر بنحو 25 مليون شخص أصيبوا بفيروس كورونا في إيران في الأشهر الخمسة الماضية، مع حوالي 14000 حالة وفاة. وحذرت الوزارة في تقرير من أن 30 إلى 35 مليون شخص آخرين في البلاد من المرجح أن يتأثروا بالفيروس القاتل في الأشهر المقبلة. وقال الرئيس

[1] https://www.france24.com/ar/ إيران-تعيد-فتح-مزارات-دينية-رئيسية-بعد-شهرين-من-الإغلاق-بسبب-فيروس-كورونا

[2] https://www.bbc.com/arabic/middleeast-52784320

[3] https://www.dw.com/ar/% بين العلم و"الجهل المقدس" . كورونا يضع إيران أمام مأزق عقائدي !

الإيراني حسن روحاني، خلال اجتماع له بالمسؤولين إن الموجة الأولى من تفشي الفيروس قد انتهت، والآن تكافح البلاد موجة ثانية من الوباء[1].

واندلعت احتجاجات شعبية في الشوارع في جنوب غرب إيران الأسبوع الماضي تنقد المؤسسة الدينية وتوقع المراقبون العديد من المظاهرات القادمة وسط الاقتصاد المتعثر في البلاد والغضب من مستوى تعامل السلطات مع جائحة فيروس كورونا. حيث هتف أهالي مدينة بهبهان[2]. بشعارات مناهضة للحكومة من بينها "نظام الملا لا نريده!" قبل تفريق مظاهرة 16 يوليو/ تموز على عجل من قبل الشرطة باستخدام الغاز المسيل للدموع. اذ إن الوباء أدى إلى تفاقم وضع "الفقراء وحتى البعض في الطبقة الوسطى" الذين يواجهون الآن المزيد من المشاكل المالية التي خلقت ضغوطًا يصعب على الناس تحملها.[3] وتحت ضغط من العقوبات الامريكية التي خفضت صادرات النفط المصدر الرئيسي للدخل في البلاد، و تعاني إيران من ارتفاع معدلات التضخم، نحو 40 في المئة في 2019، فيما هبطت العملة الوطنية الى أدنى مستوياتها مقابل الدولار في فترة الجائحة الاخيرة. و يتوقع صندوق النقد الدولي (IMF) أن ينكمش الاقتصاد الإيراني بنسبة 6٪ هذا العام.[4] قال تقرير صدر في أبريل عن مركز الأبحاث البرلماني في البلاد إن ما يصل إلى 6.43 مليون إيراني قد يفقدون وظائفهم بسبب فيروس كورونا الذي أودى بحياة 19 ألف شخص على الأقل وأصاب أكثر من 330 ألفًا. كما إن الشركات السياحية في مدينة قم، التي تعتمد عائداتها على زوار الضريح ، قد تضررت بشدة من الجائحة و تكافح هي الأخرى من أجل البقاء وتخشى تأثير الموجة الثانية المتوقعة في الخريف . وتحاول حكومة حسن روحاني أن تبقى الاقتصاد الإيراني مفتوحًا على الرغم من ارتفاع عدد الإصابات بفيروس كورونا . باعتبار أن إغلاق الاقتصاد يؤثر سلبا على حياة الناس.[5]

بعد أربعة أشهر، تغير الخطاب. يقول المحللون إن السكان الشباب في البلاد، والنهج الاستباقي للأطباء الإيرانيين، والنظام الصحي الذي تم تجديده في عهد الرئيس حسن روحاني، والجيش الرشيق، الذي أنشأ مستشفيات مؤقتة وساعد في فحص 80 مليون نسمة، كلها ساعدت الحكومة في احتواء العدوى.

لقد لعبت القوات المسلحة دوراً بناءً من خلال مساعدة القطاع الصحي. كما لم يرغب كبار رجال الدين نهاية المطاف في أن يكونوا مسؤولين عن أي ارتفاع في الوفيات على الرغم من أن إغلاق الاحتفالات سيضر بالمعتقدات الدينية على المدى الطويل". كما قال مسؤولون ومحللون إن تعاون كبار رجال الدين أخيرا مع السلطات الصحية كان حاسما.[6] اذ سمحوا للمسؤولين بفرض قيود على الطقوس والجنازات وأثبطوا المتعصبين

---

[1] https://www.aa.com.tr/en/middle-east/iran-says-it-has-25m-coronavirus-infections/1914773.

[2] بهبهان مدينة إيرانية تقع غرب البلاد في محافظة خوزستان يبلغ عدد سكانها حوالي 196,836 نسمة غالبيتهم من اللر البختياريين، تبعد بهبهان عن مدينة الأهواز حوالي 300 كم شرقاً.

[3] https://www.rferl.org/a/iran-s-deteriorating-economy-raging-coronavirus-have-raised-fears-of-renewed-street-protests-/30741923.html ز

[4] https://www.france24.com/ar/ صندوق النقد يتوقع أسوأ انكماش لاقتصاد الشرق الاوسط منذ أربعة عقود

[5] https://www.voanews.com/covid-19-pandemic/rouhani-despite-rise-irans-covid-19-cases-economy-must-stay-open

[6] https://indianexpress.com/article/opinion/how-the-coronavirus-has-altered-iranians-view-of-faith-6382804/

الدينيين الذين تحدوا تعليمات الدولة في البداية. حتى أن بعضهم أطلقوا مقاطع فيديو لأنفسهم وهم يلعقون أبواب الأضرحة لإظهار أن الأماكن المقدسة لا يمكن أن تكون معدية.

مع ذلك يبقى الصوت الأعلى هو صوت رجال الدين، فعلى الرغم من تصاعد حالات الإصابة بفيروس كورونا في إيران وحظر حفلات الزفاف والجنازات الكبيرة، ستُقام تجمعات المعزين الشهيرة في البلاد خلال شهر محرم الشيعي[1]. وأعلن الرئيس الإيراني حسن روحاني القرار المثير للجدل في وقت سابق وسط تكهنات بأنه سينحني تحت ضغط من المتشددين الذين يعارضون أي قيود على الاحتفالات الدينية أو إغلاق المزارات بسبب الوباء. وقال روحاني، الذي قال إن إحياء ذكرى محرم "لا يمكن إلغاؤها"، إن جميع التجمعات يجب أن تتم وفق البروتوكولات الصحية. وقال "نريد الحداد وعدم إصابة مشيعي الإمام الحسين"، مشيرًا إلى أن التجمعات التي تستقطب الآلاف ستكون محدودة، خاصة تلك التي تقام في أماكن مغلقة. قوبل إعلان روحاني بانتقادات من قبل خبراء الصحة وغيرهم ممن يخشون من أن التجمعات التي تجتذب حشودًا كبيرة قد تؤدي إلى زيادة أخرى في الإصابات.

ونقلت وكالة الانباء الايرانية الرسمية ايرنا عن آية الله مكارم شيرازي المقيم في قم قوله يوم 28 يوليو تموز "لدينا بعض المبادئ التي لا يمكننا التخلي عنها على الاطلاق بما في ذلك الحداد في محرم." وأضاف أنه يتعين على السلطات التأكد من مراعاة الاهتمامات الدينية للناس والبروتوكولات الصحية.

بينما قال وزير الصحة سعيد نمكي في 29 يوليو تموز إن احتفالات محرم في إيران ستكون "نموذجا" للمسلمين الشيعة في دول أخرى. وقال نمكي في لقاء مع مجموعة من الخطباء والخطباء "نريد أن نسجل في التاريخ أننا أحيينا ذكرى الإمام الحسين ... وقدمنا نموذجا دائما ومثاليا للعالم". في حين إن 26 مقاطعة من أصل 31 مقاطعة في البلاد تواجه حاليا مستويات خطيرة أو مقلقة من المخاطر بسبب جائحة فيروس كورونان كما ذكر نائب وزير الصحة، إيراج حريرجي، في 29 يوليو/ تموز.

الأثر الديني الخارجي لإدارة ازمة فايروس كورونا

ساهم زوار المراقد الشيعية من الدول المجاورة لإيران مثل العراق والكويت ودول الخليج العربية وشرق السعودية والوفود القادمة من والى سوريا ولبنان أيضا في نشر الإصابات في دولهم الاصلية لدى عودتهم اليها من إيران. حيث قامت طائرات مدنية بنقل مصابين بكورونا الى لبنان في ظروف اقلّ ما يمكن ان توصف به انّها مريبة. لكنّ الأخطر من ذلك كلّه، ما حصل في سوريا حيث يوجد موقعان ايرانيان، هما مزاران دينيان، أصبحا اشبه بمنطقتين عسكريتين بعدما سيطرت عليهما الميلشيات التابعة لإيران، بما في ذلك "الحرس الثوري". يقع المزاران قرب دمشق وهما موقع السيّدة زينب وموقع السيدة رقّية الذي لا يبعد كثيرا عن المسجد الاموي.

[1] محرم –الشهر الأول من التقويم الإسلامي – يكرم الشيعة حادثة استشهاد الإمام الحسين حفيد النبي محمد الذي قُتل في معركة في كربلاء عام 680. من خلال الشعائر الدينية –والتي تشمل الغناء. ومسرحيات العاطفة، وضرب الصدر في المساجد والشوارع –تصل إلى ذروتها في اليومين التاسع والعاشر من محرم ، والمعروفة باسم تاسوعاء وعاشوراء. يقوم رجال الدين بتشجيع الناس على البكاء أو البكاء خلال الاحتفالات للتعبير عن حزنهم.

كان أسلوب التعامل الإيراني مع جائحة فايروس كورونا مناسبة للتسبب بمزيد من التعقيد في العلاقات بين الجارين المتنافسين ايران والسعودية، حيث أدان مجلس الوزراء السعودي، في جلسه أسبوعية ترأسها العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز، بسلوك إيران الذي اعتبرته "غير المسؤول"، أثر قيامها بإدخال مواطنين سعوديين شيعة كانوا في ايران لأغراض زيارة المقامات الشيعية إلى أراضي السعودية دون وضع ختم مغادرة إيراني على جوازاتهم، وتبين بعد عودتهم إلى المملكة أنهم مصابون بالفيروس. في الوقت الذي تنتشر فيه الإصابة بفيروس كورونا المستجد، مما يحملها "المسؤولية المباشرة في التسبب بتفشي الإصابة وانتشارها عبر العالم". جاء ذلك في ظل البيانات الصادرة عن وزارة الصحة السعودية، التي أكدت تسجيل 5 حالات إصابة بفيروس كورونا المستجد لمواطنين قدموا من إيران عبر البحرين والكويت، حيث تبين أنهم لم يفصحوا للجهات المختصة بسفرهم إلى إيران عند عودتهم للمملكة[1]. وحث السلطات السعودية جميع المواطنين السعوديين الذين زاروا إيران وعادوا خلال الأسابيع الماضية، بالإفصاح عن ذلك فورًا، والتواصل مع وزارة الصحة لفحصهم والتأكد من حالتهم الصحية فيما يتعلق بالفيروس.

وفي حين اتهمت منظمة "هيومن رايتس ووتش"، عقوبات الولايات المتحدة على إيران، التي فرضتها إدارة الرئيس دونالد ترامب عام 2018، في محاولة لإجبار زعماء إيران على التفاوض من جديد على اتفاق نووي مع القوى العالمية، ولكنهم رفضوا ذلك، بأنها أضعفت قدرة إيران على الاستجابة للتداعيات الصحية لتفشي وباء فايروس كورونا "كوفيد-19"[2] وطالبت الولايات المتحدة بتخفيف عقوباتها وتوسيع نطاق ترخيص المواد المعفاة من العقوبات لتأمين حصول إيران على الموارد الإنسانية مبينة أن الإعفاءات الإنسانية في العقوبات الأمريكية لم تدفع الشركات والمصارف الأجنبية لتصدير السلع الإنسانية المعفاة، خوفًا من التعرض للعقوبات.

الخاتمة:

بالرغم من أهمية الدين في حياة الناس في منطقة الشرق الأوسط والعالم، لكن استغلال رجال الدين لدورهم ومكانتهم في قلوب المؤمنين غالبا ما ينعكس سلبا على حياة الناس وصحتهم، وعلى دور مؤسسات الدولة في تحقيق التنمية الشاملة وكفاءة رسم وتنفيذ السياسات العامة الصحية، خصوصا عنما يكون الدين وسيلة شعبوية للتجنيد السياسي، وعلى ذلك خلصت الدراسة الى ما يلي:

نتائج الدراسة

- أن رجال الدين الإيرانيين قد لعبوا دورا بارزا في التقارير المبكرة عن جائحة فيروس كورونا، وبداية وغالبا ما كان هذا الدور سلبيا لجهة التسبب في انتشار الجائحة الفيروسية بسبب عدم تعاونهم، وتفهمهم لطبيعة المرض، وصعوبة تكيفهم مع تدابير الصحة العامة لمكافحة انتشار الجائحة، ولجوئهم الى الحلول الأمنية، وتبني نظرية المؤامرة، والإصرار على ممارسة الطقوس الدينية المقدسة بشكل جماعي وتأييدهم لممارسات دينية غير صحية مثل الاعتقاد بالمناعة الايمانية، والسماح بممارسة

[1] https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1326070-السرية-إيران-تأشيرات-تدين-السعودية-كورونا-بنشر-تسببت

[2] https://www.bbc.com/arabic/business-52224549.

تقبيل ولعق هياكل الاضرحة، واعتماد ادوية تراثية دينية للمرضى ساهمت في تفشى الوباء واستفحال المرض، والإصرار على التجمع في المسيرات الدينية التي يرافقها اكتظاظ وعدم مراعاة لإجراءات التباعد الاجتماعي المتعارف عليها دوليا ما اسهم في تفاقم الازمة الصحية وتفشي المرض بين قطاعات المتدينين على اختلاف مستوياتهم .

- حاولت السلطات الرسمية أن توائم بين الضغوطات التي يمارسها رجال الدين في مؤسسة مرشد الجمهورية ومجالسه الاستشارية والمؤثرين من خطباء سياسيين من رجال دين، وبين متطلبات الصحة التي عممتها منظمة الصحة العالمية ممثلة في حضر مدروس لممارسة الطقوس في أماكن العبادة من مساجد وحسينيات واضرحة.
- تفاعلت الإدارة العامة الصحية إيجابيا مع توجيهات منظمة الصحة العالمية، ونهجت الإدارة الصحية بعد تصاعد اعداد الإصابات الى التفكير العلماني البراغماتي قدر الإمكان في مجهود مكافحة انتشار الفايروس وفق توجيهات محددة تراعي الصحة والسلامة العامة، استطاعت الحكومة الحد أخيرا من تفاقم الازمة الفيروسية في البلاد، مع أن الازمة لا تزال قائمة بفضل الحد من التجمعات الكبيرة بما فيها الدينية وحضر ممارسة الطقوس في أماكن العبادة، وفق توجيهات محددة تراعي الصحة والسلامة العامة.
- أن الزعماء الدينين في ايران يلعبون دوراً مؤثرا في رسم السياسة العامة الصحية للبلاد من خلال نقل الرسائل للجماهير خلال أوقات الأزمات.

توصيات الدراسة:

- ضرورة ضبط الممارسات الدينية ذات الاثر السلبي على الصحة العامة، وضرورة مراجعة رجال الدين للمدونة الدينية فيما يتعلق بتوافق بعض الممارسات مع رسالة الدين الأساسية المتعلقة بالحفاظ على صحة وسلامة الفرد والمجتمع ومنعة الامة وقوتها.
- ممارسة السلطات الصحية الحكومية دور رقابي وتثقيفي وتوجيهي للقطاعات الدينية بشكل خاص للحد من التأثيرات السلبية لسلطة رجال الدين الروحية وقدرتهم للوصول الى قطاعات واسعة من الناس خصصا في المجتمعات المتدينة في تفشي الأوبئة لاعتمادهم على تقاليد وممارسات دينية خاطئة صحيا.
- عدم تهميش الدين ومؤسساته وقياداته والتعامل معه بإيجابية وصبر لان المجتمعات الدينية في حال تفهمها ستدعم بالتالي تعافي المجتمع وتحقيق التضامن الاجتماعي، وتعزيز قيم الاحسان ومساعدة المحتاجين من خلال التبرعات الدينية والممارسات القائمة على التقوى الدينية.
- اشراك القيادات الدينية في المناقشات السياسية والعلمية حول الأولويات والإصلاحات التي تنشأ من الوباء، واشراكهم بمناقشة ما يتعلق بعدم المساواة الصحية، ونقاط الضعف في أنظمة الصحة العامة.

لكي يمكن بالتالي للأصوات الدينية بل ويجب عليها أن تلعب أدوارًا مركزية إيجابية في مكافحة الأوبئة، خصوصا وأن من المتوقع أن تكثر الازمات الصحية في المستقبل.

- تأمل الدراسة أن يكون هناك تغيرات مستقبلية في طبيعة دور وفهم المؤسسات والزعماء الدينيين لدورها في رسم وتنفيذ السياسات العامة الصحية السليمة في اغلب دول المنطقة.

المراجع :

الكتب :

1. Buchta, W. 2001. Who rules Iran? The structure of power in the Islamic Republic . Washington , DC : Washington Institute for Near East Policy.
2. Chehabi, H. E. 2001. The political regime of the Islamic Republic of Iran in comparative perspective. Government and Opposition 36:48–70.
3. Güneş Murat Tezcür Taghi Azadarmaki, Religiosity and Islamic Rule in Iran, JSSR,Volume47, Issue2,June 2008,Pages 211-224.
4. MELVILLE, CHARLES (1988-12). "The Persian Famine of 1870-1872: Prices and Politics". *Disasters*. **12** (4): 309–325

المقالات الاجنبية:

1. Claire Gecewicz, APRIL 30, 2020 , https://www.pewresearch.org/fact-tank/2020/04/30/few-americans-say-their-house-of-worship-is-open-but-a-quarter-say-their-religious-faith-has-grown-amid-pandemic/
2. Jenesse Miller , April 9, 2020 , https://news.usc.edu/168381/religious-groups-coronavirus-pandemic-religion-passover-easter/
3. Katherine Marshall, April 16, 2020, https://theconversation.com/beating-coronavirus-requires-faith-leaders-to-bridge-gap-between-religion-and-science-135388
4. Maysam Behravesh , March 24, 2020, https://indianexpress.com/article/opinion/how-the-coronavirus-has-altered-iranians-view-of-faith-6382804/
5. Michelle Boorstein , April 30, 2020 https://www.washingtonpost.com/religion/2020/04/30/coronavirus-deepening-more-religious-black-protestants/

مقالات باللغة العربية:

1. الحبيب الأسود، 14/03/2020، https://alarab.news/% فتاوى-كورونا-عقيدة-رجال-الدين-لاستغفال-العامة.
2. حسام مطر، الدين والوباء، 16 نيسان 2020، منشور على الموقع الالكتروني https://al-akhbar.com/Community/287222
3. عبد القدوس الهاشمي، أبرز الطواعين والأوبئة في تاريخ الإسلام منشور على موقع الجزيرة نت بتاريخ 2020/3/31
4. https://www.aljazeera.net/turath/2020/3/31/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%86-%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D9%81%D9%8A
5. علي فتح الله نجاد ، 29 أبريل 2020 منشور على موقع : https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2020/05/07/% دبلوماسية الكورونا في إيران جهود إدارة روحاني الخاطئة من أجل رفع العقوبات
6. فيكتوريا غيل، فيروس كورونا: كيف انتقل إلى الانسان؟ ، منشور بتاريخ 2020/5/7 على موقع بي بي سي https://www.bbc.com/arabic/world-52564572

7. مسعود الزاهد، 26 يوليو 2020 https://www.elwehda.com/Akhbar-Al-Alm/5027883/% رجل دين إيراني: كمامة كورونا للنساء فقط وليست للرجال .

المواقع الالكترونية:

1. https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus
2. فيكتوريا غيل ، فيروس كورونا: كيف انتقل إلى الانسان؟ ، منشور بتاريخ 2020/5/7 على موقع بي بي سي https://www.bbc.com/arabic/world-52564572
3. https://gisanddata.maps.arcgis.com/apps/opsdashboard/index.html#/bda7594740fd40299423467b48e9ecf6
4. https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-media-briefing-on-covid-19---27-july-2020
5. https://www.bbc.com/arabic/world-51866282
6. https://arabic.rt.com/society/1094961كيف تتعامل الأديان مع أزمة كورونا الحالية؟
7. https://alghad.com/%فيروس كورونا اختبار للأديان.. ومستقبل الإيمان
8. https://www.france24.com/ar/20200622 السعودية تعلن إقامة الحج بأعداد "محدودة جدا" من المقيمين في المملكة خوفا من تفشي فيروس كورونا
9. https://www.dw.com/ar/%السعودية على مفترق طرق – خيار الحج إزاء مخاطر كورونا
10. https://al-akhbar.com/Community/287222.
11. https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-israel-s-ultra-orthodox-jews-face-coronavirus-devastation-they-need-face-masks-1.8728283
12. https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-first-coronavirus-wave-hit-jerusalem-s-ultra-orthodox-second-wave-hit-whole-city-1.8988917
13. https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2020/2/259 \ كوريا الجنوبية كيف تسببت عبادة دينية
14. https://russiarab.com/archives/49401/علماني" خطيب إيراني: فيروس كورونا "
15. https://www.almarjie-paris.com/14972
16. https://www.ft.com/content/8e9b50bb-ebf7-4702-9894-1f2081ae869a
17. https://kitabat.com/news/%دعم مالي للحوزة .. بعد إنهيار السياحة الدينية في إيران !
18. https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed559f9b4d0a03c2a782d4d
19. https://www.bbc.com/arabic/middleeast-51637891.
20. https://aawsat.com/home/article/2160736/كورونا-بـ-إصابة 23 نائباً في البرلمان الإيراني بـ«كورونا»
21. https://www.i24news.tv/ar/%إيران: وفاة رئيس الدبلوماسية الأسبق بفيروس كورونا
22. https://www.aa.com.tr/ar/%وفاة مسؤول إيراني بفيروس كورونا
23. https://www.elwehda.com/Akhbar-Al-Alm/5027883/% رجل دين إيراني: كمامة كورونا للنساء فقط وليست للرجال
24. http://www.innlebanon.com/news/article/856929/
25. https://www.alayyam.info/news/842OKVMV-9OD4ON-8B27
26. https://www.rferl.org/a/coronavirus-iran-closes-schools-other-measures/30470194.html
27. https://www.dw.com/en/how-the-coronavirus-has-altered-iranians-view-of-faith/a-53215872
28. https://www.france24.com/ar/إيران-تعيد-فتح-مزارات-دينية-رئيسية-بعد-شهرين-من-الإغلاق-بسبب-فيروس-كورونا
29. https://www.bbc.com/arabic/middleeast-52784320
30. https://www.dw.com/ar/%بين العلم و"الجهل المقدس" . كورونا يضع إيران أمام مأزق عقائدي !
31. https://www.aa.com.tr/en/middle-east/iran-says-it-has-25m-coronavirus-infections/1914773.
32. https://www.rferl.org/a/iran-s-deteriorating-economy-raging-coronavirus-have-raised-fears-of-renewed-street-protests-/30741923.html

33. https://www.france24.com/ar/صندوق النقد يتوقع أسوأ انكماش لاقتصاد الشرق الاوسط منذ أربعة عقود
34. https://www.voanews.com/covid-19-pandemic/rouhani-despite-rise-irans-covid-19-cases-economy-must-stay-open
35. https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1326070--تسببت-بنشر-كورونا-السعودية-تدين-تأشيرات-إيران-السرية
36. https://www.bbc.com/arabic/business-52224549.
37. https://arabic.cnn.com/health/article/2020/02/27/iran-cancel-friday-prayers-week-says-health-minister
38. https://english.alarabiya.net/en/News/middle-east/2020/03/07/Two-Iranian-religious-figures-latest-to-die-of-coronavirus-in-Iran
39. https://foreignpolicy.com/2020/03/24/how-iran-botched-coronavirus-pandemic-response/
40. https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2020/04/15/ هل تؤجّج قيود فيروس كورونا المستجدّ التوتّرات الدينية؟
41. https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2020/05/07/% دبلوماسية الكورونا في إيران جهود إدارة روحاني الخاطئة من أجل رفع العقوبات
42. https://www.alhurra.com/iran/2020/07/25/ فيروس علماني".. آخر تصريحات رجال الدين في إيران " عن كورونا
43. https://www.alarabiya.net/ar/iran/2020/07/25 خطيب-ايراني-يفجر-فضيحة-كورونا-فيروس-علماني-
44. https://www.alhurra.com/iran/2020/07/25/